التَّفْسِيرُ المُبِين

ألّفه وكتبه:

الفقير إلى عفو ربه

الدكتور/ عبد الرحمن بن حسن النفيسة

صاحب

مجلة البحوث الفقهية المعاصرة

المجلد السابع

ح مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ١٤٢٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
النفيسه ، عبد الرحمن بن حسن
التفسير المبين. / عبد الرحمن حسن النفيسه . - الرياض ، ١٤٢٩هـ
٧مج
ردمك : ٧-٠-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٣-٨-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٧)
١- القرآن - التفسير الحديث أ. العنوان
ديوي ٢٢٧,٦ ١٤٢٩ /٣٦١٤

رقم الايداع : ١٤٢٩ /٣٦١٤
ردمك : ٧-٠-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٣-٨-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٧)

جميع الحقوق محفوظة
لـ «مجلة
البحوث الفقهية المعاصرة»
المملكة العربية السعودية - الرياض

يطلب هذا التفسير وكتب المؤلف من

الدار التدمرية للنشر والتوزيع بالرياض

هاتف : ٤٩٢٤٧٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العنكبوت

مكية وآياتها تسع وستون آية

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ
﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ
ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا
يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ هذا استفهام إنكاري، والمراد أن على المؤمن أن يعرف أنه قد يفتن في دينه ويمتحن فيه؛ لأن حكمة الله اقتضت أن يختبر عباده ويبتليهم، بَيْظهر من هو منهم المؤمن الصادق الذي لا تغيره الفتن والمحن فيثبت على إيمانه، ومن هو الذي تؤثر فيه الفتن فينكفئ على عقبيه كما قال عز وجل ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(١).

﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٢ .

﴿ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ أي: قد فتنا من قبل الأمم السابقة فظهر من هو المؤمن ومن هو الكافر منهم ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ﴾ أي: أفظن الذين عملوا المعاصي وارتكبوا المحرمات أن يفوتونا فلا نجازيهم على أفعالهم السيئة ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ أي: بئس ما يظنون.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن المؤمن يفتن في دينه فيتعرض للسراء والضراء والعسر واليسر والضيق في العيش وغير ذلك من أنواع البلاء والفتن، وقد جاء في الحديث: (**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه**)[1]. وفيها: أن الابتلاء بالفتن من سنن الله في خلقه، فقد فتنت الأمم من قبل؛ ليعلم الله من هو الصادق منهم في دينه ومن هو الكاذب فيه. وفيها: تقرير أن الذين يعملون السيئات لن يفلتوا من حساب الله على أفعالهم.

﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ

(١) سنن الترمذي ج٤ ص٥٢٠، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم (٢٣٩٨)، وقال هذا حديث حسن صحيح، وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٣٣٤، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، برقم (٤٠٢٣) .

﴿٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٧﴾.

بيان الآيات:

﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ﴾ أي: من كان يرجو ويطمع في لقاء الله رجاء ما عنده من الثواب لعباده المؤمنين، فإن لقاء الله في الدار الآخرة آتٍ لا محالة، وسوف يحظى بما يرجوه ويؤمله من ربه عند لقائه ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ المطلع على نوايا عباده وأحوالهم ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ أي: إن من جاهد الهوى والشيطان وتوكل على الله وعمل الصالحات، فإن نفع جهاده هذا عائد له؛ لأن الله سوف يجازيه عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: إنه عز وجل غني عن أعمال عباده، فلا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم .

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ المراد أن الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات من صلاة وزكاة وصيام وغيرها من الأعمال الصالحة سوف يكفر الله سيئاتهم ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: يضاعف لهم الحسنات بعشر أمثالها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الذي يعمل الصالحات ويتطلع إلى لقاء الله، فإن لقاء الله آتٍ لا شك فيه فيحبه ويجازيه على أعماله وفي الحديث (**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**)[1]. وفيها: أن نفع العمل يعود إلى صاحبه وحده؛ لأن الله غني عن عباده. وفيها: وعد الله -ووعده الحق- أنه سيكفر سيئات عباده إذا آمنوا وعملوا الصالحات، وسوف يجازيهم على أعمالهم باضعاف الحسنات.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ هذا بيان من الله أنه أمر الإنسان ببر والديه والإحسان إليهما وطاعتهما قولا وعملا في السراء والضراء ﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ ﴾ أي: وإن طلب إليك والداك المشركان أن تكون معهما على دينهما فلا تطعهما ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: ستعودون

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٣٦٤، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، برقم (٦٥٠٧) .

إلي يوم القيامة فأجازي كلا بعمله، وقد نزلت هذه الآية -كما سبق ذكره- في سعد بن أبي وقاص وأمه حمنة بنت أبي سفيان، فلما أسلم قالت له: ما هذا الذي فعلت؟ والله لا آكل ولا أشرب حتى تعود إلى ما كنت عليه من دين آبائك أو أموت فيكون ذلك سبة لك أبد الدهر بأنك قتلت أمك، ثم مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب فأصبحت وقد أجهدها الجوع والعطش، ثم مكثت يوماً آخر على تلك الحال فأتاها سعد وقال: يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت واحدة بعد الأخرى ما تركت ديني، فكلي إن شئت، وإن شئت فلا تأكلي فلما عرفت صلابته ويئست من رجوعه عن دينه أكلت وشربت[(١)].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ المراد بهم الذين آمنوا بالله قولا وعملا فأحلوا ما أحل وحرموا ما حرم وصدقوا رسوله واتبعوه، وفي الإجمال: عملوا الأعمال الصالحة من الصلاة والزكاة والصيام والصدقة وذكر الله، فهؤلاء قد تعهد الله بأن يكونوا مع الصالحين من الأنبياء والصديقين والشهداء.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بوجوب بر الوالدين والإحسان إليهما، وهذا الوجوب قضاء قضاه الله في قوله عز ذكره ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٤٦-٥٤٧، وتفسير البغوي ص٩٩٢.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[١]. وهذا البر مقيد بكونهما مسلمين، فإن لم يكونا كذلك وجبت مصاحبتهما بالمعروف كما قال عزوجل ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾[٢]. وفيهما: وعد الله للمؤمنين الذين عملوا الصالحات أن يكونوا في زمرة الأنبياء والصديقين والشهداء.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ أي: أن هناك فريقاً من الناس يدعي الإيمان فإذا جاءه أذى بسبب دينه ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ أي: فيرتد حينئذٍ عن دينه لزعمه أن هذا الذى حدث له ما أصابه إلا بسبب هذا الدين ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ﴾ أي: إذا جاء نصر من الله لنبيه والمؤمنين

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٢٣ .

(٢) سورة لقمان من الآية ١٥ .

ورأى الغنائم والمكاسب تقرب إليهم قال: أنا من إخوانكم ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: أن الله أعلم بما يعلنون وما يسرون في قلوبهم.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ أي: ومن حكمته أن يبتلي الناس في دينهم؛ ليعلم من هو المؤمن الصادق في إيمانه، ومن هو المنافق الذي يبدي الإيمان، وهو على خلافه من الكفر والنفاق.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بضلال المنافقين وسوء عاقبتهم كما قال عز وجل ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[١]. وقوله عز ذكره ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ

(١) سورة الحج الآية ١١.

(٢) سورة النساء من الآية ١٤١.

﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ المراد بهم كفار قريش، فقد قالوا للذين آمنوا برسول الله ﷺ وصدقوه ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ﴾ أي: اتركوا دين محمد واثبتوا على ديننا وإذا كان لكم ذنوب سوف نحملها عنكم فكذبهم الله بقوله ﴿وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ أي: أن ما قالوه كذب وزور، فلا هم ولا غيرهم يحمل خطايا أحد، بل توفى كل نفس ما عملت. ولما قالوا هذا الكذب بيّن عز وجل أنهم سوف يحملون أوزارهم وخطاياهم، وخطايا وآثام من صدوهم وأضلوهم عن سبيل الله فقال ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ وقوله ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أي: سوف يقفون أمام الله فيسألهم عن كذبهم وافترائهم ثم يجزيهم بالعذاب.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن أحدا لا يحمل خطايا غيره كما قال الله عز وجل ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ

ذَا قُرْبَىٰٓ ﴾[١]. وقوله عز ذكره ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[٢]. وفيهما: أن من صد عن سبيل الله سوف يحمل وزره ووزر الذي أضله فيكون جزاؤه مضاعفا، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: **(من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا)**[٣].

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ ﴾.

---

(١) سورة فاطر من الآية ١٨ .

(٢) سورة فاطر من الآية ١٨ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، برقم (٢٦٧٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٧٤٩ .

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ لما ذكر الله ما كان رسول الله ﷺ يلاقيه من العنت والتكذيب من قومه بيَّن له أن نبيه نوحا قد عانى من قبله مع قومه ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ أي: مكث يدعوهم هذه المدة الطويلة إلى عبادة الله وحده، وقد كذبوه حتى دعا عليهم ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ أي: أغرقهم الله بالطوفان؛ بسبب ظلمهم والمراد لا تأسَ يا محمد على قومك، وفي هذا تسلية له عليه الصلاة والسلام وتثبيتٌ له ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ ﴾ أي: نجاه الله ومن كان مؤمنا به من الطوفان ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: جعلنا حادثة السفينة عبرة للعالمين، يعتبرون بها على مرور الزمن؛ ليدركوا ما يؤول إليه الظالمون.

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴾ لما ذكر الله دعوة نوح عليه السلام لقومه إلى عبادة الله وحده ذكر أن إبراهيم دعا نفس هذه الدعوة بقوله ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ﴾ أي: اعبدوه وحده وأخلصوا له هذه العبادة ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ أي: أن في هذه العبادة الخير لكم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ما فيه الخير وما فيه الشر لكم ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا ﴾ أي: تعبدون أصناما لا تنفعكم

ولا تضركم، وتنسون عبادة خالقكم ورازقكم ومحييكم ومميتكم ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ أي: تفترون الكذب فتجعلون هذه الأصنام آلهة تعبدونها من دون الله دون أن تدركوا بعقولكم أنكم تكذبون على أنفسكم وعلى غيركم بعبادتها ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ أي: أن هذه الأصنام التي تعبدونها لا تغنيكم بشيء من الرزق وغيره من أمور الدنيا أو الآخرة ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ أي: اطلبوا أرزاقكم من عند الله؛ لأنه هو الذي يملكه وحده ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ أي: وحدوه واعبدوه واشكروه على ما رزقكم ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: سوف تعودون إليه يوم القيامة؛ ليحاسبكم على أعمالكم.

﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ المراد هنا أهل مكة والمعنى إن كذبتم محمدا فقد كذبت أمم من قبلكم رسلهم كقوم نوح وإبراهيم وهود وصالح ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: ليس على محمد شيء من أمركم إلا إبلاغكم الرسالة وبيانها لكم، أما حسابكم فأمره إلينا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن نوحا مكث يدعو قومه مدة طويلة، ومع ذلك كذبوه وعصوه وفي ذكره عزوجل

لهذا تسلية له مما عاناه من قومه. وفيها: أن الهلاك عاقبة الظالمين، وهو ما حدث لقوم نوح من إغراقهم بالطوفان ونجاته ومن كان معه من المؤمنين. وفيها: الحكم بتحريم عبادة غير الله وإن الذين يتخذونها آلهة هم كذابون ومفترون وفيها: تقرير أن الأصنام لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا، وأنها مخلوقة مربوبة، وأن الرزق يجب أن يطلب من الله؛ لأنه القادر عليه وحده. وفيها: أن على العباد وجوب شكر الله وحده على نعمه. وفيها: تهديد المشركين من أهل مكة وأن ما أصاب الأمم التي سبقتهم من العذاب قد يصيبهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى
اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ
اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يُعَذِّبُ مَن
يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ
(٢٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي
وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣)﴾.

بيان الآيات:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ استفهام إنكاري ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ المراد هنا تقرير حقيقة البعث والإنكار على من يكذب به والمعنى: ألم ير هؤلاء المكذبون بالبعث أن الله أنشأهم من العدم إلى الوجود، وأن من كان قادرا على هذا الإنشاء قادر على إعادته من جديد، فيبعثهم من قبورهم؛ ليعودوا إليه كما بدأ خلقهم أول مرة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: لا يصعب ذلك عليه أبدا ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ أي: قل يا محمد للذين كذبوا من قومك بالبعث والجزاء: أخرجوا من قريتكم وسيروا في الأرض؛ لتروا كيف خلق الله خلقه وسخر لهم ما في الأرض من البحار والأنهار والأشجار وسائر النبات، وهو ما لا يقدر عليه إلا هو ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي: بعد هذه النشأة الأولى ينشئ النشأة الآخرة وهي بعث الخلق يوم القيامة من جديد ليجازيهم على أعمالهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: هو القادر وحده على إنشاء الخلق ثم إماتتهم ثم إحيائهم.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ المراد أنه حينما يبعث الخلق من جديد يعذب من كان كافرا بما جاءه من البينات ويرحم من كان مؤمنا ومصدقا بما جاءه منها ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ أي: ترجعون إليه يوم القيامة ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: لستم أيها الخلق الموجودون في السماء والأرض بمعجزين الله في بعثكم

بعد موتكم ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ أي: ستجدون يوم القيامة أنه ما من ولي يواليكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصركم من دون الله ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ أي: إن الذين جحدوا آيات الله وكذبوا بها وأنكروا البعث ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي﴾ وذلك بسبب جحودهم وتكذيبهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: استحقوا بذلك العذاب الشديد.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب التفكر في خلق الله الخلق في نشأتهم الأولى حيث خلقهم من العدم إلى الوجود، والاستدلال بذلك على الإيمان به كما قال عز وجل ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]. وفيها: الحكم بأن الله كما أنشأ الخلق أول مرة سوف ينشئهم النشأة الآخرة ليوم الحساب والجزاء. وفيها: الحكم بعجز المخلوقين، وأنه لا ولي يواليهم ولا ناصر ينصرهم من دون الله. وفيها: تقرير يأس الكافرين من رحمة الله بسبب كفرهم وتكذيبهم بآياته .

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ

(١) سورة آل عمران الآية ١٩٠ .

ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا
ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا
وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ﴾

لما قال إبراهيم لقومه: اعبدوا الله واتقوه واتركوا عبادة الأصنام ودحض حجتهم الباطلة في عبادة الأصنام قال بعضهم لبعض -كما سبق ذكره- ما لنا إلا أن نقتله أو نحرقه للخلاص منه فأوقدوا له نارا عظيمة فألقوه فيها ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ﴾ حيث تحولت إلى برد وسلام عليه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ أي: عبرة للمؤمنين الذين يعرفون قدرة الله ويؤمنون بما جاءت به رسله من البينات الموجبة لعبادته وحده.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: قال إبراهيم لقومه: لقد اتخذتم أوثانكم وقمتم على عبادتها محبة ومودة وتعظيما لها ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ﴾ أما يوم القيامة فسوف تتغير علاقتكم

ومحبتكم فيتبرؤون منكم وتتبرؤون منهم ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: تلعنونهم ويلعنونكم ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ أي: ما تجدون إلا الخسران والندامة وسوء المنقلب والعذاب الأليم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: بيان أن الطغاة حينما يعجزون عن الحجج والبراهين التي تؤيد ضلالهم يلجأون إلى معاقبة الداعين لهم من الرسل والدعاة والمصلحين ظنا منهم أن ذلك ينقذهم مما هم فيه من الضلال. وفيهما: أن العلاقة والمودة بين عبدة الأصنام وأصنامهم تنقلب يوم القيامة إلى عداوة، فيتبرأ بعضهم من بعض كما قال عزوجل ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾[1]. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[2].

﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ

(١) سورة البقرة الآية ١٦٦ .
(٢) سورة البقرة الآية ١٦٧ .

وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ وهو ابن أخيه هاران ولم يؤمن من قوم إبراهيم إلا هو وزوجته سارة ﴿وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ لما رأى إبراهيم عليه السلام عدم إيمان قومه به في العراق هاجر إلى الشام ليجدد الدعوة إلى الله بتوحيده وطاعته قائلا ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: هو الذي يعز دينه وينصره وهو الحكيم في تدبيره ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ أي: لما ترك قومه وأرضهم وهبه الله الولد من زوجته سارة وهو إسحاق وولد لإسحاق يعقوب كما قال عز وجل ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾[1]. أما إسماعيل فقد ولد له من قبل من أمه هاجر ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: كان من ذريته الأنبياء الذين أنزلت عليهم الكتب وهي: التوراة على موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، والقرآن أنزل على رسول الله محمد ﷺ وهو من ذرية إسماعيل بن إبراهيم ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي: بما أنعم الله به عليه من الرزق في مكان هجرته ومحبة الناس له واتباعهم لما

(١) سورة هود من الآية ٧١.

أنزل على ذريته من الكتب ومنها القرآن الكريم ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: ممن أنعم الله عليهم بكرامته في الدار الآخرة.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير وجوب الهجرة عندما يجد المرء نفسه في قوم يشركون بالله ويكفرون به ويؤذونه في دينه فلا يستطيع القيام به كما يجب عليه. وفيهما: أن الهجرة في سبيل الله تكون سببا لحصول نعم الله وثوابه كما قال عز وجل ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ﴾[1].

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ هذا بيان من الله لنبيه ورسوله

(١) سورة النساء من الآية ١٠٠.

محمد ﷺ عن إنكار لوط عليه السلام ما كان يفعله قومه من الفواحش القبيحة التي لم يأتها أحد قبلهم من الأمم وهي إتيانهم الذكران وترك ما أحل الله لهم من الزوجات بقوله ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: أنكم تأتون الرجال في أدبارهم، وتعتدون على المارة بإرغامهم على فعل الفاحشة فيهم ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ أي: ترتكبون في مجالسكم الفواحش والمنكرات وما حرم الله عليكم ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ورغم دعوة لوط لهم إلى ترك الفواحش ابتغاء هدايتهم وتركهم ما حرم الله عليهم، فقد قابلوا هذه الدعوة بالاستهزاء والسخرية والتكذيب والتحدي بأن يأتيهم بالعذاب، فما كان منه إلا أن دعا ربه أن ينصره عليهم بقوله ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وقد استجاب الله دعاءه فنصره عليهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بتحريم جريمة اللواط وقبحها ووضاعة مرتكبيها، وأنها لم تكن في الأمم السابقة، بل كان أول من فعلها قوم لوط، ووقوع هذه الجريمة يقتضي إقامة الحد على مرتكبها فاعلا أو

مفعولا به. وفيها: تحريم المنكرات التي ترتكب في النوادي والاجتماعات كما يحدث اليوم في نوادي القمار والخمور وما يحدث فيها من الفجور، والتعدي على حرمات الله مما هو حري بنزول العذاب.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ
أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ
فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ
كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ
بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ
إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ
هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد
تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ لما يئس لوط عليه السلام من قومه لفسقهم دعا الله أن ينصره عليهم فاستجاب الله له وأرسل ملائكة لنصرته وفي طريقهم إليه مروا على إبراهيم ضيوفاً، فأكرمهم بما يجب من إكرام الضيف إلا أنه أحس منهم وحشة، فلما عرفوا ذلك منه بدؤوا يزيلون عنه الوحشة ثم بشروه بأنه سيولد له

ولد صالح من زوجته سارة -كما سبق ذكره في سورة هود- وأخبروه أنهم رسل من الله أرسلوا ليهلكوا قوم لوط فأخذ إبراهيم يحاول ثنيهم، لعل الله أن يهديهم ويزيل عنهم الضلال فقالوا له ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ أي: قرية سدوم ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ أي: كافرين بالله مكذبين لرسوله ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ لعله عليه السلام خشي عليه ﴿قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي: سوف ننجيه بأمر الله من العذاب ما عدا امرأته فستكون من الهالكين وذلك لأنها كانت تقرهم على فعلتهم الشنعاء.

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ المعنى: أنهم لما وصلوا إلى لوط ورأى ما هم عليه من الهيئة الحسنة والجمال ضاق بمقدمهم خشية عليهم من سوء قومه؛ لأنه لم يعرف أنهم رسل من عند الله ﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ وهنا طمأنوه فعرف أنهم رسل الله وأخبروه أنهم سيهلكون قومه وأن الله نجاه وأهله إلا امرأته بسبب فسادها بقولهم ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ وقد انتهى أمرهم حين أنزل الله عليهم العذاب فاقتلع جبريل عليه

السلام قريتهم، فجعل عاليها سافلها، وجعل مكانها بحيرة تعرف الآن ببحيرة لوط أو البحر الميت كما سبق ذكره ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ﴾ أي: جلية ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ أي: يتفكرون ويعتبرون بآيات الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن من يعمل الفاحشة يعد ظالما، وقد توعد الله الظالمين بأشد العذاب. وفيها: أن الأهم في العلاقة بين البشر علاقة الدين، فلم ينفع امرأة لوط أنها زوجته بل كانت في العذاب مع قومها، بسبب تمالئها معهم على فعل الفاحشة. وفيها: أن الضيافة مما عرفته الأمم، وأن من واجبات المضيف حماية ضيفه من الغرباء. وفيها: أن الهلاك عاقبة الفواحش، وأن العقل السليم يمنع صاحبه من التردي في الفواحش وخطاياها.

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ

﴿ٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ هذا بيان من الله لرسوله محمد ﷺ عن قصة شعيب مع قومه أهل مدين، فقد دعاهم إلى عبادة الله وحده والبراءة من الشرك به، وأن يخشوا اليوم الآخر وهو يوم القيامة وأهواله ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ والمراد بالإفساد هنا: كونهم يطففون الكيل والوزن، فإذا كان الكيل أو الوزن لهم استوفوه كاملا وإذا كان الكيل أو الوزن منهم لغيرهم جعلوه ناقصا ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ أي: أنهم كما كذبوا نبيهم شعيبا وعصوه فيما أمرهم به من الهدى أخذتهم رجفة رجّت أرضهم ثم أتبعوا بصيحة تقطعت منها قلوبهم. ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ أي: صاروا جاثمين على ركبهم بعد أن تقطعت قلوبهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تحريم الفساد في الأرض بكل أنواعه وصوره، سواء كان بقطع الطريق، أو بإنقاص الكيل، أو الوزن، أو الغش في المعاملات، أو بأي صورة أخرى تتنافى مع ما وضعه الله من الأحكام لعباده. وفيهما: تقرير أن الله يهلك من ينتهك حرماته فيظلم في الأرض، أو يفسق أو يطغى فيها كما حدث من الأمم البائدة التي بادت؛ بسبب سوء أفعالها.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ

لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ
﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ
فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ
وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ
ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ ﴾

هذا بيان من الله عز وجل عن الأمم البائدة ومساكنهم فعاد قوم هود عليه السلام ومساكنهم في الأحقاف كما قال عز وجل ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾(١) وهي المعروفة حاليا بالشحر من حضرموت. وثمود قوم صالح عليه السلام ومساكنهم في الحجر أو ما يعرف الآن بمدائن صالح في المملكة العربية السعودية ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: أن الشيطان سول لهؤلاء الأقوام أعمالهم، وذلك بتكذيبهم لرسلهم وعصيانهم فيما أمروهم به ونهوهم عنه ﴿وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾

(١) سورة الأحقاف من الآية ٢١ .

أي: كانوا على بصيرة ومعرفة بما أمرهم رسلهم به ولكنهم استكبروا وحكَّموا أهواءهم، واتبعوا رؤساءهم في الكفر والضلال ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ﴾ قارون من بني إسرائيل وقد أعطي الأموال الكثيرة، وفرعون حاكم مصر، وهامان وزيره وكبير مستشاريه ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ أي: جاء إليهم بالبراهين القاطعة ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أرض مصر ومملكتها ﴿وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ﴾ أي: منفكين من عذاب الله.

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ أي: جعل الله عقوبته تتناسب مع جريمته ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ والمراد بهم عاد قوم هود، فقد أرسل الله عليهم ريحا عاتية كانت ترفع الواحد منهم ثم تنكسه على رأسه ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ والمراد بهم ثمود قوم صالح جاءتهم صيحة قضت عليهم ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ والمراد به قارون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ والمراد فرعون ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ أي: لم يظلمهم بما عاقبهم به ﴿وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: هم الذين ظلموا أنفسهم بسبب شركهم وعصيانهم لأنبيائهم وتكذيبهم وإيذائهم لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن هلاك الأمم البائدة كان بسبب تزيين

الشيطان لهم أعمالهم وتصديقهم له رغم أنهم يعرفون ما جاءتهم به رسلهم من البينات والبراهين. وفيها: أن الطغيان والاستكبار سبب لهلاك الأمم واندثار حضارتها. وفيها: أن الله جل وعلا عاقب الأمم البائدة حسب سلوكها، فأهلك عادا بالريح؛ لأنهم كانوا يقولون ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[1]. وأهلك قارون بالخسف في الأرض؛ بسبب علوه وتجبره وهكذا. وفيها: الحكم أن الله قضى وقضاؤه الحق أنه لا يظلم أحدا ولا يعاقبه إلا إذا كان هذا ظالما لنفسه بسبب كفره ومعاصيه.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ هذا مثل ضربه الله للمشركين في اتخاذهم أصناما وأوثانا يعبدونهم من دون الله يرجون نفعهم ليرزقوهم وينصروهم ويدفعوا عنهم الضر، فهم في حالهم هذه مثل بيت العنكبوت في وصفه

(١) سورة فصلت من الآية ١٥.

ورداءة بنيانه، وما أملهم في نفع أصنامهم لهم إلا مثل أمل من يرى في بيت العنكبوت ملاذا له ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ أي: أن هذا البيت أضعف البيوت وأوهنها ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كان هؤلاء عقلاء لعرفوا أن عبادة الأصنام لا تنفعهم بل تضرهم حين يجازيهم الله على شركهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ في هذا تهديد ووعيد للمشركين بأن الله يعلم سلوكهم في عبادتهم للأصنام وجعلها شريكة تعبد من دونه وسوف يجازيهم بما كانوا يعملون ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ بقوته ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تصرفه في خلقه ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ أي: نبيّنها لهم لعلهم يعتبرون ويدركون أنه ما من إلَه إلا الله ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ أي: ما يفهمها ويدركها إلا الذين لهم بصائر يميزون بها بين الحق والباطل.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: فوائد ضرب الأمثلة، للناس لتبسيط الأحكام لهم وتقريبها إلى أفهامهم من خلال الحقائق التي يعايشونها في حياتهم، فبيت العنكبوت مثلا مما يعرف الناس أنه أوهن بيت تسكنه الحشرة الصغيرة، وتشبيه عبادة الأصنام بهذا البيت دليل على ضعف عقل من يعبدها بسبب وهنها وضعفها. وفيها: تقرير أنه لا يفهم هذه الأمثال

إلا الذين استنارت بصائرهم بالعلم والهدى، أما الذين على قلوبهم غشاوة من الضلال فلا يعقلون الأمثال ولا غيرها.

﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ هذا بيان من الله عزوجل أنه خلق السموات بأفلاكها وزينتها والأرض بجبالها وبحارها وأنهارها وبراريها، وذلك بحكمته وقدره وليس لمجرد العبث فالله منزه ومقدس عن ذلك ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إن في هذا الخلق برهاناً للمؤمنين أنه هو القادر على ذلك.

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ بتلاوة القرآن، وذلك بتدبره في ألفاظه ومعانيه ومعرفة أحكامه وأوامره ونواهيه، وهذا الأمر يقتضي إبلاغه للناس وتبشيرهم بالثواب والأجر العظيم إذا عملوا بما فيه وتحذيرهم من العقاب إذا تولوا وأعرضوا عنه ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ ﴾ أي: حافظ أنت

وأمتك على أداء الصلاة في أوقاتها بأركانها وشروطها وواجباتها ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ الصلاة صلة بين العبد وربه وبها ينشرح قلب المؤمن ويتعلق بربه فيرجو دائما ثوابه ويخاف عقابه، فصلاته تنهاه عن إتيان الفواحش أيا كان مسماها والمنكرات أيا كانت صفتها ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: إن ذكر الله هو الأعم والأشمل للمنع من الفحشاء والمنكر، فما دام العبد يذكر الله في قلبه وبلسانه في الصلاة وفي غيرها، فهو يستشعر في كل وقت عظمته في نفسه ويعرف أنه معه بعلمه ويعرف أن عليه حفظة يكتبون ما يقول وما يفعل، فمن كان هذا صنيعه بذكر الله وخشيته منه فلن يرتكب فاحشة ولا منكرا ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ أي: يعلم ما يفعله عباده من خير وشر، وكل سيُجزى بما عمل.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير وجوب تلاوة القرآن بتدبر ألفاظه ومعانيه وتحكيم أحكامه في أوامره ونواهيه. وفيهما: وجوب إقامة الصلاة في أوقاتها وإقامتها بأركانها وشروطها وواجباتها. وفيهما: الدلالة القطعية على أن الصلاة تحجز صاحبها عن إتيان الفواحش والمنكرات وفي حديث أبي هريرة: أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق فقال: (**إنه سينهاه**

ماتقول)[١]. وفيهما: وجوب ذكر الله في السر والعلن وشاهده قوله عزوجل ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾[٢]. وقوله عز ذكره في ثنائه على المؤمنين ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ الآية[٣]. وفي الحديث القدسي **(إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم)**[٤].

﴿ ۞ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ هذا توجيه من الله عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ والمؤمنين أن تكون مجادلتهم لأهل الكتاب مجادلة حسنة؛ لإقناعهم بصدق النبوة والرسالة، وأن الإسلام هو الدين الحق الذي من ابتغاه اهتدى، ومن أعرض عنه ضل وشقى ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ ﴾ هذا استثناء من المجادلة الحسنة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٢ ص٤٤٧ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٥٢ .

(٣) سورة آل عمران من الآية ١٩١ .

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٣٩٥، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (ويحذركم الله نفسه) برقم (٧٤٠٥).

للذين يجانبون الحق ويعرضون عنه ويكيدون للإسلام ويحاربونه، فهؤلاء لهم حكم يختلف وهو معاداتهم ومقاتلتهم ما لم تكن ثمة عهود معهم ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ الإسلام: دين الشمول، والدين الحق والمسلمون يصدقون جميع الكتب المنزلة من السماء كما أنزلت، وقبل أن يعتريها التحريف والتأويل ويصدقون جميع الرسل دون تفريق بينهم، فإذا حدث أهل الكتاب بأمر قد صدقه الإسلام، فالمسلمون يؤمنون به وإن تحدثوا بشيء لم يعرف من الإسلام صدقه أو كذبه فلا يكذب ولا يصدق؛ لأنه قد يكون حقا، وقد يكون باطلا ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٌ﴾ أي: يقال لهم إلَهنا وإلَهكم هو الله الواحد الأحد الذي لا إلَه لنا سواه ولا معبود لنا إلا هو ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ أي: مستسلمون له بالطاعة.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير جواز مجادلة أهل الكتاب مجادلة حسنة تستهدف إقناعهم بأن الإسلام خاتم الأديان، وأن الله اختاره لهداية البشرية وتخليصها من الوثنية والطغيان وإقناعهم بأن رسول الله محمداً ﷺ خاتم الأنبياء أرسله الله؛ ليجدد دينه ويعلي كلمته في الأرض. وفيها: تقرير أن هذه المجادلة محصورة في الذين يريدون الحق. أما الذين يريدون معاداة الإسلام ومحاربته فلهم حكم آخر هو

معاداتهم وقتالهم مالم يكن لهم ذمة أو عهد. وفيها: وجوب تصديق ما يقولون إذا كان قد ورد النص على صدقه في كتاب الله، أما مالم يرد فلا يكذب ولا يصدق فقد يكون حقا، وقد يكون باطلا وفي حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: (**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم**) الآية[1].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ﴾ أي: أنزلنا إليك القرآن كما أنزلنا الكتب على الرسل من قبلك كموسى وداود وعيسى ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ﴾ أي: إن الذين أوتوا الكتاب كالتوراة يؤمنون بالقرآن مثل: عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي؛ لأنهم عرفوا من كتابهم أن القرآن كتاب منزل من عند الله ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٥٢٥، كتاب التوحيد، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية . برقم (٧٥٤٢).

مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾ أي: من العرب وغيرهم من الأجناس من يؤمن به ويصدقه ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ أي: ما يجحد القرآن وغيره من آيات الله إلا الذين زاغت أبصارهم وعميت قلوبهم فكفروا بالله.

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ أي: ما كان رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه القرآن يقرأ أو يكتب، بل كان أميا والكفار يعرفون ذلك عنه ﴿ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ أي: لو كنت تقرأ وتكتب لقال أعداؤك من السفهاء والجهال والمعادون لك أنه تعلم ما يقوله من الكتب السابقة ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ أي: إن هذا القرآن آيات واضحة، حفظه أولو العلم في صدورهم جيلا بعد جيل، وقرنا بعد قرن محفور بنوره في قلوبهم، لا يتطرق إليه تبديل أو تحريف ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ أي: ما يعرض عنها ويكذبها إلا المعاندون للحق الجاحدون له.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن رسول الله ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، وفي هذا إبطال لما قاله أو يقوله المشركون والكفار أن رسول الله ﷺ أتى بالقرآن من عنده وأمية رسول الله ﷺ معروفة في الكتب السابقة

كما قال عز وجل ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾(١). كما أن أميته معروفة عند العرب من كفار قريش وغيرهم؛ لأنهم يعرفون أنه لم يتعلم القراءة ولا الكتابة وهو يعيش بين ظهرانيهم.

وفيها: الحكم أن الله هو الذي أنزل القرآن آيات بينات، حفظه أهل العلم في قلوبهم وحفظه الله من التحريف والتبديل كما قال عز وجل ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٢). وفي الحديث: يقول الله تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ: (**إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظانا**)(٣). وفيها: أن آيات الله ومنها: كتابه العزيز لا يجحدها إلا المعاندون المستكبرون عن الحق والمعرضون عنه، فهؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٧ .

(٢) سورة الفرقان من الآية ٦ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٤ ص١٦٢ .

فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ هذا بيان من الله عن قول المشركين وتعنتهم في طلب آيات يأتي بها رسول الله من ربه؛ لكي يصدقوا أنه نبي كما أوتي موسى الآيات التسع وأوتي صالح الناقة ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ لما قال المشركون مقولتهم هذه أمر الله رسوله محمدا ﷺ أن يقول لهم: إن أمر الآيات عند الله، فهو العليم بأحوال عباده وما ينفعهم وما يضرهم، فلو علم أن إرسال الآيات تنفعكم لأرسلها؛ لأنه على كل شيء قدير كما أمره الله أن يقول لهم ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: مأمور من الله أن أبلغكم رسالته وأنذركم العذاب إذا توليتم وأعرضتم عن الحق.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ المراد بذلك مشركو مكة الذين طلبوا الآيات والمعنى: ألم يكفهم آية هذا الكتاب الذي أنزل عليك، فيه أخبار الأمم الماضية، وما حل بها من العذاب، وفيه البينات والأحكام التي من تمسك بها اهتدى إلى الطريق المستقيم؟ ألم يكفهم أن هذا الكتاب أنزل عليك يا محمد وأنت أمي لا تقرأ ولا تكتب، ثم جئتهم بهذا القرآن العظيم مما يدل على نبوتك

ورسالتك ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إن في هذا القرآن لرحمة للمؤمنين بما فيه من الهدى، وفيه عظة وعبرة لهم عندما يتدبرون ويعرفون ما فيه من أخبار الأمم السابقة وما حل بها من النقم عندما أعرضت عن الحق ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يقول للمشركين: يكفي أن يكون الله هو الشاهد علي وعليكم، فإن كنت كاذبا فسوف يحاسبني على كذبي، وإن كنتم كاذبين فسوف يحاسبكم على تكذيبكم؛ لأنه ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا يخفى عليه فيها خافية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ أي: إن الذين زاغوا عن الحق وعبدوا غير الله وكفروا به ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: لأنهم فضلوا الحياة الدنيا على الآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن رسول الله ﷺ لا يملك من أمر الآيات شيئا كما طالبه المشركون بذلك، وإنما هو منذر لهم يبين لهم الحق من الباطل، أما هدايتهم فمن عند الله كما قال عز وجل ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[1]. وفيها: أن القرآن هو أكبر معجزة جاء بها رسول الله ﷺ؛ لأن فيه الرحمة للمؤمنين

(١) سورة البقرة من الآية ٢٧٢ .

به وفيه العبر لهم عندما يتدبرون أحكامه وما فيه من أخبار الأمم السابقة وفيه الهداية لمن أرادها وفي هذا قال رسول الله ﷺ: **(ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)**[1]. وفيها: تقرير أن الخاسرين يوم القيامة هم الذين كذبوا الحق واتبعوا الباطل.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ من حماقة المشركين وفرط جهلهم وسفاهتهم طلبهم من رسول الله ﷺ تعجيل العذاب لهم استهزاء وسخرية وقد رد الله عليهم بقوله ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ أي: لولا الأجل الذي كتبه الله لجاءهم في الوقت الذي طلبوه ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: قد يؤخره إلى يوم القيامة،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، برقم (٤٩٨١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٦١٩ .

وقد يأتيهم فجأة دون أن يشعروا به، وقد جاءهم العذاب يوم بدر حين قتل صناديدهم شر قتلة ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي: يسألونك أن تعجل لهم العذاب وهو يوم القيامة محيط بهم لا يحيدون عنه ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ أي: يوم يغطيهم من فوق رؤوسهم ومن أسفل أرجلهم ليكون شاملا لأجسادهم ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ: ذوقوا عاقبة كفركم الذي كنتم تجاهرون به في الدنيا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سفه المشركين وجهلهم في طلب العذاب، تحديا لرسول الله ﷺ، ظنا منهم أن هذا لن يقع لهم. وفيها: الحكم أن تعجيل العذاب أو تأجيله لا يترتب على رغبة أحد، بل يترتب وفق ما يقرره الله بإرادته وحكمته. وفيها: أن عذاب الكافرين سوف يحيط بهم يوم القيامة لا محالة، وسوف يغشى كل أجسامهم كما قال الله عزوجل ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾(١).

﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

(١) سورة الزمر من الآية ١٦ .

ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾ هذا أمر من الله للمؤمنين في مكة أن يهاجروا إلى أرضه الواسعة؛ لإقامة شعائر دينهم بعد أن حاصرهم المشركون وضيقوا عليهم، وقد استجاب المؤمنون لأمر ربهم، فهاجروا إلى الحبشة، فوجدوا عند ملكها حسن المأوى والتأييد ومكث رسول الله ﷺ بعدهم ما مكث ثم أمر بالهجرة إلى المدينة فهاجر إليها مع أصحابه رضوان الله عليهم فأعز الله دينه وأظهره على الدين كله فله الحمد والمنة. ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ أي: لا تعبدوا أحدا غيري فمن عبد غيري معي فهو مشرك كافر لا يستحق مغفرتي.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ هذا حكم من الله حكم به، وقضاء قضى به أن الموت مدرك كل نفس أنى كانت، وحيثما كانت، فالخروج للهجرة أو الجهاد لا يقدم أو يؤخر الموت؛ لأن للموت والحياة آجال قدرها الله ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ أي: بعد مماتها سترجع إلى الله لا محالة للحساب والجزاء ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ

ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ أي: إن الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله وعملوا الأعمال الصالحة بنية خالصة سوف يسكنهم الله جنات تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ﴾ أي: مكتوب لهم الخلود فيها لا يحولون عنها ولا يزولون ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ أي: حسنت وطابت هذه الغرف أجرا على أعمالهم الصالحة ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ﴾ أي: تحملوا الأذى في سبيل دينهم وهاجروا من أجله وجاهدوا لإظهاره ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي: يتوكلون عليه في كل أمر من أمورهم؛ لأنهم يعرفون أنه الحق، وأنه ناصرهم ومعينهم.

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴾ لما أمر جل وعلا المؤمنين بالهجرة من مكة بيَّن أن المؤمنين سوف يجدون رزقهم في أي: مكان يذهبون إليه من أجل دينهم، فكم من دابة في الأرض لا تستطيع حمل رزقها معها، ولكن الله يرزقها في أي: مكان تكون فيه لأنه قد تكفل بأرزاق خلقه في البر والبحر فلا يخشى المهاجر إذن من رزقه في المكان الذي سيهاجر إليه ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ ﴾ أي: كما يرزق الدواب والطيور الضعيفة يرزقكم أنتم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوالكم والعالم ما تكنونه في صدوركم ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴾ بأفعالكم وحركاتكم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب الهجرة من المكان الذي لا يستطيع فيه

المسلم إقامة شعائر دينه؛ لأن الله جعل له في الأرض سعة فيهاجر حيث يستطيع إقامة دينه. وفيها: الحكم بأنه ما من نفس إلا سيدركها الموت كما قال عز وجل ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[1]. ولهذا فإن الخروج للهجرة أو الجهاد لا يقدم ولا يؤخر الموت، وإنما هي آجال كتبها الله. وفيها: أن الله أعد الثواب العظيم للمهاجرين والمجاهدين الذين يخرجون في سبيله ويصبرون على ما ينالهم من المشاق ويتوكلون على الله في إظهار دينهم. وفيها: أن الخروج للهجرة لا يمنع من الرزق، وليس الانتقال من بلد إلى آخر يكون سببا للفقر؛ لأن الله تكفل بأرزاق عباده أنى كانوا كما قال عز وجل ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[2].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

---

(١) سورة النساء من الآية ٧٨ .

(٢) سورة هود الآية ٦ .

بيان الآيات:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾ أي: إن سألت يا محمد المشركين ﴿ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ أي: كوَّنهما من العدم إلى الوجود فرفع السماء من غير عمد وأرسى الأرض بالجبال ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ يجريان في نظام دقيق رحمة للعباد ﴿ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ أي: لَيُجيبنَّك بأن الله هو الذي خلق هذه الآيات، فهم إذن يعترفون بربوبيته ﴿ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ أي: كيف يعدلون عن الحق ويشركون معه غيره؟ بينما هم يعرفون أنه الإلَه الواحد الأحد الذي لا خالق غيره ولا رب سواه ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ﴾ أي: من حكمة الله وقدره أن يوسع الرزق على من يشاء من عباده ويضيقه على من يشاء منهم، فمن يوسع له في رزقه يمتحنه هل يشكر ما أنعم الله به عليه أم يكفر به، ومن يضيق عليه رزقه يمتحنه فيرى ما إذا كان يصبر على قضاء الله أم يسخط عليه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ أي: هو العليم بأحوال خلقه وما فيه خير لهم من الغنى أو الفقر.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾ أي: لو سألت يا محمد هؤلاء المشركين الذين يكذبونك ﴿ مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾ أي: من هو الذي أنزل المطر فأصاب به الأرض فتحولت إلى أرض مخضرة بعد أن كانت أرضا جرداء لا حياة فيها ﴿ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾

أي: ليجيبنك بأن الذي يفعل ذلك هو الله ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: قل لهم حينئذ الحمد لله على اعترافكم بالحق فلماذا إذن لا توحدون الله وتخلصون العبادة له وحده وتتركون عبادة الأصنام والأوثان التي لا تنفعكم بل تضركم؟ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا يعرفون ما ينفعهم وما يضرهم فهم عمي عن الحق.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سفاهة المشركين وجهلهم في كونهم يعترفون بربوبية الله ثم يعبدون معه أصناما يعرفون أنها مخلوقة وأنها أحجار وحطام لا يملك لنفسه نفعا ولاضرا. وفيها: أن الله حين يبسط الرزق لأحد من عباده لا يدل ذلك على محبته له، كما أن تضييقه على أحد منهم لا يدل على عدم رضاه عليه، وإنما هي حكمة حكم بها وقضاء قضى به يبتلي به عباده ليعرف من هو الشاكر ومن هو الكافر منهم، وفي هذا قول رسول الله ﷺ: (**إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا من أحب**)[1].

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج١ ص٣٨٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج١٠ ص٢٩٢، والمنذري في الترغيب والترهيب ج٢ ص٥٤٩ .

مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُ﴾ هذا بيان من الله جل وعلا أن الحياة الدنيا مجرد لهو يلهو ويلعب فيها الغافل والجاهل مدة من الزمن غير مدرك حقيقة مآله، غير أن أولي العقول اليقظة والبصائر النيرة، يعرفون أن الآخرة هي الحياة التي يجب أن يعملوا لها؛ لأن مصيرهم ومردهم إليها طال بهم الأجل أم قصر ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ أي: لو علم الذين يؤثرون الدنيا على الآخرة وأن الآخرة خير لهم لما آثروا الدنيا عليها ولما لهوا ولعبوا فيها.

﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ المراد بهم المشركون، فهم مع اعترافهم بربوبية الله إذا ركبوا في السفن وخافوا من الغرق في البحر يدعون الله وحده ويتركون آلهتهم ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ أي: إذا نجاهم من مخاطر الغرق وأصبحوا في البر سالمين رجعوا إلى عبادة أصنامهم ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ أي: يعودوا إلى الشرك بعد أن نجيناهم من الغرق ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ﴾ أي: ليستمروا في لهوهم ولعبهم وشركهم ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ في هذا تهديد ووعيد لهم بأنهم سيدركون يوم القيامة عاقبة شركهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الدنيا دار لهو ولعب، أما الآخرة فهي الحياة الأبدية، وأن العقلاء هم الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا وفيها: الإخبار بأن مشركي العرب كانوا يعترفون بربوبية الله عزوجل، وأنه فاطر السموات والأرض ومدبر الكون ومصرفه ولكنهم لفرط جهلهم كانوا يشركون معه في ألوهيته فيدعون معه أصنامهم وأوثانهم وهذا مما أحبط أعمالهم كما قال عزوجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]. ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾[2]. وفيها: أن المشركين يخلصون العبادة لله وحده عندما يجدون أنفسهم في خطر البحر وغيره، ولكنهم يعودون إلى ضلالهم عندما يخرجون منه سالمين كما قال تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾[3]. وفيها: الوعيد للذين يكفرون بآيات الله، وأنهم عندما يتمتعون في الدنيا ويلهون عن الآخرة سيدركون يوم القيامة عاقبة عملهم.

---

(١) سورة الزمر الآية ٦٥ .

(٢) سورة الزمر الآية ٦٦ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٦٧ .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ
أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى
لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ المراد هنا كفار قريش يذكرهم الله أنه جعل لهم حرما آمنا مطمئنين فيه، لا يعتدى عليهم ولا يتعرض لهم أحد بسوء فيه ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ أي: بينما هم على تلك الحال من الأمن، فإن الناس من حولهم يتخطفون أي: يتعرضون للقتل والسلب ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أيؤمنون بعبادة الأصنام والأوثان ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ أي: يجحدون ما أنعم الله به عليهم من الأمن والأرزاق التي تأتيهم من كل مكان.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾
أي: لا أحد أظلم من هؤلاء المشركين الذين افتروا على الله الكذب فأحلوا ما حرمه وحرموا ما أحله، وعبدوا الأوثان، وكذبوا بما جاءهم به رسول الله من الآيات البينات ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ هذا استفهام تقريري مفاده أن جهنم هي المقر والمسكن للكافرين.

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ المراد بذلك رسول الله ﷺ والمؤمنون معه وكل مؤمن جاهد في الله لإعلاء كلمته ونصر دينه أن الله سيدله ويرشده إلى معرفة ما يوصله إلى رضاه ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: إن الله يعين كل محسن تقرب بإحسانه إليه فعمل صالحا وأخلص نيته له في عبادته وفي جهاده وفي إنفاقه من ماله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تنديد الله بكفار قريش لجحودهم نعم الله حين جعلهم مجاورين لبيته الحرام الذي حرَّمه وجعله مثابة للناس وأمنا كما قال جل وعلا ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾[(١)]. ﴿ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴾[(٢)]. ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾[(٣)]. ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾[(٤)]. وفيها: تقرير أنه لا أحد أظلم ممن يفتري على الله الكذب بتحريم ما أحله أو تحليل ما حرمه، ولا أحد أظلم ممن كذب بالحق لما جاءه وهو عبادة الله وحده ثم جعل معه شريكا. وفيها: وعد الله ووعده الحق أن الذي جاهد في سبيله ابتغاء إعلاء كلمته سوف يهديه إلى ما يبلغه مرضاته.

---

(١) سورة قريش الآية ١ .

(٢) سورة قريش الآية ٢ .

(٣) سورة قريش الآية ٣ .

(٤) سورة قريش الآية ٤ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الروم

مكية وآياتها ستون آية

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ
غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ
وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ
مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ أي: انهزمت الروم وغُلِبت من قبل فارس، والروم: مجموعة من الأمم في أوربا منهم: الرومانيون أهل إيطاليا ومنهم مجموعات من الصقالبة والأغارقة اليونانيين، وقد كونوا مملكة كبرى، جزء منها في أوربا والجزء الآخر في آسيا الصغرى المعروفة بالأناضول، وقد عرفهم العرب بالروم.

وبسبب الحروب بين الرومان واليونانيين اتسعت مملكة الرومان جراء فتوحات يولويس قيصر لمصر وشمال إفريقيا واليونان ثم انضمت

إليها مملكة بيزنطة الواقعة على البسفور.

ولما أصبح القيصر قسطنطين ملكاً لروما جعل لمملكته عاصمتين الأولى: غربية هي روما والثانية: شرقية هي القسطنطينية وقد اشتهرت هذه أكثر من الأولى. ولما مات القيصر قسطنطين واقتسم أولاده مملكته صارت القسطنطينية هي مملكة الروم وصارت روما مملكة الرومان.

وفي عام ستمائة وخمسة عشر للميلاد غزا خسرو بن هرمز ملك فارس أطراف دولة الروم التي كان يحكمها آنذاك هرقل فتمكن خسرو من هزيمة الروم في بلاد الشام وهذا معنى قول الله تعالى ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ وقوله ﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: إن الهزيمة التي وقعت للروم كانت في الأرض الواقعة بين بصرى وأذرعات القريبتين من أرض العرب ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ ﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ وفي هذا روي أن المشركين في مكة كانوا يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم؛ لأنهم وإياهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب مثلهم فكانت فارس يوم نزلت ﴿الٓمٓ﴾ ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ قاهرين للروم فذكروه لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: **(أما إنهم سيغلبون)** ونزلت هذه الآية، فخرج أبو بكر

يصيح في نواحي مكة ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾ ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَ ﴾ فقال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بيننا وبينكم، زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟ قال: بلى، وكان هذا قبل تحريم الرهان فقالوا لأبي بكر كم تجعل؟ البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطا ننتهي إليه؟ فسمى أبو بكر لهم ست سنين، فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان فمضت ست السنين قبل أن يظهر الروم، فأخذ المشركون رهن أبي بكر وقال رسول الله ﷺ: **(ألا احتطت يا أبا بكر فإن البضع ما بين الثلاث إلى التسع)**[١] فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين وأسلم عند ذلك أناس كثيرون.

وفي رواية: أنهم بعد أن جعلوا الأجل ستة أعوام غيروه فجعلوه تسعة أعوام وزادوا في عدد القلائص، وأن أبا بكر لما أراد الهجرة مع رسول الله ﷺ تعلق به الذي راهنه وهو أبي بن خلف وقال له: أعطني كفيلا بالخطر إن غلبت، فكفله ابنه عبد الرحمن وكان مقيما في مكة، وأنه لما أراد أبي بن خلف الخروج إلى أحد، طلبه عبدالرحمن بكفيل فأعطاه كفيلا. ثم مات أبيٌّ بمكة من جرح جرحه رسول الله

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب (٣١)، سنن الترمذي ج٥ ص٣٢٠، برقم (٣١٩١).

ﷺ فلما غلبت الروم بعد سبع سنين أخذ أبو بكر الخطر من ورثة أبي بن خلف[١].

﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ أي: له الأمر والحكمة في غلبة فارس للروم ثم غلبة الروم على فارس من بعد ذلك ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾. ﴿بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: بنصر الروم على فارس وقيل: إن ذلك النصر كان يوم وقعة بدر بين المسلمين والمشركين[٢]. ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ﴾ أي: ينصر من يشاء من عباده كما نصر الروم على فارس ونصر المسلمين على أهل الشرك ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ القادر على نصر عباده المنتقم لهم من أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بأوليائه.

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ أي: إن ما حدث من نصر الروم على فارس هو الوعد الذي وعدناك به يا نبينا محمداً بأن الروم سيغلبون في بضع سنين ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون حكمة الله في خلقه وتدبيره لهم وتصرفه فيهم والله وعده حق ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ أي: يعلم أكثر الناس أمور الدنيا وأسبابها وكيفية عمرانها؛ وذلك لاهتمامهم بها وحبهم لها، بينما هم يغفلون عن أمور الآخرة وأسبابها

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٠٨-٤٠٩، والجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٢-٣ .

(٢) تفسير البغوي ص١٠٠٣ .

ويتركون الأعمال الصالحة التي تكون سببا لهم في منازلها مع أولياء الله الصالحين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن رسول الله ﷺ قد صدق فيما أخبر به عن ربه من غلبة الروم على فارس كما قال عز وجل ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾[١]. ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[٢]. وفيها: الحكم بأن الله لا يخلف عباده ما يعدهم به من النصر والتأييد كما قال عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾[٣]. وفيها: تقرير أن أهل الكتب المنزلة من السماء هم أقرب إلى المسلمين من الملحدين والدهريين الذين لا يؤمنون بالبعث وينكرون الحياة بعد الموت. وفيها: أن أكثر الناس يعلمون ظواهر الحياة الدنيا وأسبابها المادية التي هي مجرد حطام، بينما يغفلون عن الأسباب الموصلة إلى الحياة الأخرى التي إليها معادهم وفيها مقامهم وقرارهم الأبدي.

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ

(١) سورة النجم الآية ٣ .
(٢) سورة النجم الآية ٤ .
(٣) سورة آل عمران من الآية ٩ .

﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ
مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ
أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم﴾ أي: ألم يتفكر هؤلاء المكذبون بالبعث المنكرون لرسالة الله التي جاءهم بها رسول الله ﷺ والمراد بهم مشركو مكة فيعرفوا أن الله هو الذي أوجدهم من العدم، وأنه هو الذي خلقهم وصورهم وجعل لهم السمع والبصر والعقل ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: أنه جل وعلا خلق السموات والأرض وما بينهما لحكمةٍ وقضاءٍ قدَّره ولم يخلقهما عبثا، بل جعلهما مكانا لعبادته وشكره وسخر لخلقه فيهما: كل أسباب الحياة، إلى أن ينتهي الأجل الذي أجَّله فتطوى السماء وتندثر الأرض ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ ومع هذه الآيات التي يرونها في أنفسهم، وفي خلق السموات والأرض؛ فإن الكثير من الناس، والمراد بهم المشركون والملاحدة لا يؤمنون بلقاء ربهم مما يدل على ضعف تفكيرهم.

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: لم يتفكروا بعقولهم ومداركهم ﴿فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ أي: ينظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم مثل عاد وثمود وقوم فرعون، فقد كانت لهم قوة من العمران والمال أكثر مما لهؤلاء ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾ أي: حرثوها للزراعة وعمروا الأرض أكثر مما عمرها هؤلاء المشركون فكانت قوتهم أشد وحضارتهم أقوى ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ كما جئت يا محمد قومك بها فكذبوهم فأهلكهم الله ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ أي: لم يهلكهم الله عبثا؛ لأنه لا يظلم عباده ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ أي: هم الذين ظلموا أنفسهم؛ بسبب شركهم وكفرهم ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ أي: كان الهلاك والدمار والخسران عاقبة الذين أساؤوا أعمالهم؛ بتكذيبهم آيات الله واستهزائهم بها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب تفكر المرء في خلق الله وذلك بالتفكر في نفسه كما قال عز وجل ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[١]. والتفكر في خلق الله لمخلوقاته كالسموات والأرض والتفكر فيما حل بالأمم

---

(١) سورة الذاريات الآية ٢١ .

الماضية من الهلاك؛ بسبب طغيانها وتكذيبها لرسلها. وفيها: الحكم أن الله لا يظلم أحدا من خلقه، ولكنه يعاقب من ظلم نفسه، وذلك بعصيانه لله والإعراض عن عبادته. وفيها: أن عاقبة السوء المتمثل في الاستهزاء بآيات الله هي العقاب الشديد.

﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ هذا بيان من الله تعالى أنه هو الذي يخلق الخلائق بقدرته ثم يميتهم ثم يعيدهم أحياء ﴿ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ أي: يرجعون إليه للحساب والجزاء ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ أي: إذا رجعوا إلى الله يئسوا من رحمته، بسبب سوء عملهم في الدنيا ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ ﴾ أي: سيجدون يوم يرجعون إلى الله أن الذين كانوا يعبدونهم من دونه لا يشفعون لهم من العذاب الذي يجدونه ماثلا أمامهم ﴿ وَكَانُواْ

بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ أي: يتبرؤون منهم ومن عبادتهم، ولكن ذلك لا ينفعهم بشيء ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ أي: ينقسم الناس فيذهب المؤمنون إلى الجنة، ويذهب الكافرون إلى النار ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي: الذين أخلصوا العبادة لله وأطاعوه وأطاعوا رسوله ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ أي: ينعمون في الجنة ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ أي: الذين كفروا بالله وكذبوا آياته وأنكروا البعث ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ أي: يقربون إلى النار، فيدخلونها ويقيمون فيها ولا يخرجون.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الذي ينشئ الخلق قادر على إعادته كما قال عز وجل ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1]. وفيها: أن المجرمين ييأسون من رحمة الله يوم القيامة؛ لأنهم يجدون أن من عبدوهم لا يغنون عنهم من الله شيئاً، بل يتبرأ كل منهم من صاحبه، وحينئذ يتفرق الناس إلى فريقين: فريق في الجنة، وهم المؤمنون وفريق في السعير وهم الكافرون.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨ .

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ
مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ
تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ
تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ في هذا وصف، وأمر، أما الوصف: فإن الله عز وجل له الكمال المقتضي تنزيهه عن النقص، وأما الأمر: فهو أمره عز وجل لعباده أن يسبحوه في صباحهم ومسائهم، وهذا يشمل تسبيحهم له في صلواتهم في الغداة والعشي ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: وله الحمد وحده في السموات والأرض، فلا يُحمد أحد سواه؛ لأنه المستحق للحمد من خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه ﴿ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ أي: سبحوه حين يأتي وقت العشي وحين يأتي وقت الظهر ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ هذا بيان

من الله عزوجل عن قدرته الكاملة في إيجاد الشيء بما يقابله بما هو من ضده فيخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن، ويخرج الحب من النبات ويخرج النبات من الحب ويحيي الأرض الميتة بالمطر، فكل هذا بقدرته وتصريفه ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أي: وكما هو قادر على ذلك، قادر على إخراج الموتى أحياء من قبورهم بعد أن كانوا ميّتين.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ أي: ومن آياته الدالة على عظمته وكمال قدرته أن خلق أباكم آدم من طين، وخلق زوجته منه، ثم تناسلتم، فكنتم أمما تنتشرون في الأرض كما قال عز وجل ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ قوله ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ أي: ومن آياته العظيمة وكمال صنعه وفضله عليكم أن جعل لكم من أنفسكم إناثا يكن لكم أزواجا تسكنون إليهن، وذلك بكونهن من جنسكم فتسكنون إليهن، وتأنسون بهن ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ أي: جعل بينكم وبين أزواجكم مودة وهي هنا المحبة نتيجة التآلف والعشرة، كما جعل بينكم رحمة أي: ترحمونهن لما يقمن به من ولادة الولد وحمله وإرضاعه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: إن هذه الآيات العظيمة لا يدركها إلا الذين يتفكرون في خلق الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب حمد الله وتسبيحه في الغدو والعشي كما قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾[١]. ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[٢]. وفيها: الدلالة على عظمة الله وقدرته في خلق الأشياء المتضادة، فيخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي. وفيها: الدلالة على كمال قدرته وعظيم صنعه في إنشاء الخلق من تراب، ثم تناسلهم وانتشارهم أمما في الأرض مختلفي اللغات والألوان. وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: **(إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب)**[٣]. كما أن من آياته الدالّة على عظمته: أن جعل لخلقه من الذكور أزواجا من جنسهم؛ لكي يسكنوا إليهن، ثم غرس بينهم المحبة والرحمة؛ لتكوين الأسرة وحفظ النوع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ

(١) سورة الأحزاب الآية ٤١ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٢ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب (٣)، من سورة البقرة، برقم (٢٩٥٥)، سنن الترمذي ج٥ ص١٨٧، وأبو داود في كتاب السنة، باب في القدر، برقم (٤٦٩٣)، سنن أبي داود ج٤ ص٢٣١، والإمام أحمد في المسند ج٤ ص٤٠٠ .

وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم
بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ
ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: من آياته الدالة على عظمته وكمال قدرته أنه أنشأ السموات بما فيها من الكواكب وبهذا الارتفاع الذي لا تدركه الأبصار، وأنشأ الأرض بما فيها من الجبال والأنهار والبحار والدواب ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ ومن هذه الآيات: اختلاف اللغات بين البشر، فما من أقوام قلُّوا أم كثروا إلا ولهم لغات يتخاطبون بها، ولم تكن هذه اللغات بين البشر، بل جعل للدواب والطير لغات يتحدثون بها في نظام وإعجاز لا يقدر عليه إلا الله عز وجل ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ أي: ومن آياته العظيمة اختلاف الألوان بين خلقه، فهذا أبيض وهذا أسود وهذا أحمر وهذا أصفر، فلا تجد واحدا يشبه الآخر، فإن بدا أنه يشبهه في اللون فلا بد أنه يختلف عنه في عدد من الخواص الأخرى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ أي:

إن في هذه الآيات العظيمة عبراً للعالمين المقرين بقدرة الله وعظمته وكمال صنعه.

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ أي: ومن آيات الله الدالة على عظمته وقدرته: أن جعل النوم في الليل راحة تسكن فيه الأجسام من التعب والكلل، وجعل النهار للسعي والانتشار؛ لطلب الرزق الذي فيه قوام الحياة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ أي: إن في هذه الآيات عبراً للذين يعون الحقائق ويدركونها.

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ أي: ومن آياته الدالة على عظمته أنه يري عباده البرق فتكون رؤياهم له، إما خوفا مما قد يعقبه من الصواعق القاتلة، أو تكون رؤياهم له طمعا في نزول المطر الذي يحيي أرضهم ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ أي: ومن آياته: أنه القادر على إنزال المطر من السماء لكي يحيي به الأرض التي همدت واغبرت ويبس نباتها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ أي: لا يفهم هذه الآيات العظيمة إلا الذين يعقلون، فيعرفون أن الله هو القادر وحده على إنشاء السحاب وإنزال المطر ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ أي: ومن آياته الدالة على عظيم صنعه وكمال

قدرته: أن السموات والأرض قائمة على تدبيره وتصريفه لها منذ أن خلقها وكونها كما قال عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا﴾[١]. ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ أي: ومن آياته الكبرى: أنه عند أمره بقيام الساعة يخرج الناس من قبورهم يرجعون إليه كما قال تعالى ﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ﴾[٢]. ﴿مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ﴾[٣].

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تعداد ووصف لآيات الله، يبين فيها لعباده عظمة خلقه وكمال صنعه وأن عليهم أن يعبدوه وحده. وفيها: تقرير حكمة الله في اختلاف ألسنة خلقه وألوانهم؛ ليكون في ذلك عبرة لهم. وفيها: حكمته في جعل الليل سكنا لخلقه، وجعل النهار مبتغاهم في طلب رزقهم ومعاشهم كما قال عز وجل ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا﴾[٤]. ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا﴾[٥]. وقد اقتضت هذه الحكمة عدم قدرة الخلق على تغيير ما أودعه الله في أجسامهم، وجعله نظاما لهم يسيرون عليه.

---

(١) سورة فاطر من الآية ٤١ .
(٢) سورة القمر الآية ٧ .
(٣) سورة القمر الآية ٨ .
(٤) سورة النبأ الآية ١٠ .
(٥) سورة النبأ الآية ١١ .

وفيها: أن من آيات الله ما فيه تخويف للعباد، فالبرق وما ينتج عنه من الصواعق يكون تذكيرا لهم بقوة الله وفيه طمع لهم في إنزال المطر عليهم حين يكونون في شدة من عسرهم وانقطاعه عنهم. وفيها: أن الذين يدركون عظمة آيات الله هم الذين يعونها من قلوبهم ويعقلونها بأفهامهم ومداركهم.

﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ أي: كل من في السموات من الملائكة وفي الأرض من الجن والإنس كلهم عبيده وتحت ملكه وتصرفه يدبرهم حين شاء ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ أي: كلهم خاضعون لمشيئته وإرادته ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ أي: هو الذي أنشأ الخلق، وأوجدهم من العدم، وهو الذي يعيدهم أحياء بعد موتهم ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴾ أي: إن الإعادة أيسر عليه والمراد هو إفهام المنكرين للبعث المكذبين به أن إحياء الخلق بعد مماتهم أمر يسير على الله؛ لأنه كما خلق الخلق ويميتهم فمن الهين عليه

جل وعلا بعثهم وهو في كل الأحوال قادر على كل شيء لا يصعب عليه أمر ولا يعجزه شيء في السموات والأرض ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا مثيل له فيهما؛ لأنه الرب الواحد الأحد والإلَه الواحد الأحد ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: القوي في سلطانه الحكيم في تدبيره وتصريفه لخلقه.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن الله هو الذي يخلق الخلق إنسهم وجنهم ثم يعيدهم، وإعادتهم أهون عليه، مع أنه لا يصعب عليه أمر ولا يعجزه شيء في السموات والأرض. وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: (**يقول الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد**)[١].

وفيهما: الحكم بوحدانية الله، وأنه لا مثيل له، وأنه الرب الواحد الأحد والإلَه الواحد الأحد ليس كمثله شيء.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٦١١، كتاب التفسير، سورة (قل هو الله أحد) باب (١)، برقم (٤٩٧٤).

مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ﴾ المخاطب المشركون يقول الله سبحانه لهم: إن الله جعل لكم مثلا من سلوككم في عنادكم حيث تزعمون الشرك لله. ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ أي: هل أنتم تجعلون مماليككم شركاء لكم فيما رزقكم الله من الأموال، والجواب بالنفي؛ لأنه لا أحد يجعل مماليكه شركاء له في ماله، بل ذلك مستحيل فما دام هذا هو الأمر الواقع فلماذا تجعلون مع الله شريكا في عبادته وهو من مخلوقاته؟ ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ أي: تخشون أن يقاسمكم مماليككم أموالكم، فما دمتم بهذا السلوك فكيف تجعلون مع الله شريكا في عبادته؟ ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: ضربنا الأمثال وبيناها للذين يعقلون ويعرفون أن الله حق وأنه المستحق للعبادة وحده.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ﴾ أي: اتبع المشركون

أهواءهم فجعلوا لله شركاء في عبادته ولم يكن ذلك نتيجة علم بل تبعا لأهوائهم وفساد سلوكهم وقلوبهم ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ أي: لا أحد يهدي من أضله الله ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ أي: لن يجد المشركون أحداً يهديهم إذا أضلهم الله.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير أن الله يضرب الأمثال للناس؛ لتقريب المعاني والبينات إلى افهامهم ترشيدا وهداية لهم، ومن ذلك ضرب المثل بالسلوك الذي تسلكه النفس وتفعله. وفيهما: أن الهوى هو السبب في معصية العباد كما قال عز وجل ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ الآية[1].

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ الخطاب والأمر لرسول الله

---

(١) سورة الجاثية من الآية ٢٣ .

ﷺ وهو خطاب وأمر لأمته والمراد: وجِّه وجهك للدين الحنيف وهو الإسلام الذي شرعه الله لك واستقم عليه ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ أي: إن هذا الدين هو الخلقة التي خلق الله الإنسان وجبله عليها وهي الإيمان به وتوحيده في عبادته ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا تبديل لدين الله ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي: هو دين الفطرة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إن غالبهم لا يعلم هذه الحقيقة ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ أي: أنتم أيها الناس راجعون إلى الله ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ أي: اخشوه ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: حافظوا عليها في أوقاتها، وأقيموا أركانها وشروطها، وقد خصها الله بالذكر؛ لأنها الجامع لعبادته ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: تبرؤوا من الشرك وأهله وأخلصوا العمل لله وحده.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ أي: لا تكونوا من الذين تفرقوا في دينهم فكانوا طوائف وأحزابا ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أي: إن كل طائفة وحزب يتحزب لطائفته وحزبه ويرى أنها وحدها على الحق.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بوجوب الالتزام بدين الإسلام؛ لكونه دين

الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهي عبادته وحده، وقد أخذ الله على عباده الميثاق بذلك وهم في ظهور آبائهم كما قال عز وجل ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[1]. وفيها: التحذير من تبديل هذه الفطرة وفي هذا روى أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟**) ثم يقول ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[2]. وفيها: وجوب الإنابة إلى الله بتقواه في السر والعلن وإقام الصلاة بوصفها الجامعة لذكر الله وخشيته. وفيها: التحذير من التفرق في الدين والانقسام إلى شيع وطوائف تدعي كل منها أن الحق معها كما فعل أهل الكتاب والملل الأخرى وفي هذا قال تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ: إنك لست من هؤلاء فأنت منهم على فراق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٧٢ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٣٧٢، كتاب التفسير، سورة الروم، باب (لا تبديل لخلق الله)، برقم (٤٧٧٥).

(٣) سورة الأنعام من الآية ١٥٩ .

قلت: ولعل أمة المسلمين تعي حق الوعي هذا التوجيه الرباني العظيم فتلتزم الوحدة في دينها، كما جاء به رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تبديل ولا تأويل؛ ذلك أن تفرقها في الدين سبب مؤكد لتفرقها في كل أمر آخر، فإذا افترقت ضعفت، وإذا ضعفت هانت على أعدائها فيغزونها من داخلها فينتصر هذا العدو لهذه الطائفة، وينتصر ذلك العدو لهذا الحزب وتنسى الأمة حقيقتها، وعندئذ يكون عدوها هو المنتصر وهي الخاسرة.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ
رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟
بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن
يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل وهو الخبير بأحوال خلقه وسلوكهم أنه إذا مسهم ضر في أبدانهم أو أموالهم أو أولادهم دعوا الله منيبين إليه يطلبون منه

كشف الضر عنهم ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ أي: إذا كشف عنهم الضر فأنزل عليهم رحمته من الصحة والمطر والولد تنكر كثير منهم فعبدوا الأصنام وجعلوها آلهة من دونه. ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ أي: جعلوا مع الله شريكا رغم نعمه عليهم ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ أيها المشركون بما أنعم الله به عليكم في الدنيا ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ أي: سوف تعلمون يوم القيامة عاقبة فعلكم.

﴿أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنًا﴾ هذا استفهام إنكاري والمراد هل جاءهم بفعلهم هذا المتمثل في دعائهم حال الشدة وكفرهم حال الرخاء حجة أو برهان؟ ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ﴾ أي: ينطق بشركهم ويأمرهم به، وهذا مستحيل، وإنما كان السبب اتباعهم لأهوائهم واتباعهم للشيطان ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً فَرِحُواْ بِهَا﴾ أي: إذا أنعمنا على بعض الناس فوهبناهم رحمة في صحتهم أو مالهم أو ولدهم فرحوا بها واستمتعوا بها ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾ أي: إن أصابهم مرض أو جدب بسبب ذنوبهم وكفرهم قنطوا من رحمة الله وتطيروا ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ أي: ألم يدرك هؤلاء بعقولهم أن الله بحكمته يبسط الرزق وييسره لمن يشاء من عباده ويضيق على من يشاء منهم وكل ذلك بحكمته وقدره ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ

﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ أي: في هذا عبر لعباد الله الذين يؤمنون بعظمة الله وقدرته وتدبيره لخلقه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سفه المشركين وجهلهم وضعف مداركهم أنهم يدعون الله عندما يصابون بالشدة، وعندما ينزل عليهم رحمته يعودون إلى ضلالهم فيعبدون معه غيره. وفيها: تهديد لهم بأنهم سيجدون سوء عاقبة فعلهم يوم القيامة. وفيها: تقرير أنه ليس لهم حجة أو برهان فيما يفعلونه وإنما اتبعوا أهواءهم فأضلهم الشيطان. وفيها: أن فريقا من الناس وهم السفهاء والجهلة إذا أصابهم الله برحمة منه كالصحة وإنزال المطر يفرحون بها وإذا أصابهم جدب أو مرض بسبب ذنوبهم يئسوا من رحمة الله وتبرموا مما أصابهم. وفيها: تقرير حكم الله وتدبيره في خلقه أنه يوسع الرزق على من يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء منهم وكل هذا بحكمته.

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ

ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ هذا عطف على ما قبله وهو أن الله عزوجل لما بيَّن أنه بحكمته يبسط الرزق لمن يشاء ويقدره على من يشاء من عباده أوجب على المسلم أن يؤتي قريبه حقه فينفق على من تجب عليه نفقته كالوالد والولد ومواساة من لا تجب عليه نفقته بإعطائه من زكاته أو من صدقته الأقرب فالأقرب ﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾ وهو الذي لا مال له ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ والمراد به المنقطع في سفره ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ أي: إن في هذا العمل خيراً كثيراً للذين يبتغون مرضاة الله، ويحبون لقاءه، ليجازيهم على أعمالهم الحسنة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون في الدنيا والآخرة.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: ما أعطيتم من عطية أو نفقة أو هدية تريدون أن يأتيكم أكثر منها، فهذا لا أجر له عند الله؛ لأنه عمل دنيوي يراد أن يقابله عمل أكثر منه ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ أي: ما تأتونه من زكاة أو عطية تبتغون بها وجه الله، فإن الله يضاعف لكم الأجر والثواب.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ أي: هو الذي أنشأكم من العدم إلى الوجود ثم رزقكم أي: يسَّر لكم أسباب الرزق لحفظ أنفسكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ أي: بعد انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ أي: يبعثكم أحياء مرة أخرى؛ لترجعوا إليه ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ أي: هل يفعل شركاءكم الذين تعبدونهم من دوني شيئاً من الخلق والرزق والحياة بعد الموت؟ والجواب بالنفي ومادام الأمر كذلك قطعا؛ فإن من السفاهة والحماقة أن تفعلوا ما فعلتم.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تنزه وتقدس وتعالى عن الشريك والمثيل.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب بذل النفقة للأقارب وهي على نوعين: نفقة واجبة للوالدين والولد كما قال تعالى في حق الوالدين ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[1]. والقضاء هنا بمعنى الأمر والإلزام، وأول الإحسان: إنفاق الولد على والديه، وقال تعالى في وجوب النفقة للولد ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[2].

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٢٣ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٣٣ .

النفقة الثانية: نفقة مستحبة وهي للقريب الذي لا تلزم نفقته كالأخ المحتاج، والأخت المحتاجة ونحوهما فالصدقة على هؤلاء فيها أجران أجر الصدقة وأجر القربى. وفي هذه الآيات: وجوب إعطاء الفقير وذي الحاجة وابن السبيل الذي انقطعت به السبل وهذا من باب التكافل بين أفراد الأمة عملا بقول رسول الله ﷺ: (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**)[١]. وفيها: تقرير أن الذي يعطي عطية وينتظر مقابلها أو أكثر منها ليس له أجر وشاهده قول رسول الله ﷺ (**ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**)[٢].

وفيها: تقرير مضاعفة الأجر للذي يعطي العطية ابتغاء مرضاة الله ومحبته في لقائه. وفيها: تقرير عظمة الله وقدرته في الخلق والبعث وتقرير فساد المشركين بجعلهم شركاء يعبدون من دون الله مع معرفتهم بأنهم مخلوقون لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضرا ولا نفعا.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٦٠٣، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم (٢٥٨٥).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٤٣٧، كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافئ، برقم (٥٩٩١).

بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أي: انتشر في أنحاء الأرض بما تشمله من البر والبحر والجو، فكثرت فيها المعاصي وانتهكت محارم الله، ففشا الربا والرشا وعم الظلم، وفقد العدل وضيعت الأمانة ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ أي: ما حدث هذا إلا بسبب أفعال الناس وسلوكهم ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ أي: يصيبهم الله بالنقص في أنفسهم بانتشار الأمراض فيهم والنقص في أموالهم، بسبب الجدب والقحط وقلة البركة وذلك جزاء لهم على أفعالهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يبتليهم الله بهذا النقص لعلهم يتفكرون في أمرهم وأحوالهم فيرجعوا إلى الله ويتوبوا عن معاصيهم.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ السير في الأرض يكون: إما بالبدن، أو بالعقل بالتفكير ومعرفة أحوال الأمم الماضية، وكيف كانت عاقبة الذين كذبوا بآيات الله وعصوا رسله واتبعوا أهواءهم ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ أي: كانت غالبيتهم مشركين بالله كافرين بنعمه فانتقم منهم فأهلكهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: عبر كثيرة منها: أن الناس إذا افسدوا علاقتهم مع الله بانتهاك محارمه انتقم منهم فأصابهم بالنقص في أنفسهم وأموالهم ليريهم عاقبة أفعالهم. ومنها: أنه عز وجل ينذرهم بهذا النقص لعلهم يتفكرون في أحوالهم، لعلهم يدركون أن ما أصابهم كان بسبب معاصيهم فيتوبون منها والأمم في هذا قسمان: أمم تدرك أن ما حدث لها كان بسبب ذنوبها فترجع عنها، وأمم لا تتفكر فيما يصيبها فتستمر على ما هي عليه من المعاصي وقد وصف الله هذه الأمم بقوله تعالى ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[1]. فهذه الأمم حرية بأن ينزل الله عليها أشد العذاب في الدنيا كما حدث للأمم البائدة مثل عاد وثمود. وفي هاتين الآيتين: أن التفكر في أحداث الأمم الماضية واجب وذلك إما بمعاينة ما حدث لها من خلال ما بقي لها من آثار أو بقراءة تواريخها.

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٦ .

بيان الآيات:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ هذا أمر من الله لرسوله وأمر لأمته بالاستقامة على دين الإسلام والتمسك به وامتثال ما فيه من أوامر الله واجتناب ما فيه من نواهيه، فهو الدين الحق الذي من استقام عليه نجا، ومن أعرض عنه شقي ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: استقيموا على هذا الدين قبل أن يأتي يوم القيامة وهو اليوم الذي لا عودة بعده إلى الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ أي: يوم يأتي هذا اليوم يتفرق الناس إلى فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي: من كفر في الدنيا فعليه وزر كفره في اليوم الذي لا مرد له وهو يوم القيامة ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي: من عمل صالحا في الدنيا بأن استقام على دين الله فقد هيأ لنفسه مكانا آمناً يتنعم فيه يوم القيامة وهو الجنة ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾ أي: في ذاك اليوم الذي لا مرد له، يجزي الله عباده الذين آمنوا به وعملوا الصالحات من فضله أي: بمنه وكرمه عليهم، فإن العمل الصالح سبب لدخول الجنة، أما المنعم والمتفضل بها فهو الله وحده ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ أي: يبغضهم ولكنه يعدل فيهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بوجوب الاستقامة على دين الإسلام؛ لأنه الدين الحق كما قال عز وجل ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[١]. وقوله عز ذكره ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٢]. وفيها: تقرير أن من كفر في الدنيا وجد في الآخرة جزاء كفره، وأن من آمن وعمل صالحا في الدنيا، فقد هيأ نفسه لدخول الجنة، وذلك بفضل الله عليه. وفيها: تقرير أن الله لا يحب من كفر به، ولكنه العادل الذي لا يجور كما قال عز وجل ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٣].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ أي: إن من آيات الله الدالة

(١) سورة آل عمران من الآية ١٩ .
(٢) سورة آل عمران الآية ٨٥ .
(٣) سورة الكهف من الآية ٤٩ .

على عظمته وأنه الرب الواحد والإلَه الواحد أنه يرسل الرياح تبشر بنزول المطر ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي: يرحمكم بنزول المطر الذي بشرت به الرياح ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ﴾ أي: تجري السفن بالرياح وإن كانت السفن تسير في هذا الزمان بالبخار، فإن الرياح بقدرة الله تؤثر على سيرها وجريانها. ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: تطلبوا أرزاقكم بالتنقل في البحر من مكان إلى مكان ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: تحمدون الله وتشكرونه على ما أنعم به عليكم من النعم الكثيرة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ في هذا تسلية لرسول الله ﷺ وعزاء له عما يصيبه من الذين كذبوه والمراد أرسلنا إلى الأمم السابقة رسلا، وبيّنا لهم الأدلة والبراهين فكذبوها ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ۖ﴾ أي: أهلكناهم بالعذاب ونجينا المؤمنين منهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: تعهدنا بنصر المؤمنين.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بعظمة الله وقدرته وتدبيره لخلقه وتصرفه فيهم بحكمته. وفيهما: الحكم بأن النعم التي يمتن الله بها على عباده تستوجب منهم شكره عليها، وهذا يقتضي أن الكفر بها موجب لعقابه كما قال عز وجل ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ

وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[١]. وفيهما: تقرير أن الله ينتقم من المجرمين، إما بتعجيل العذاب لهم، أو تأجيله إلى يوم القيامة. ومنها: أن الله عز وجل وعد بنصر المؤمنين ووعده الحق وله في كل الأحوال الفضل والمنة.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ أي: من دلائل عظمة الله وقدرته أنه يبعث الرياح، فتثير سحابا إما من البحر أو من غيره ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ أي: ينشره في السماء ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا ﴾ أي: قطعا ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ ﴾

(١) سورة إبراهيم الآية ٧ .

أي: يخرج المطر من السحاب ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: إذا أنزل الله المطر على من أراده من عباده استبشر الناس بنزوله لكونهم يعلمون ما فيه من المنافع لسقياهم وإنبات زروعهم وسقي أنعامهم.

﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾

أي: إن هؤلاء الذين استبشروا بنزول المطر عليهم قد أجهدهم الجدب فأصبحوا يائسين من نزوله ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي: المطر ﴿كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي: انظر كيف تتحول من البؤس المشبه للموت إلى حياة ممتلئة بالنبات ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: إن الذي يفعل ذلك بقدرته قادر بقدرته أن يحيي الموتى بعد مماتهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قادر على فعل ما يريد، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ أي: لو أرسلنا ريحا على النبات فرأوه قد اصفر من الفساد ﴿لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ أي: أصابهم السخط والغضب فكفروا وجحدوا النعم التي سبق أن أنعم الله بها عليهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيّن الله كيف ينشئ السحاب وينزل المطر؛ لمنافع

عباده، وكيف يستبشرون به بعد سيطرة القنوط عليهم. وفيها: وجوب التفكر فيما ينتج بعد المطر من إحياء الأرض بعد تعرضها لموت نباتها، فتتحول بعده من أرض هامدة إلى أرض تنبت أزواج النبات المبهجة. وفيها: أن القادر على هذا قادر على إحياء الموتى من قبورهم. وفيها: أن من العباد من ينسى نعم الله عليه، فإذا تعرض نباته لريح أفسدته، تسخَّط وكفر بما أنعم الله عليه كما قال عزوجل ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[1].

﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ۝٥٢ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ۝٥٣ ﴾.

بيان الآيتين

﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴾ المراد أنك يا محمد لا تستطيع أن تسمع الموتى في قبورهم ولا يسمع نداءك الصم الذين لا يسمعون الكلام، لهذا لا تقدر على هداية هؤلاء الكافرين؛ لأنهم أدبروا عن سماع الحق وأعرضوا عنه ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ

(١) سورة الحج الآية ١١.

﴿ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ﴾ وكما أنك لا تقدر على إسماع كلامك للصم، فإنك لا تقدر على هداية العُمي عن ضلالتهم ﴿إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾ أي: لا يسمعك إلا الذين آمنوا بآياتنا واستجابوا لما أمرناهم به فهديناهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: التنديد بالكافرين لعدم سماعهم نداء الحق وأنهم الأموات والصم الذي لا يسمعون من يناديهم. وفيهما: أنه لا يسمع آيات الله إلا الذين آمنوا به وخضعوا له واستجابوا لما أمر به.

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ٥٤﴾.

بيان الآية:

هذا بيان من الله عز وجل عن مراحل خلق الإنسان وتطوره منذ كونه نطفة، إلى أن يشيخ فينتهي بانتهاء أجله ولهذا قال ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾ أي: بدأ الخلق من نطفة، ثم تحولت النطفة إلى علقة، ثم إلى مضغة، مخلقة في الرحم ثم الولادة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ﴾ أي: يتحول الضعف في الطفولة إلى قوة الشباب

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ﴾ أي: يتحول الإنسان من قوة الشباب والرجولة إلى حالة الكبر وخروج الشيب فالشيخوخة فالهرم ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ أي: يفعل ويدبر ما يشاء ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بأحوال خلقه ﴿ٱلۡقَدِيرُ﴾ في تدبيره.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير تطور خلق الإنسان وتدرجه من بداية خلقه إلى نهاية حياته وانتقاله إلى الحياة الآخرة. وفيها: بيان قدرة الله عزوجل، وتفرده وحده بالخلق متى يشاء وكيف يشاء، وأنه المدبر لخلقه المتصرف فيهم، العليم بأحوالهم من بدء خلقهم إلى يوم يرجعون إليه للحساب والجزاء.

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ
كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ
فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ
لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ
يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ﴾

هذا بيان من الله أن المشركين عند قيام الساعة يقسمون أنهم ما لبثوا في الحياة الدنيا غير ساعة، وذلك إنكاراً لقيام الحجة عليهم ﴿ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴾ أي: كانوا بقسمهم هذا يكذبون فكما كانوا منصرفين عن الحق في الدنيا، فهم في كلتا الحالتين يكذبون ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴾ وللرد على كذبهم يقول لهم أهل العلم والإيمان في الآخرة إنكم لبثتم في الدنيا عمرا من يوم خلقتم إلى أن جاءكم أجلكم، وإن هذا محصى عليكم في الكتاب الذي تسجل فيه أعمالكم وأعماركم ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: هذا هو اليوم الذي وعدتم فيه ببعثكم ليوم الحساب ولكنكم كنتم معرضين عن الحق.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ أي: لا ينفعهم اعتذارهم عن أفعالهم الفاسدة في الدنيا ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ أي: لا يطلب منهم العتب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: أن المجرمين حين ينكرون مدة لبثهم في الدنيا، لكي لا تقوم عليهم الحجة يرد عليهم أهل العلم بأن أعمالهم محصاة عليهم وأنهم مكثوا مدة أعمارهم وعندئذ لا ينفعهم عذرهم ولا يطلب منهم

العتبى كما قال تعالى ﴿ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾[1].

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۢ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍۢ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۢ ۚ ﴾ يبين الله تعالى أنه ضرب للناس الأمثال التي ترشدهم إلى الحق وتبينه لهم بالحجج والبراهين القاطعة والأدلة المحسوسة؛ لئلا يكون لهم عذر عند مساءلتهم يوم الحساب ﴿ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍۢ ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد أنك لو جئت المكذبين بك بأي آية أو معجزة تدل على نبوتك ورسالتك ﴿ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾ أي: سوف يقولون إن ما جئت به باطل، ويصفونه بأبشع الأوصاف كالسحر أو الشعر، أو الكهانة، فهم في كل الأحوال مكذبون بك ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: إن الله يطبع على قلوب هؤلاء الكافرين، فلا تستجيب لمقولة نصح، ولا تقبل وعود خير.

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ ﴾ أي: اصبر على تكذيبهم لك

---

(١) سورة فصلت من الآية ٢٤ .

وجحودهم لآيات الله وإنكارهم لرسالته، فإن الله وعدك وعد الحق وسينجز وعده وينصرك عليهم وسوف يظهر الله دينه ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: اثبت على ما أنزل الله إليك من الكتاب، ولا يستفزنك عن دينك الذين لايؤمنون بلقاء الله قيل: المراد به النضر بن الحارث كبير المكذبين لرسول الله ﷺ المؤذين له[1] وقيل: المراد به المشركون بعامة وهو الأولى.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله قد أقام الحجة على العباد بما ضربه لهم من الأمثال التي تدلهم على الحق وتبينه لهم واضحا لا شك ولا لبس فيه. وفيها: تقرير أن المكذبين بآيات الله، لا يستهدون بحجة، ولا يهتدون بهدى، فكل حق يأتيهم يصفونه بالباطل، وكل صدق من القول يصفونه بالكذب، ولهذا طبع الله على قلوبهم، فأصبحوا لا يميزون بين الهدى والضلال، ولا بين الحق والباطل. وفيها: الأمر لرسول الله ولأمته المسلمة أن يصبروا على ما ينالهم من الأذى في سبيل الدعوة إلى الله فإن الله وعد المؤمنين -ووعده الحق- بالنصر على أعدائهم. وفيها: الأمر كذلك بالثبات على دين الله الإسلام وعدم الاستفزاز مما يعمله الكافرون مما هو بيّنٌ اليوم في استفزاز المسلمين واتهامهم بالإرهاب والفاشية ونحو ذلك من الأوصاف التي تدل على الكيد المبيت للمسلمين.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٤٩ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة لقمان

مكية وآياتها أربع وثلاثون آية

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ الٓمٓ ﴾ هذه من الحروف المقطعة الله أعلم بمراده فيها ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ أي: هذه الآيات المنزلة آيات الكتاب المحكم الذي أنزله الله من اللوح المحفوظ، فلا يعتريه نقص أو تبديل؛ لأن الله حفظه بحفظه من حين أنزله إلى أن يرث الأرض ومن عليها ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: أنزله الله هداية ورحمة للذين أحسنوا في أعمالهم فجعلوها خالصة لوجه الله ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ هذا وصف للذين جعل الله آيات كتابه هدى ورحمة لهم بأنهم يقيمون الصلاة أي: يؤدونها كما أمر الله بها، ويؤتون الزكاة من أموالهم طيبة بها نفوسهم كما أمر الله بها، ويؤمنون بالبعث والنشور والحساب

والجزاء ويرجون من ربهم أن يتفضل عليهم بالجزاء الحسن على أعمالهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ ﴾ أي: أنهم على تلك الحال من الأعمال الصالحة قد اهتدوا بهدى ربهم، وهو التزامهم بدينه دين الإسلام وثباتهم عليه ودعوتهم إليه ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ أي: الذين تحصل لهم السعادة والفوز في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير فضل القرآن وآياته المعجزات، وأنه كتاب الله أنزله من اللوح المحفوظ، وحفظه بحفظه، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وفيها: أن القرآن هدى ورحمة لمن آمن وصدق به واتبع مافيه من الأحكام. وفيها: وجوب الصلاة والزكاة والإيمان بالبعث. وفيها: أن من اهتدى بهدي القرآن سيكون على هدى من الله.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٧ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث فقد كان -كما سبق ذكره- يشتري كتب الأساطير، ويجلس في مكة، فإذا قيل له إن محمدا قال كذا، استهزأ به وحدثهم بأحاديث الفرس وغيرهم وقال: هذه أحسن من أحاديث محمد. وقيل: إنه كان يشتري المغنيات، فإذا رأى أحدا يريد الدخول في الإسلام ذهب به إلى قيناته وقال لإحداهن أطعميه وأسقيه وغنّيه(١).

قوله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: من الناس من يختار الأحاديث الباطلة بما فيها من اللهو والمعازف والغناء وكل حديث فاسد ليضل به غيره بعد أن ضل هو في نفسه بهذه الأحاديث ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ أي: يتخذ دين الله هزوا يسخر ويستهزئ به كما كان النضر بن الحارث يفعل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: لأولئك المستهزئين بآيات الله عذاب شديد، يهانون ويذلون به يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ أي: إن هذا اللاهي بالأحاديث الباطلة إذا سمع آيات الله تتلى أعرض عنها مستكبرا، كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه صمماً لا يسمع منه وما به صمم، وإنما هو الكبر وفساد القلب وغشاوة العمى ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: بشره بما سيلقى يوم القيامة من العذاب المهين.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٥٣، والدر المنثور ج٥ ص٣٠٧ .

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بتحريم اللهو بالقول أو الفعل المحرم، ويدخل في ذلك الغناء، خاصة الأغاني الماجنة المنتشرة في هذا الزمان، فيحرم سماعها والاتجار فيها. كما يدخل في هذا الحكم: كل ما هو شائع أيضاً في هذا الزمان من نوادي الغناء والرقص والمسرحيات الفاسدة ونحو ذلك من المحرمات التي تصد عن ذكر الله، وتزرع السوء في النفوس. وفيهما: تحريم الاستهزاء بآيات الله، سواء على سبيل الجد أو اللعب وشاهده قول رسول الله ﷺ: **(أن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم)**[1]. وفيهما: تحريم الكبر بأنواعه؛ لما يمثله من قبح السلوك ووضاعته، وقد توعد الله الوليد بن المغيرة لكفره وتكبره وعجبه بنفسه كما قال عز وجل ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾[2]. إلى قوله ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴾[3].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٣١٤، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، برقم (٦٤٧٨).

(٢) سورة المدثر الآية ١١ .

(٣) سورة المدثر الآية ٢٣ .

دَآبَّةٍۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾
هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ لما ذكر الله حال الذين يشترون لهو الحديث ليضلوا به عن سبيل الله وما ينتظرهم من العذاب الأليم وعد المؤمنين الذين آمنوا بالله وكتابه ورسوله وسارعوا بالأعمال الصالحة بأن لهم جنات النعيم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: يقيمون فيها إقامة خلود لا يتحولون عنها ولا يزولون ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ أي: وعد قاطع واقع لا شك فيه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: هو القادر الذي خضع كل شيء لعزته وهو الحكيم في إرادته وتصرفه في مخلوقاته.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي: أنشأ السموات وكَوَّنها قائمة عامرة مستوية دون عمد تمسكها، وهذا من عظيم صنعه وكمال قدرته ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي: ومن عظيم خلقه: أن جعل في الأرض جبالا تحفظها من الاضطراب والميلان بأهلها ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ أي: ونشر فيها أصناف الدواب في البر والبحر مما لا يعلمه إلا هو ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا

مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ أي: ومن مظاهر قدرته أنه ينزل المطر على الأرض، فتنبت أصنافا من النبات حسنة المنظر.

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾ أي: هذا خلقه للسموات والأرض والدواب وإنزال المطر ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء أروني ماذا خلق الذين تعبدونهم من دون الله؟ وجوابهم سيكون بلا شك بالنفي؛ لأنهم لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له كما قال عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾(١). ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: إن المشركين بالله ضالون عن الحق ضلالا مبينا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير وعد الله للمؤمنين بأن لهم جنات النعيم التي يخلدون فيها. وفيها: بيان قدرة الله في خلق الكون العلوي والسفلي وتدبيره لخلقه وتصرفه فيهم. وفيها: تقرير ضلال المشركين؛ بسبب إعراضهم عن الحق وعدم التفكر والتبصر في آيات الله.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ

(١) سورة الحج من الآية ٧٣ .

لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ
(١٣) وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي
عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ
أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا
مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا
كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (١٥)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ اختلف في صفة لقمان هل كان نبيا يوحى إليه أم كان من عباد الله الصالحين؟ فقيل: إنه نبي[١]، وقيل: إنه عبد صالح، ولعل هذا أقرب[٢]. وقيل: إنه من النوبة[٣] وقد آتاه الله الحكمة والمراد بها قوة الفهم والعلم والفقه في الدين[٤] ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ﴾ أي: أمره الله أن يشكره على ما وهبه من هذه الخصائص ﴿وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ أي: يعود جزاء شكره عليه ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾ أي: من تولى وأعرض عن شكره، فإن الله غني عنه وعن سائر الخلق وهو حميد في إنعامه وفضله عليهم.

---

(١) تفسير البغوي ص١٠١٢، وزاد المسير لابن الجوزي ص١١٠٠ .
(٢) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج١١ ص٦٧، وزاد المسير ص١١٠٠ .
(٣) وهي سلسلة من الجبال الممتدة من جنوب مصر حتى الجزء الجنوبي الغربي من السودان. انظر: تاريخ جبال النوبة لأحنام عثمان محمد إبراهيم ص٢٩ .
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ص٤٢٧ .

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ ﴾ هذا بيان من الله لرسوله ليذكر المشركين أن لقمان أمر ابنه ووعظه وحذره من الشرك بالله بقوله ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾ أي: وجب عليك أن تعبد الله وحده فلا تجعل له ندا ولا شريكا؛ لأنه هو الإله المتفرد بالكمال والمنزه عن الشريك ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ أي: إن الشرك بالله أعظم الظلم، ذلك أنه تعدٍّ على وحدانية الله وتفرده بالألوهية ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ أي: وعلاوة على عدم الشرك بالله يجب بر الوالدين بقوله ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ أي: عانت منه الوهن والجهد والتعب في حمله وولادته ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ أي: عانت تربيته وإرضاعه مدة عامين ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ أي: اشكرني على ما أنعمت به عليك، حيث خلقتك من العدم إلى الوجود، وهيأت لك أسباب الحياة، واشكر كذلك والديك على ما فعلاه لك من حملك وتربيتك والإنفاق عليك حتى أصبحت رجلا قادرا ﴿إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ أي: إليّ المرجع فأجازي كلا بما عمل.

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ أي: إن أرادوا حملك على الشرك بي، فإياك أن تطيعهما، بل يجب عليك عصيانهما؛ لأن عبادة الله وتوحيده مقدمة على كل شيء ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ أي: كن لهما صاحبا في الدنيا

ببرهما وصلتهما وطاعتهما في غير معصية الله، وقد سبق القول إن هذه الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه قبل إسلامها، فقد أصرت على ترك الطعام والشراب حتى يرجع عن دينه فأبى ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ أي: اتبع طريق الذي آمن بي ووحدني في عبادتي ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: سوف ترجعون إلي يوم القيامة، وسوف أبين لكم أعمالكم التي أحصيت عليكم، وسوف تجزون عليها حسب حالها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله يمن على من يشاء من عباده فيعطيه الحكمة والفقه في العلم والدين. وفيها: التحذير من الشرك بالله ووصفه بأنه أعظم الظلم؛ لأنه تعد على وحدانية الله في عبوديته وألوهيته. وفيها: الأمر للولد ببر والديه وإيراد ما تتحمله أمه من الجهد في حمله وولادته وإرضاعه جاء على وجه تعظيم هذا الحق. وشاهده: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق بحسن صحابتي ؟ قال: (**أمك**) قال: ثم من؟ قال: (**أمك**) قال: ثم من؟ قال: (**أمك**) قال: ثم من؟ قال: (**أبوك**)(١).

قلت: ولكن بر الوالد متحقق ولازم؛ لأن الله قال ﴿وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٤١٥، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة ؟ برقم (٥٩٧١).

وهذا شامل للأم والأب. وفيها: أن حق الوالدين لا يعلو على حق الله، فإذا أرادا دفع ولدهما إلى الشرك بالله بطل حقهما في ذلك، فيجب لهما حينئذ المصاحبة بالمعروف وهي: البر والصلة مع عدم طاعتهما في معصية الله؛ لقول رسول الله ﷺ: **(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)**(١). وفيها: الأمر للمسلم باتباع سبيل المؤمنين؛ لأنها السبيل الحق. وفيها: أن الخلائق سوف ترجع إلى الله، ثم ينبئهم بأفعالهم التي عملوها في الدنيا ويجازيهم عليها.

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ ﴾ قيل: إن ابن لقمان قال لأبيه: يا أبت إن عملت الخطيئة ولا يراني أحد كيف يعلمها الله

---

(١) أخرجه الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح في كتاب الإمارة والقضاء، برقم (٣٦٩٦)، ج٢ ص١٠٩٢، وقال الألباني حديث صحيح والإمام أحمد في المسند ج١ ص١٣١ .

فأوصاه أبوه بعدد من الوصايا قائلا له: إن كانت هذه الخطيئة تزن مثقال حبة من خردل[1] ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ أي: إن كانت هذه الخطيئة التي تزن حبة الخردل مكنونة في صخرة أو تكن في ملكوت السموات أو في الأرض، فإن الله يعلمها ويجازي عليها يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ أي: رحيم بعباده، فلا يخفى عليه خافية وهو خبير بما يجري في الكون علوه وسفله.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهذا أمر بإقامة الصلاة بأركانها وشروطها وفي أوقاتها ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ أي: مُرْ بكل فعل فيه خير للناس في أمر دينهم ودنياهم، وانْهَ عن كل فعل فيه شر لهم في دينهم ودنياهم ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ أي: اصبر على ما ينالك من الأذى حين تقوم بهذا الأمر ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: إن الصبر على الأذى من عزم الرجال وتحملهم وصبرهم.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي: لا تصرف وجهك عن الناس حين تتحدث معهم تكبرا عليهم واحتقارا لهم ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: لا تمش في الأرض في تكبر وخيلاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: يبغض ويكره كل متكبر يتبختر في مشيته فخور بنفسه

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص١١٠١.

ومعجب بها ناسيا نعم الله عليه وجاحدا شكره عليها ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾ أي: اقتصد وأنت تمشي لا تكن بالمتعجل فيها ولا بالبطيء، بل ليكن مشيك وسطا غير متكبر فيه ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾ أي: لا تكثر من الكلام، أو ترفع صوتك في غير فائدة ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ لما بين الله وجوب غض الصوت شبه رفع الصوت بصوت الحمير؛ لما فيه من السوء والقبح والنكارة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأنه ما من عمل مهما كان حجمه إلا ويعلمه الله، سواء كان من عمله مجاهرا به أو مستترا به في صخرة أو في أرجاء السموات والأرض فسوف يأتي الله به يوم القيامة، لينبئ به أصحابه ثم يجازيهم عليه إن خيرا فخير، وإن شرا فشر كما قال عز وجل ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾[1]. ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾[2]. وفيها: وجوب إقامة الصلاة بأركانها وشروطها وفي أوقاتها. وفيها: وجوب الأمر بكل ما فيه خير والنهي عن كل مافيه شر كما قال عز وجل ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[3].

---

(١) سورة الزلزلة الآية ٧ .

(٢) سورة الزلزلة الآية ٨ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .

وفيها: وجوب الصبر على ما ينال المسلم؛ بسبب دينه. وفيها: تحريم الكبر والاستعلاء على الناس وشاهده قول رسول الله ﷺ: (**لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**)[1]. وفيها: تحريم المشي خيلاء كما قال عز وجل ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[2]. وفيها: وجوب غض الصوت؛ لما في رفعه من النكارة والقبح.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل لخلقه يذكرهم بفضله ونعمه عليهم حيث سخر لهم ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم والرياح المسيرة للسحاب، وسخر لهم ما في الأرض من البحار والأنهار والأشجار والأنعام.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٦٦٧, كتاب البر والصلة، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، برقم (٢٦٢٦).

(٢) سورة الإسراء الآية ٣٧ .

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ أي: أكمل وأتم عليكم نعمه، وهذه النعم منها: ماهو ظاهر ومحسوس كخلقهم في أحسن تقويم، وكمال عقولهم ومداركهم وتيسير سبل الحياة لهم. ومنها: ما هو باطن كحفظ الله لهم بدفع الأضرار التي لا يعلمونها عنهم، وفوق كل ذلك هدايتهم إلى الدين القويم وإنزال الكتاب عليهم وبعث الرسول الرحيم إليهم؛ ليرشدهم ويدلهم على ما فيه منافعهم الدينية والدنيوية.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ ورغم النعم التي أسبغها الله على خلقه، فإن منهم من يكفر بها ويجادل في الله مجادلة باطلة، فهو ضال؛ لأنه لا يستند في مجادلته على علم من الله ولا هدى منه ولا كتاب مبين يعتمد عليه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ أي: إذا قيل لهؤلاء المجادلين: اعبدوا الله وحده وتبرؤوا من الشرك به تولوا وأعرضوا وقالوا: إننا نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فنعبد ما كانوا يعبدون ونفعل ما كانوا يفعلون ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: ومن جهلهم وسفاهتهم أنهم يتبعون آباءهم في ضلالهم، ولو كان الشيطان يدعو آباءهم إلى النار المستعرة، وسوف يدعوهم كذلك إلى أن يكونوا معهم في هذا العذاب.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الدعوة إلى التفكير فيما سخره الله لخلقه؛ لأنهم إذا فكروا وأدركوا أن الله هو الذي خلقهم، وسخر لهم ما في السموات والأرض، فسوف يعبدونه وحده. وفيهما: وجوب الإقرار بنعم الله الظاهرة والباطنة وشكر المنعم عليها. وفيهما: الحكم بتحريم الجدال بالباطل، واستحقاق المجادل للعقاب كما قال عز وجل ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾[1]. ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾[2]. وفيهما: الحكم بتحريم تقليد من يضل عن الطريق السوي، سواء كان التقليد لمجرد التبعية له دون التفكير فيها، أو كان عن قصد وإعجاب بالمقلد -بفتح اللام وتشديدها- كما يفعله بعض جهلة المسلمين اليوم من تقليد غيرهم في سلوكه وعاداته، ولو كان هذا السلوك يخالف دينهم.

﴿۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٢٤﴾﴾.

(١) سورة الحج الآية ٨.

(٢) سورة الحج الآية ٩.

بيان الآيات:

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يتجه بوجهه وقلبه منقادا لأمر الله خاضعا وخاشعا لعظمته ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: مخلصا في عبادته موحدا لربه ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ أي: فقد أخذ عهدا من الله أن يجازيه بأحسن من عمله ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: إن مرد كل أمر في الدنيا والآخرة لله عز وجل فهو الغالب على أمره الحاكم لخلقه ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ أي: لا يحزنك يا محمد من كفر من قومك، فإن مرده إلى الله، وسوف ينبئه بما يفعل، ثم يجازيه عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: يعلم أسرارهم وخفاياهم، وكل ما عملوه سرا أو جهرا مدون عليهم، وسوف يعلمونه حين يعرضون يوم القيامة.

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ أي: ننظرهم وقتا قصيرا في الدنيا لحين أجلهم المسمى ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ أي: ندفعهم إلى ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي: شديد وكبير.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن من اتجه إلى الله بوجهه وقلبه مخلصا له العبادة، مؤمنا بما جاء به رسوله محمد ﷺ، فقد أخذ من الله

عهدا أن ينجيه من العذاب. وفيها: أن الكافر لا يضر بكفره أحدا، وإنما يضر نفسه؛ لأنه سيعود إلى الله ثم ينبئه بسوء أفعاله ويجازيه عليها. وفيها: أن الكافرين بالله الجاحدين لنعمه سوف يمتعون قليلا في الدنيا ثم يدفعون إلى العذاب.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ أي: إن سألت يا نبينا محمداً المشركين من قومك عمن خلق السموات والأرض، سوف يقولون لك إن الله هو الذي خلقها لهذا ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: قامت عليكم الحجة وعرفتم أن الله هو الخالق، إذن لماذا تعبدون غيره؟ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إنهم سفهاء وجهلة؛ لأنهم لما اعترفوا بوحدانية الله في ربوبيته، كان عليهم أن يعترفوا بوحدانيته في ألوهيته ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: إن كل ما في الكون العلوي والسفلي عبيد لله ملكٌ له ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ أي: غني عن خلقه وهو محمود في تدبيره لهم وتصرفه فيهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: جهل مشركي العرب وسفاهتهم فهم يعترفون بوحدانية الله في ربوبيته، ثم يعبدون معه غيره، مع أن العقل يقتضي أن الذي خلق الخلق، وخلق كل شيء، وأوجد المعدوم إلى الوجود هو الأحق بالعبادة من غيره، ولكن الإنسان إذا ضل قلبه فلن تجد له وليا مرشدا.

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ
سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَّا
خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨) ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ المراد بالكلمات: العلم ووقائع الوجود، فلما كان الجهل يغشى قلوب المشركين بسبب البيئة التي كانوا يعيشونها وانعزالها عن العالم وسيطرة السفاهة والضلال عليها، بيّن عزوجل لهم عظمته وقدرته حيث سخر لهم ما في السموات والأرض لعلهم يتوبون إليه فلا يعذبهم فناسب أن يبين لهم سعة علمه أن شجر الأرض كله لو تحول إلى أقلام والبحر، أصبح مدادا ومن ورائه سبعة أبحر أخرى وكتب بتلك الأقلام كلمات الله الدالة على علمه وقدرته وعظيم

جلاله ما نفدت كلماته، بل إن البحار هي التي تنفد والأقلام هي التي تنكسر، ولا يعني ذكر الشجر والبحار الثمانية على وجه الحصر لكلمات الله، وإنما ورد ذكرها على سبيل التمثيل والمبالغة، أما كلمات الله فلا يحدها حد ولا يحصرها حصر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: قاهر لكل شيء حكيم في تدبيره وتصرفه ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي: إن خلق الخلق كلهم وبعثهم كلهم مثل خلق وبعث نفس واحدة كل ذلك على الله يسير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ أي: يسمع ما في الوجود ويبصر ما فيه، لا تشتبه عليه اللغات ولا تختلف عليه الأصوات.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن الله يتكلم، وكلامه مما يليق بجلاله. ومنها: أن كلماته غير متناهية أي: لا تنفد بأكثر من أقلام الشجر والبحور التي ذكرها، وإنما جاء ذكرها على سبيل المبالغة والتقريب لعقول المخاطبين؛ لأنهم لا يفهمون ما وراء ذلك، فناسب أن يبين لهم على قدر أفهامهم. أما كلمات الله المراد بها علمه المحيط بكل شيء في الوجود، فلا يحدها حد ولا يحصرها حصر، بل هو العليم والمحيط بها لا يعلمها ولا يحيط بها إلا هو. وفيهما: أن خلق الخلائق وبعثهم كلهم هو مثل خلق وبعث نفس واحدة كما قال عز وجل ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾[١]. وقوله عز ذكره ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ

(١) سورة النحل من الآية ٧٧ .

أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ هذا استفهام تقريري المخاطب به رسول الله ﷺ والمعنى ألم تعلم يا نبينا محمداً ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ الإيلاج الإدخال والمعنى أنه يدخل جزءا من النهار في الليل فيطول، ويدخل جزءا من الليل في النهار فيطول حسب تعاقب فصول السنة ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: سخرهما في نظام دقيق، لا يتبدل ولا يتغير لمنافع عباده إلى أن تقوم الساعة مما يدل على عظيم قدرته ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: عليم بما يفعله عباده في سرهم ونجواهم من عمل صالح أو عمل سيء ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: هذا الذي ذكر لكم من إيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل، وتسخير الشمس والقمر، إنما هو بإرادة الله وتصريفه؛ لأنه الإله الحق ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ أي: إن

---

(١) سورة يس الآية ٨٢.

الأصنام التي يعبدها المشركون إنما هي عمل باطل ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ أي: هو العلي في ذاته الذي لا يعلو عليه أحد من مخلوقاته وهو الكبير المتعالي في ملكوته له الأسماء الحسنى والصفات العلا.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير الدلائل العظيمة والآيات البينات التي تقرر وجوب توحيد الله وطاعته وتفرده بالربوبية والألوهية. وفيهما: أن كل أعمال المشركين أعمال باطلة؛ لأنها لا تقوم على علم ولا هدى ولا كتاب مبين، وإنما هي من أعمال الشيطان وضلاله. وفيهما: أن الله عز وجل هو العلي في ذاته وأسمائه وصفاته وأنه الكبير بكبريائه وعظمته وجلاله.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ هذا استفهام تقريري والمراد ألم تعلم يا نبينا محمداً ﴿أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي: هو الذي سخر البحر وجعل السفن تجري فيه بقدرته وإنعامه على عباده بتيسير سبل الحياة لهم ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ أي: ليريكم من آياته التي تدل على

عظمته وعلى تفرده بالربوبية والألوهية وأنه المستحق وحده للعبادة.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: في هذه الآيات عبرة ودلالة لكل مؤمن بالله حق الإيمان، صابر على ما يناله من بأساء أو ضراء، شكور لله في كل حال إن أصابته سراء شكر، وإن أصابته ضراء صبر، فكان كل ذلك خيرا له. ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ أي: إذا كان العباد في البحر فأصابهم موج كالجبال ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: أخلصوا الدين له لإدراكهم أن آلهتهم لن تنفعهم وأن الله هو الذي سيكشف عنهم الضر وينجيهم من ظلمات البحر ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ قيل: في المقتصد عدة معان: وذكر ابن عباس أنه الوفاء بما عاهد العبد الله عليه في البحر[1] وقيل: (مقتصد) أي: مقتصد في القول مضمر للكفر وهذا قول مجاهد[2] وقيل: في الكلام حذف والمعنى: فمنهم مقتصد، ومنهم كافر، ودل على المحذوف قوله تعالى ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[3] أي: ما يجحد بآيات الله ونعمه على عباده إلا الغدار والكفور الجاحد لنعم الله فيكفرها ويعرض عن شكرها.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأنه ما من شيء يسير في السموات والأرض

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٨٠.

(٢) تفسير البغوي ص١٠١٥، وزاد المسير لابن الجوزي ص١١٠٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ج١٤ ص٨٠.

إلا بإرادة الله وتصريفه. وفيهما: وجوب الصبر على أقدار الله في السراء والضراء والشكر له في كل الأحوال كما قال عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴾[2]. ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾[3]. ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾[4]. وفيهما: تقرير أن المشركين كانوا يلجؤون إلى الله في الضراء ويدعون معه الأصنام في السراء مما يدل على جهلهم وسفاهتهم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ﴾ هذا أمر من الله للناس أن يتقوه في السر والعلن باتباع أوامره وترك نواهيه ﴿وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ أي: في هذا اليوم يوم القيامة لا ينفع أحد أحدا، فالوالد لا يقدر أن يفدي ولده والولد لا

---

(١) سورة آل عمران من الآية ٢٠٠ .

(٢) سورة العصر الآية ١ .

(٣) سورة العصر الآية ٢ .

(٤) سورة العصر الآية ٣ .

يقدر أن يفدي والده إنما هي الأعمال ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: إن وعده بيوم الحساب والجزاء وعد حق لاشك فيه ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: لا تلهيكم عن يوم الجزاء فتركنوا إليها وتنسوا ذلك اليوم ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ أي: لا يغرنكم الشيطان بتسويفه وأمانيه ولهوه.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: وجوب تقوى الله في السر والعلن لأن أساس العلاقة بين الله وعباده هو التقوى فهي جماع الإيمان والصلاح كما قال عزوجل ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[(١)]. وفيها: وجوب خشية يوم القيامة؛ لأنه لا يفدي فيه أحد أحدا، لا والد عن ولد ولا ولد عن والد، إنما هي الأعمال التي يحاسب الله عليها عباده كما قال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي: (**إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**)[(٢)]. وفيها: الحكم أن وعد الله بقيام الساعة وحساب الخلق وجزائهم وعد حق لا ريب فيه. وفيها: التحذير من غرور الدنيا والاطمئنان إليها، فهي مجرد وقت زائل وفي هذا قال

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٣٥ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٩٢، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٧٧).

ابن عمر رضي الله عنهما: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: (**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**) وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك[١]. وفيها: التحذير من غرور الشيطان والركون إلى وعده وأمانيه، فهو يحرص على أن يركن إليه العبد حتى يفاجئه الأجل فيندم وحينئذ لا ينفع الندم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ هذا مما استأثر الله عز وجل بعلمه فلا يعلم قيامها إلا هو كما قال تعالى ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[٢]. ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ ﴾ وهذا مما استأثر الله بعلمه فهو الذي يعلم زمان نزوله والمكان الذي ينزل فيه ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ ﴾ أي: يعلم ما في الأرحام من الأجنة من إناث أو ذكور أو أصحاء أو مرضى ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗا ﴾ أي: أن من المحال على الإنسان أن

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٢٣٧، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، برقم (٦٤١٦).

(٢) سورة الأعراف من الآية ١٨٧ .

يعلم ما في غده من صحة أو مرض أو غنى أو فقر أو حياة أو موت ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ أي: أن من المحال أن يعرف المرء مكان موته في الأرض، فقد يموت في موطنه أو قريب أو بعيد منه، وقد يموت في البر أو في البحر أو في الجو وفي الحديث: (**إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة**)(١) فكل ذلك بقدر الله وإرادته ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ أي: عليم بأمور مخلوقاته خبير بأحوالهم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: عدد الله عز وجل مفاتح الغيب وهي أمر الساعة وإنزال الغيث ومكنونات الأرحام ومستقبل الإنسان ومكان نهايته، فهذه المغيبات مما استأثر الله بها في علمه المحيط، فإذا أمر بها عرفها الملائكة الموكلون بها ثم عرفها المخلوقون حين تنزل بهم ففي حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: (**خمس لا يعلمهن إلا الله عزوجل**) ثم تلا ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٢).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج١ ص١٠٢، في كتاب الإيمان، وقال «هذا حديث صحيح ورواته عن آخرهم ثقات».

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٤٥٦، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان. برقم (٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة السجدة

مكية وآياتها ثلاثون آية

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾
أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ
مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الكتاب القرآن، والمراد أنه لا ريب ولا شك في تنزيله من رب العالمين ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي: يقول المشركون والكافرون المكذبون لرسول الله ورسالته أنه افتراه أي: اختلقه من عنده فكذبهم الله بقوله ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: هو الكتاب الحق المنزل من ربك يا محمد حقا وعدلا وصدقا ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي: لتنذر به قوما هم العرب ما جاءهم نذير من قبل مجيئك لهم بالرسالة، فلعلهم يهتدون إلى الحق ويتركون الشرك والضلال.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله أنزل القرآن على عبده ورسوله محمد

ﷺ نزولا لا ريب ولا شك فيه كما قال تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1]. وفيها: تقرير تكذيب المشركين والكافرين أن محمدا ﷺ هو الذي اختلق القرآن. وفيها: الحكم بأن القرآن منزل من عند الله، ليكون نذيرا للعرب وغيرهم، لأنهم لم يكونوا قبل رسول الله ﷺ ذوي عهد برسول أو نبي يرشدهم إلى توحيد الله وطاعته.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ هذا بيان من الله عز ذكره أنه الذي صنع بقدرته وعظمته السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام هي: الأحد، والإثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة، ثم استوى على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ أي: لا مالك

(١) سورة البقرة الآية ٢ .

لكم أيها الخلق إلا هو، ولا ولي لكم إلا هو ولا شافع يشفع لكم إلا بإذنه ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا استفهام إنكاري والمراد أفلا تتفكرون في ذلك أيها المشركون مع الله غيره، فتتوبوا إلى رشدكم ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ أي: يدبر ويصرف أمر المخلوقات من السماء وينزل أمره إلى أهل الأرض فيما يخصهم وتصعد الأعمال إليه في يوم مقداره ألف سنة في حساب الخلق، بينما تصل إليه الأعمال في لحظة مما يدل على عظيم سلطانه ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: هو الله الذي يعلم ما في الغيب ويشهد على أعمال عباده ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: بسلطانه وجبروته ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بعباده الصالحين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله عز وجل خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، أولها: يوم الأحد وآخرها: يوم الجمعة، وهو أفضلها. وفيها: أن الله استوى على العرش وهو سقف المخلوقات والاستواء معلوم وكيفه مجهول، ولكنه استواء يليق بجلال الله وعظمته.

وفيها: الحكم بأنه لا ولي للخلق إلا الله، ولا شافع يشفع لهم بغير إذنه فهو المالك لهم، والمدبر والمصرف لهم. وفيها: أن تدبير الخلق وتصريفهم يقرره الله في السماء، ثم ينزل إلى الأرض فيتحركون بما

جرت به المقادير عليهم من السماء. وفيها: أن أفعال العباد وأعمالهم تعرج إلى الله في يوم يعد ألف سنة في حساب الخلق، ولكنه في قدرة الله يعد في لمح البصر. وفيها: أن الله هو الذي يعلم الغيب وحده كما قال عز وجل ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[1]. وفيها: أن الله عزوجل هو الذي يشهد على أفعال العباد وأعمالهم بعزته ورحمته لعباده الصالحين.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ أي: هو الذي أحسن صنع الأشياء كلها فتجيء متقنة حسب ما يريد ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ لما ذكر الله حسن خلقه لعموم الأشياء خص الإنسان بحسن خلقه حيث بدأ هذا الخلق من طين كما هو الحال في خلق أبي الخلق آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ أي: يتناسل الإنسان

(١) سورة الأنعام الآية ٥٩ .

من النطفة التي تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾ أي: بعد ذلك يسويه كما فعل بآدم، ثم ينفخ فيه الملك الروح فيكون بشرا متأهلا للخروج من بطن أمه بعد نهاية مدته في رحمها ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ أي: جعل لخلقه ما يسمعون به وما يبصرون به، وجعل لهم العقول التي يدركون بها منافعهم ومضارهم ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي: رغم هذه النعم التي أنعم الله بها عليكم من السمع والبصر والعقل لا تشكرونه إلا قليلا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله أتقن صنع الأشياء كما قال عز وجل ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[1]. وفيها: تقرير صنع الله للإنسان، حيث بدأ خلق أبيه آدم من تراب، ثم جعله يتناسل من نطفة تخرج من ماء الرجل وماء المرأة فيمتزجان، ويتكون منهما الولد بقدرة الله وتدبيره، وذلك بتسويته ونفخ الروح فيه. وفيها: تقرير نعمة السمع والبصر والعقل وما فيهما من المنافع للإنسان. وفيها: أنه يجب على الخلق شكر الله على نعمه والإقرار بفضائله عليهم.

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ

(١) سورة النمل من الآية ٨٨ .

رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: قال المنكرون للبعث: حينما نموت ونتحول إلى تراب في الأرض ﴿ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ﴾ أي: هل نخلق من جديد. وقد بين الله مقصدهم بقوله ﴿ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾ أي: هم منكرون للبعث والحساب والجزاء ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ أي: قل لهم يا نبينا محمداً سوف يتوفاكم الملك الموكل بقبض أرواحكم ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: تعودون إليه أحياء يحصي عليكم أعمالكم ويحاسبكم عليها فما عملتم من خير وجدتم جزاءه، وما عملتم من شر وجدتم جزاءه.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير كفر المنكرين للبعث كما قال عز وجل ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾(١). وفيهما: أن ملك الموت هو الموكل بقبض الأرواح فينتزعها أعوانه انتزاعا من اجساد الكافرين كما قال عز وجل ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ

---

(١) سورة التغابن الآية ٧ .

أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ لما ذكر الله عز وجل إنكار المشركين للبعث ذكر أنهم يأتون يوم القيامة وهم منكسون رؤوسهم من الذل والمهانة، والخوف من العذاب فيقولون﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ أي: رأينا الحق وسمعناه ﴿فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي: ارجعنا إلى الدنيا لكي نعبدك ونوحدك ونطيع ما أمرتنا به، فقد تيقن لنا أن قولك حق وأن البعث حق، وأن وعدك حق، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ أي: لو أردنا لهدينا الناس كلهم ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ

---

(١) سورة الأنعام من الآية ٩٣ .

جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ أي: إن المشيئة اقتضت أن لا يكون الناس كلهم على الهدى فيكون للجنة أهلها وللنار أهلها ﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ ﴾ أي: يقال للمجرمين الذين كفروا بالله وكذبوا بالبعث: ذوقوا العذاب؛ بسبب كفركم وتكذيبكم به وتناسيكم له ﴿ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ﴾ أي: سنعاملكم على حسب فعلكم وهو ترككم في العذاب نسيانا لكم ﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: سوف تخلدون في العذاب لقاء عملكم وتكذيبكم به.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وصف حال المكذبين بالبعث يوم القيامة وما يعتريهم من الذلة والمهانة وإقرارهم بأن وعد الله حق وطلبهم الرجوع إلى الدنيا كما قال تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]. وفيها: الحكم بأن مشيئة الله اقتضت أن يكون للجنة أهلها، وللنار كذلك أهلها. وفيه وجوب المجازاة بالمثل، فمن تناسى أحكام الله تناساه الله كما قال تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾[2].

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ

(١) سورة الأنعام الآية ٢٧ .

(٢) سورة الجاثية من الآية ٣٤ .

بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ
الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾
فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ أي: إن الذين يصدقون بآيات الله ويرون أنها الحق الذي لا مراء فيه هم ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ أي: إنهم إذا سمعوا آيات الله تتلى عليهم استمعوا وأنصتوا خاضعين وساجدين ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: قدسوه في سجودهم وفي نفوسهم ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن تسبيحه وتقديسه وعبادته ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ أي: يتركون مضاجعهم من أجل الصلاة في الليل ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي: يتضرعون إليه خوفا من عذابه وطمعا في رحمته ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي: يؤتون زكاة أموالهم، ويتصدقون بفضول أموالهم، فلا يبخلون على قريب ولا على محتاج ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ أي: لا يعلم أحد ما أخفى الله لهم من الثواب الجزيل في جنات النعيم بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاء لهم على عملهم في الدنيا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تحريم الاستكبار عن عبادة الله كما قال عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[١].

وفيها: فضل قيام الليل وفي حديث معاذ بن جبل قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سفر فأصبحت يوما قريبا منه، ونحن نسير فقلت: يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال: (**لقد سألت عن عظيم وأنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت**) ثم قال: (**ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل**) ثم قرأ قول الله تعالى ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ الحديث[٢].

وفيها: وعد من الله للمؤمنين بالجزيل من الثواب الذي لا يعلمه أحد إلا هو وفي حديث أبي هريرة: عن رسول الله ﷺ قال: (**قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**)[٣].

---

(١) سورة غافر من الآية ٦٠ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٥ ص٢٣١، وسنن الترمذي ج٥ ص١٣، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، برقم (٢٦١٦).

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٣٧٥، كتاب التفسير، باب قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) برقم (٤٧٧٩).

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟
فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾
وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا
مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ هذا استفهام إنكاري، والمعنى: أن من كان مؤمنا بالله مصدقا بآياته متبعا لرسله لا يتساوى مع الفاسق العاصي لربه المكذب لرسله وآياته ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي: أن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة من الفروض والنوافل والصدقات والبر والإحسان ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ أي: يستحقون الجنات ﴿نُزُلًۢا ﴾ أي: دار إقامة وسكن لهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: جزاء لهم على أعمالهم الصالحة.

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ ﴾ أي: الذين عصوا الله واستكبروا عن عبادته ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ أي: مقامهم النار ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن

يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ أي: كلما رغبوا الخروج منها؛ لشدة ما يقاسونه من عذابها أعادتهم ملائكة العذاب إليها ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: تقول لهم ملائكة العذاب وهي توبخهم وتؤنبهم: ذوقوا العذاب جزاء تكذيبكم به ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ أي: سوف نذيقهم من عذاب الدنيا، وهو ابتلاؤهم بالمصائب في أنفسهم بالأمراض وفي أموالهم بالنقص هذا اضافة إلى العذاب الأكبر يوم القيامة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يتوبون إلى الله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ أي: لا أحد أظلم ممن جاءته آيات ربه بينة ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ استكبارا وجحودا وكفرا ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ أي: سننتقم منهم يوم القيامة أشد الانتقام جزاء إعراضهم عن آيات الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير عدم التسوية بين المؤمن والفاسق، والمطيع والعاصي كما قال عز وجل ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾(١). وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) سورة ص الآية ٢٨.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[١].

وفيها: تقرير جزاء المؤمنين وجزاء الفاسقين، وأن الفاسقين يعادون إلى العذاب، كلما أرادوا الخلاص منه، وذلك جزاء تكذيبهم به في الدنيا. وفيها: أن الله قد يأخذ المكذبين لرسوله بالعذاب في الدنيا بما يصيبهم في أنفسهم وأموالهم وأولادهم، ناهيك عمَّا يستحقونه من عذاب الآخرة!. وفيها: أنه لا أحد أظلم ممن جاءته آيات الله ثم تولى عنها جحودا وكفرا.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ المراد به التوراة وكما أعطيناه هذا الكتاب أعطيناك يا نبينا محمداً القرآن ﴿ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ﴾ أي: لقاء موسى ليلة الإسراء وقد ورد -كما سبق ذكره- أن رسول الله ﷺ لقيه ونصحه أن يطلب من ربه التخفيف عن أمته في شأن الصلاة ففعل عليه الصلاة والسلام حيث طلب من ربه التخفيف

---

(١) سورة الجاثية الآية ٢١ .

عن أمته حتى جعلها خمسا بعد أن كانت خمسين ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: الكتاب الذي أنزل على موسى كان هاديا لبني إسرائيل ومبينا لهم أوامر ربهم ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يدعون إلى الخير والإحسان والأعمال الصالحة، وذلك عندما كانوا صابرين لأمر الله مؤمنين بآياته كما قال تعالى ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ فلما تولوا وأعرضوا وقتلوا أنبياءهم وحرفوا ما أنزل إليهم ولم يأتمروا بالمعروف، ولم يتناهوا عن المنكر سلب الله منهم هذه الميزة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: يفصل بينهم في اختلافهم على أنبيائهم، كما يفصل بين الأمم الأخرى فيما اختلفت فيه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله كما أنزل على موسى التوراة أنزل القرآن على نبيه ورسوله محمد ﷺ، وفي هذا رد على المشركين وعلى اليهود في تكذيبهم لرسالته عليه الصلاة والسلام وإنكارهم لها. وفيها: تأكيد الإسراء والمعراج كما قال عز وجل ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ الآية(١). وفيها: تقرير أن الله جعل من بني إسرائيل

(١) سورة الإسراء من الآية ١ .

أئمة يدعون إلى الله لما كانوا صابرين على طاعته وموقنين به، فلما بدلوا في كتابهم وحرفوه وقتلوا من أنبيائهم من قتلوا سلب الله هذه الصفة منهم وغضب عليهم كما قال عز وجل ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[(١)]. وقوله ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾[(٢)]. وفيها: الحكم بأن الله عز وجل سوف يحكم بينهم ويحكم بين الأمم التي اختلفت على أنبيائها ورسلها.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ أي: أفلم يتبين لهؤلاء المكذبين بآيات الله ورسوله كم هي الأمم التي أهلكناها وهم يرون آثار هلاكها حين يمشون في مساكنهم، وكيف تحولت من مساكن عامرة إلى مساكن خاوية كحال مساكن عاد وثمود وغيرهم. وما كان هذا العذاب ليصيبها إلا

(١) سورة البقرة من الآية ٦١ .

(٢) سورة المائدة من الآية ١٣ .

بسبب تكذيبها لرسلها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي: في هلاك تلك الأمم عبر ومواعظ ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: افلا يستمعون لهذه المواعظ التي تتلى عليهم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ أي: ألم يتبين لهؤلاء ما أنعمنا به على المكذبين لآيات الله ورسالته أننا ننزل عليهم الماء من السماء فنسوقه إلى الأرض اليابسة فتحيا به بعد موتها، ويكون في حياتها خير لهم، وذلك مما تنبته من النبات لمعاشهم وأنعامهم كما قال تعالى ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾ وقوله ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ أي: هم عمي فلا يبصرون هذه الآيات بأعينهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب الاتعاظ بما حل بالأمم السابقة من العذاب وكيف أصبحت مساكنها خاوية بعد عمرانها، وذلك جزاء تكذيبها لرسلها كما قال عز وجل ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾[1]. وفيهما: تقرير جهل المشركين والكافرين وسفاهتهم حيث إنهم يرون آيات الله في نفوسهم وأموالهم؛ وذلك بإنزال المطر عليهم وإحياء الأرض لهم ومع ذلك يكذبون بآيات الله.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ

---

(١) سورة النمل من الآية ٥٢ .

ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ أي: يقول المكذبون لرسول الله محمد ﷺ وللمؤمنين: متى هذا النصر الذي تقولون إنكم تنصرون علينا؟ يقولون هذا استهزاء واستبعادا لما يقوله المؤمنون من نصر الله لهم فأمر الله نبيه ورسوله محمداً ﷺ أن يرد عليهم بقوله ﴿ قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾ أي: إذا جاء يوم الفتح الذي فيه النصر عليكم وعقابكم فلا ينفعكم إذن إيمانكم ولا تمهلون للتوبة من معاصيكم ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ أي: أعرض يا محمد عن جدالهم وعن تكذيبهم لك وانتظر نصر الله الذي وعدك به وهم ينتظرون عذاب الله الذي سيحل بهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير سفاهة المشركين باستعجالهم العذاب تكذيبا به وقد جاءهم العذاب العاجل يوم بدر، فقتل صناديدهم وسوف يلاقون عذاب الآخرة جزاء بما كانوا به يستهزئون. وفيها: أن التوبة تكون في حال الإمهال، أما إذا حل العذاب، أو إذا حضر الموت فلا ينفع ندم ولا توبة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الأحزاب

مدنية وآياتها ثلاث وسبعون آية

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ روي أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور عمرو بن سفيان ذهبوا إلى المدينة بعد معركة أحد ونزلوا على عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في المدينة وقد أعطاهم رسول الله ﷺ الأمان على أن يكلموه، فقام معهم عبد الله بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا لرسول الله ﷺ: أرفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل: إن لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك ودينك، فشق قولهم ذلك على رسول الله ﷺ فقال عمر بن الخطاب وكان حاضرا مقولتهم: دعني يا رسول الله أقتلهم فقال عليه الصلاة والسلام: (**إني قد أعطيتهم الأمان**) فقال

عمر: أخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر رسول الله ﷺ أن يخرجوا من المدينة فنزلت هذه الآية[١] وهي ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أي: الزم تقواه ومخافته ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ المراد بهم أهل مكة وهم أبو سفيان ومن كان معه ﴿وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ المراد بهم المنافقون من أهل المدينة وعلى رأسهم عبد الله بن أبيٍّ بن سلول وطعمة بن أبيرق والمعنى: لا تطع هؤلاء الكافرين والمنافقين فيما عرضوه عليك؛ لأنه عرض وقول باطل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي: عليما بكفرهم ﴿حَكِيمًا﴾ فيما سيعاقبهم به.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: التزم واثبت على ما ينزل عليك من القرآن أو ما يعلمك الله به من الوحي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أي: يعلم جميع أقوالكم وأفعالكم في سركم وجهركم فلا تخفى عليه خافية ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: اعتمد على الله، وفوض جميع أمورك إليه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: حافظا لمن توكل عليه وأناب إليه.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب تقوى الله المقتضية طاعته بفعل أوامره وترك نواهيه.

وفيها: تحريم طاعة الكافرين والمنافقين واتباع أهوائهم، وهذا

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٦١، وتفسير البغوي ص١٠٢٢ .

يقتضي معنى البراء منهم، وهذا حكم عام للأمة في كل زمان وحال حيث إن الكافرين لا يأمرون إلا باتباع ملتهم ومن ابتغى هذه الملة فلن يقبل منه عمل كما قال عز وجل ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(١). وفيها: وجوب اتباع ما أوحى الله به إلى نبيه من القرآن أو من السنة كما قال تعالى ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾(٢). وفيها: وجوب التوكل على الله؛ لأن في هذا التوكل صدق الإيمان به، واليقين بأنه المعين والكافي والحافظ كما قال عزوجل ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾(٣).

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٨٥ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ٣ .

(٣) سورة الطلاق من الآية ٣ .

بيان الآيتين:

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ قيل: إن هذه الآية نزلت في جميل بن معمر الفهري، كان ذكيا وكانت قريش تقول ما يكون هذا إلا في رجل له قلبان، وقد اغتر بقولهم فقال: إن لي قلبين أعقل بهما أفضل من عقل محمد فكذبه الله وكذب قريشا[1] ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ وهذا أيضا رد على أهل الجاهلية فإذا قال أحدهم لزوجته: أنت علي كظهر أمي حرمت عليه فأبطل الله ذلك وجعل للظهار حكما هو الكفارة ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ أي: لم يجعل الله الدعي ابنا لمولاه، فقد كان أهل الجاهلية وفي صدر الإسلام يعدون الابن بالتبني ابنا تترتب له كل الحقوق التي للابن الحقيقي ومن ذلك: تحريم الزواج من امرأته إذا طلقها أو مات عنها ﴿ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ﴾ أي: أن قول أحدكم لزوجته أنت علي كظهر أمي وقوله لدعيِّه ابني قول باللسان ولا معنى له في الحكم، فليست زوجته تحرم عليه، وليس دعيه ابنا حقيقيا له ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ ﴾ أي: العدل ﴿ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ أي: يهدي إلى طريق الهدى والرشاد.

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ ﴾ أي: ادعو الأدعياء لآبائهم الحقيقيين فلا تقولوا مثلا: زيد بن محمد، بل قولوا زيد بن حارثة ﴿ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٦١، وتفسير البغوي ص١٠٢٢ .

ٱللَّهِۚ ﴾ أي: إن دعوتهم لآبائهم الحقيقيين هو أعدل عند الله ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ أي: إن لم تعرفوا آباءهم الحقيقيين لأي سبب، فادعوهم باسم الأخوة في العقيدة ﴿وَمَوَٰلِيكُمْۚ ﴾ أي: هم بنو عمكم فادعوهم بذلك، وإن كان الدعي ممن ملكتموه ثم اعتقتموه فقولوا له (مولاي) ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ ﴾ أي: ليس عليكم إثم في قولكم للدعي يا ابن فلان وهو ليس كذلك؛ لأنكم لم تتعمدوا بهذا القول بل كان مجرد خطأ منكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ أي: يغفر ويتجاوز عن ذنوب من تاب إليه، ورحيم بإعطاء المهلة لعباده ليتوبوا إليه.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن الله لم يجعل للمرء إلا عقلا واحدا وهذا يقتضي حكما أنه لا يجتمع في الإنسان إيمان وكفر، فمن كفر بالله وكذب بآياته فهو كافر، ولو قال إنه مؤمن ومن والى الكافرين وأحبهم واتبعهم فلا يكون مواليا للمؤمنين، ولو ادعى موالاتهم وحبهم وهكذا. وفيهما: تحريم الظهار الذي كان سائدا في الجاهلية وقد أنزل الله حكمه فيه بقوله عز وجل ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ﴾[1]. وقد

(١) سورة المجادلة من الآية ٢.

جعل فيه الكفارة وهي عتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكينا كما قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1]. ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ﴾[2]. وفيها: تحريم التبني وما يترتب عليه من أحكام، كتحريم التزوج من مطلقته وتقرير إرثه، وقد ذكر أهل التفسير أن هذه الآية نزلت في زيد بن حارثة، وكان أهل خيل من تهامة قد سبوه، فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد فوهبه لعمته خديجة فوهبته لرسول الله ﷺ فاعتقه وتبناه فأقام عنده مدة، ثم جاء أبوه وعمه يرغبان في فدائه فقال لهما رسول الله ﷺ قبل بعثته: **(خيراه فإن اختاركما فهو لكما دون فداء)** فخيراه فاختار البقاء مع رسول الله ﷺ على قومه فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: **(يا معشر قريش اشهدوا أنه ابني يرثني وأرثه)** فرضي بذلك أبوه وعمه وقد أنشد فيه أبوه قصيدة حين سُبي منها قوله:

تذكرنيه الشمس عند طلوعها

وتعرض ذكراه إذا غربها أفل

---

(١) سورة المجادلة الآية ٣ .

(٢) سورة المجادلة من الآية ٤ .

وإن هبت الأرياح هيجن ذكره

فيا طول ما حزني عليه وما وجل

سأعمل نص العيس في الأرض جاهدا

ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل

حياتي أو تأتي علي منيتي

فكل امرئ فانٍ وإن غرّه الأمل[١]

وفيهما: وجوب مناداة المرء المتبنى بأبيه فإن لم يعرف له أب نودي باسم الأخوة في الله فيقول صاحبه: هذا أخي في الله أو ينادى باسم العمومة فيقول: هذا ابن عمي، أو إن كان معتقا فيقول: هذا مولاي. وفيها: انتفاء الإثم إذا أخطأ الإنسان في نسبة شخص إلى غير أبيه إذا لم يكن عامدا ذلك، وشاهده قول الله عز ذكره ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[٢]. وشاهده أيضا قول رسول الله ﷺ: (**إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**)[٣].

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُوا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص١١٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، ج٢ ص٢٣٨.

(٢) سورة الأحزاب من الآية ٥ .

(٣) سنن ابن ماجة ج١ ص٦٥٩، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره، برقم (٢٠٤٣).

ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾.

بيان الآية:

﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ لقد كان من حسن حظ هذه الأمة أن جعل الله منها نبيها شفيقا عليها رحيما بها كما قال عزوجل ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(١)]. فبهذا جعله الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم وفي هذا قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه أبو هريرة: **(ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤوا إن شئتم ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا فإن ترك دينا أو ضياعا فلياتني وأنا مولاه)**[(٢)]. ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ أي: أن أزواج رسول الله ﷺ أمهات للمؤمنين في الحرمة وفي احترامهن وإكرامهن والترضي عنهن ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: أن أهل القرابات أولى في الإرث من غيرهم والمراد به ما كان سائدا

---

(١) سورة التوبة من الآية ١٢٨ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٣٧٦، كتاب التفسير سورة الأحزاب، برقم (٤٧٨١).

في صدر الإسلام من التوارث باسم الدين والهجرة وهو معنى قوله ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾. ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ﴾ أي: إلا أن تبروا بوصية جائزة لأحد من المؤمنين أو المهاجرين فهذا مما يجوز ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ أي: أن كوْن الأرحام بعضهم أولى ببعض حُكْمٌ حَكَمَ الله به وسطره في اللوح المحفوظ.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: وجوب تقديم إرادة رسول الله ﷺ وحبه على إرادة المسلم وحبه لنفسه وولده وماله وكل الناس؛ ذلك أنه عليه الصلاة والسلام جاء بالهدى الذي أنقذ الله به من الضلالة، فما نالت الأمة من الهداية وما اندفع عنها من الشرك والإثم إلا بسبب رسالته فهو الأب الرحيم للأمة وشاهده قول الله عز ذكره ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[(١)]. وشاهده من السنة: قول رسول الله ﷺ: (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين**)[(٢)]. ولما قال عمر: والله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا

(١) سورة النساء الآية ٦٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٦١٣، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، برقم (٤٤).

من نفسي قال عليه الصلاة والسلام: (**لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك**) فقال عمر: أنت أحب إلي من نفسي، فقال رسول الله ﷺ: (**الآن يا عمر**)[(١)]. وفيها: حرمة أزواج رسول الله ﷺ وأنهن أمهات المؤمنين، وهذا يقتضي تكريمهن وتوقيرهن والترضي عنهن وإن من تعرض لهن أو لإحداهن بسب أو فحش أو فرية فإن الله بريء منه. وفيها: حصر التوارث بين أولي الأرحام، وقد اقتضى هذا تحريم ما كان سائدا في صدر الإسلام من التوارث بين المهاجرين والأنصار والتوارث بين المؤمنين بموجب العقيدة أو الحلف. وفيها: الاستثناء من الحكم إذا كان بحكم الوصية الجائزة بمقدار الثلث فما دونه.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه أخذ على الأنبياء العهد والميثاق أن يبلغوا رسالاته، ويدعوا أممهم وأقوامهم، أن يوحدوا الله، ويتبرؤوا من الشرك به، وأن يصلحوا في الأرض ويتجنبوا الفساد فيها ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٥٣٢، برقم (٦٦٣٢)، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كان يمين النبي ﷺ.

﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ لما ذكر عز وجل أخذ الميثاق على سائر الأنبياء خص أولي العزم منهم بالذكر تشريفا وتكريما لهم وابتدأهم بمحمد ﷺ؛ لشرفه وكونه خاتمهم، ثم ذكرهم حسب زمان إرسالهم إلى أممهم ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ توكيد بأن الميثاق الذي أخذ عليهم ميثاق وعهد شديد ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ أي: يسأل يوم القيامة الأنبياء عن تبليغ رسالته وهو يعلم ذلك ولكن ليقيم الحجة على الكافرين ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: أعد للذين كفروا من أمم الرسل عذابا مؤلما.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله أخذ الميثاق والعهد على الأنبياء والمرسلين أن يبلغوا رسالاته إلى خلقه، وذلك بتوحيده وطاعته وتنزيهه عن الشرك. وفيهما: تشريف أولي العزم من الرسل بذكرهم، وقد بدأ ذكر أسمائهم بمحمد ﷺ لشرفه. وفيهما: أن الله عز وجل يسأل الأنبياء عن تبليغ رسالاته وهو يعلم أنهم بلغوها وأنهم صدقوا فيما عهد الله إليهم به ولكن أراد إقامة الحجة على الكافرين قبل مجازاتهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ

وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾

هذا بيان من الله عن نعمه وفضله على رسوله وعلى المؤمنين بهزيمة المشركين وأحلافهم من اليهود عام الخندق وقصة هذه الواقعة -كما سبق ذكره- أن قوما من بني النضير اليهود الذين أجلوا إلى خيبر بسبب غدرهم خرجوا إلى مكة يؤلبون قريشا على رسول الله ﷺ وأصحابه، وقد وعدوهم بالمدد والنصر، ثم ذهبوا أي: قادة بني النضير إلى غطفان فألبوهم فخرجت قريش بقيادة أبي سفيان وخرجت غطفان بقيادة عيينة بن حصن الفزاري والحارث بن عوف المري على بني مرة فتكون منهم جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل.

فلما سمع رسول الله ﷺ بأمرهم أشار عليه سلمان الفارسي بحفر خندق حول المدينة من جهة شرقها، فعمل المسلمون جهدهم في الحفر والتأهب لصد المتآمرين، وكان رسول الله ﷺ أول العاملين في الحفر، وجاء المشركون ومن معهم إلى المدينة وأقاموا في شرقها قريبا من جبل أحد ونزلت طائفة منهم في أعالي المدينة والمراد بالجنود جنود المشركين وأحلافهم من اليهود وخرج رسول الله ﷺ ومعه نحو من ثلاثة آلاف من المؤمنين وقيل: أقل فجعلوا ظهورهم إلى جبل سلع، ووجوههم

تجاه العدو وجعلوا النساء والذراري في آطام المدينة خوفا عليهم. وكان رسول الله ﷺ والمؤمنون مطمئنون إلى أن بني قريظة سيبقون على الحياد وذلك للعهد الذي معهم إلا أن أحد قادة بني النضير خاطبهم في الانضمام إلى الحلف، ولم يزل بهم حتى نقضوا العهد وانضموا إلى الأحزاب، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين.

وقد استمر حصار المدينة نحوا من شهر لم يتمكنوا فيه من عبور الخندق، ولم يحدث قتال، ولأن الخندق لم يكن فيه ما يصد الخيالة، فقد اقتحم عمرو بن عبد ود وفرسان معه الخندق فأمر رسول الله ﷺ علياً أن يخرج إليه، فتقاتلا ساعة ثم صرعه علي رضي الله عنه فكان ذلك بداية النصر للمؤمنين[١]. وفي لحظة من لحظات النصر الإلَهي أرسل الله عليهم ريحا شديدة، فلم يبق لهم شيء إلا وقذفته ودمرته حتى رجعوا، وهم أكثر هزيمة وخسرانا.

قوله ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ المراد بالريح ريح الصبا وفيها قال رسول الله ﷺ **(نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور)**[٢]. والمراد بالجنود الملائكة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ أي: علم باستعدادكم للمعركة وبما كان يبيته لكم المشركون وأعوانهم من اليهود والمنافقين.

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق ج٢ ص٥٨-٧٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء برقم ١٠٣٥ ج٢ ص٦٠٤.

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ أي: جاءكم المشركون وأعوانهم من شرق المدينة وجنوبها ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أي: كانت الأبصار تنظر إلى العدو من شدة الخوف.﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ هذا تعبير عن شدة الخوف الذي أصاب المؤمنين أو بعضهم ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ أي: ظن بعض من كان مع رسول الله، خاصة المنافقين أن المؤمنين لن ينتصروا، أما المؤمنون فكانوا ثابتين على إيمانهم، وكانوا يوقنون أن الله سوف ينصر دينه ويعلي كلمته. ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ المراد أن الله ابتلى المؤمنين في تلك المعركة ليعلم -وهو العليم- مدى صبرهم وإيمانهم وثباتهم مع رسوله محمد ﷺ. ﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ أي: أصابهم الخوف من شدة ما كانوا فيه من الجهد والحصار وما كان عليه العدو من القوة وكثرة العدد.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب تذكر نعم الله على العبيد؛ لأنه ما من نعمة يتنعمون بها إلا وهو المنعم والمتفضل بها عليهم. وفيها: أن غزوة الأحزاب للمدينة كانت نتيجة تآمر وتحالف بين المشركين واليهود وكانت من أشد المعارك على المسلمين؛ لكون الحصار استمر عليهم شهرا أو نحوه، مع ما في المسلمين من ضعف اقتصادي يقابله قوة اقتصاد العدو وكثرة جنوده. وفيها: التنديد بسوء الظن وأن المنافقين في أي زمان أو مكان أخطر من العدو.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ لما حل الجهد والشدة بالمؤمنين أثناء الحصار خرج المنافقون على حقيقتهم، فطائفة منهم قالت: إن ما قيل عن وعد الله ووعد رسوله لنا بالنصر ما هو إلا قول باطل. أما الطائفة الأخرى فقالت ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ أي: يا أهل المدينة لا مقام لكم عند النبي ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى بيوتكم ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ أي: أن فريقا من هؤلاء قيل: إنهم بنو حارثة، استأذنوا رسول الله ﷺ العودة ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي: مكشوفة ونخاف عليها من الاعتداء وهنا كشفهم الله فقال تعالى ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ أي: ليست كما يدعون ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ أي: أن هدفهم الفرار من القتال ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي: لو دخل عليهم العدو من أنحاء المدينة ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا﴾ أي: لو قيل لهم اكفروا لكفروا

﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾ أي: لم يتمهلوا فيما يطلب إليهم من العودة إلى الكفر بل يسارعون إليه.

أحكام ومسائل الآيات:

التنديد بسلوك المنافقين ودعوتهم إلى الهزيمة وظنهم في الله ورسوله ظن السوء. وفيها: وجوب الحذر من المنافقين وعدم الركون إليهم، وعدم الثقة فيهم، وانتحالهم الأعذار في الهروب من الجهاد واستعدادهم للكفر عندما يطلب منهم. ولهذا توعدهم الله بأشد العذاب في قوله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[١].

﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل غزوة الأحزاب

---

(١) سورة النساء الآية ١٤٥ .

بعد معركة بدر؛ ذلك أنهم غابوا عن هذه المعركة ورأوا ما منّ الله على أهلها من الفضل قالوا: لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ أي: يسأل يوم القيامة عمن نقضه ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ أي: أن فراركم من القتال لن يمنعكم من الموت فمن جاء أجله فسوف يموت ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لن تمكثوا في الدنيا بعد فراركم من الجهاد إلا مدة قليلة حيث إن آجالكم ستنقضي.

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: قل لهم يا نبينا محمداً من هو الذي يمنعكم من الله ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ أي: هلاكا وعذابا ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ أي: خيرا ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ أي: لن يجدوا من دون الله وليا يواليهم أو نصيرا ينصرهم بل هو النافع الناصر.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بوجوب الوفاء بالعهد، وأن كل من عاهد على أمر سوف يسأل عما عاهد عليه كما قال عز وجل ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[1]. وفيها: تقرير أن الفرار من الجهاد لا يؤجل الموت؛

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٣٤ .

لأن عمر الإنسان محدد بأجل كما قال الله عز وجل ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(١). وفيها: أنه ما من أحد في الوجود يعصم أحدا من دون الله كما أنه لا أحد يوالي أو ينصر أحدا من دونه لأنه العاصم والولي والنصير لعباده المؤمنين.

﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ أي: أن الله يعلم من هم المعوقون الداعون للقعود عن الجهاد ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ قيل: إن المراد به رجل من أصحاب رسول الله ﷺ وجد أخاه وبين يديه خبز وشواء فقال له: أنت هنا ونحن بين الرماح والسيوف، فقال: هلم إلى هذا والله لا يشغل بها محمد أبدا. فقال له أخوه: كذبت، فذهب إلى رسول الله ﷺ يخبره فوجد الآية قد نزلت(٢) وقيل: نزلت في غيره

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٣٤ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ص١١١٨، والجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص١٥٢ .

والمراد بها المنافقون الذين تخلفوا عن الجهاد[١] ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لا يجاهدون لأنهم يخافون من الموت ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ أي: بخلاء بجهودهم في حفر الخندق ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: أنهم جبناء من شدة خوفهم من الذهاب للجهاد خشية أن يقتلوا ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ أي: آذوكم بأقوالهم السيئة ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ أي: لا خير فيهم لأنهم جمعوا النفاق والجبن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي: ولأنهم منافقون، فلم يكن لهم إيمان لهذا أحبط الله عملهم وكان هذا هينا على الله.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: التنديد بسلوك المنافقين وجبنهم عن الجهاد. وفيهما: ذم الشح والبخل كما قال عز وجل ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾[٢]. وفيهما: ذم كثرة الكلام الذي يفضي إلى الثرثرة وإطالة اللسان، وفيه قول رسول الله: (**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا. وإن من**

---

(١) تفسير البغوي ص١٠٣٢ .

(٢) سورة محمد من الآية ٣٨ .

أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون) قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: **(المتكبرون)**[١]. وفيهما: أن المنافقين لا يؤمنون وأن الله يحبط أعمالهم.

﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ﴾ أي: وبسبب جبنهم وعدم إيمانهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا ولم ينصرفوا ﴿ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ أي: إن يرجع الأحزاب مرة أخرى إلى المدينة ﴿يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ ﴾ أي: تمنى هؤلاء المنافقون أن يكونوا في البادية مع الأعراب بعيدين عن القتال ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ﴾ أي: يتساءلون عن حال محمد وأصحابه وهل انهزم؟ وهل انتصر أهل الأحزاب؟ ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، برقم (٢٠١٨) سنن الترمذي ج٤ ص٣٢٥، والإمام أحمد في المسند ج٤ ص١٩٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٨ ص٢١ .

أي: لو كانوا معكم أثناء القتال لم يبذلوا إلا جهدا يسيرا وذلك لجبنهم وضعف إيمانهم وخوفهم من الموت.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير أن المنافقين لا يحبون الخير للمؤمنين، بل يحبون أنفسهم فيكونون مع من يظنون أن القوة له ويتمنون أن يكونوا بعيدين عن القتال، وإذا حدث أن يشهدوا القتال فلا يقاتلون إلا قليلا لشدة جبنهم وخورهم.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ هذا خطاب فيه أمر للأمة بالتأسي والاقتداء برسول الله محمد ﷺ في صبره في الشدائد والنوائب ومن ذلك: يوم الأحزاب؛ فإنه لما كان حفر الخندق ألقى ثوبه وأخذ المعول ليضرب الحصاة التي ظهرت أثناء الحفر، واشتكى منها الصحابة فكان يضرب ويقول: (**باسم الله**). وفي أثناء الحصار كان

عليه الصلاة والسلام أشد ما يكون قوة وجلدا وصبرا، لم يتضجر ولم ييأس، ولهذا عاتب الله المتخلفين والمتخاذلين وأمرهم بالاقتداء به ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ أي: يتأسى ويقتدي به من كان يطمع في ثواب الله يوم القيامة ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: كان يذكره طمعا في ثوابه وخوفا من عقابه ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ في هذا ثناء على المؤمنين وإخبار عنهم بأنهم لما رأوا اجتماع الأحزاب ثبتوا على إيمانهم وقالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله من الاختبار، ووجوب الثبات عند لقاء الأعداء وما يتفضل به علينا من النصر وهزيمة الأحزاب ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ أي: ما زادهم لقاء الأعداء إلا إيمانا بالله وترقبا لنصره وتسليما لأمره.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بوجوب الاقتداء برسول الله ﷺ والتأسي به في صبره وقوة إيمانه وثباته عند الشدائد والنوائب. وفيهما: مدح الله للمؤمنين الذين يثبتون عند لقاء العدو ويزدادون مع ذلك إيمانا بالله وثقة في نصره والتسليم لأمره. كما قال عز وجل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1].

---

(١) سورة الأنفال الآية ٤ .

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ لما ذم الله عزوجل حال المنافقين وجبنهم وخوفهم من القتال مدح المؤمنين الذين صدقوا في عهدهم ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ أي: أجله ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ أي: الشهادة في سبيل الله ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ أي: بقوا على عهدهم، فلم يغيروه ولم يبدلوه. قيل: إن هذه الآية نزلت في أنس بن النضر، حيث لم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر فشق ذلك عليه وقال: أول مشهد مع رسول الله غبت عنه، ولئن أراني الله مشهدا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله عز وجل ما أصنع فشهد يوم أحد فاستقبل سعد بن معاذ فقال له: يا أبا عمرو أين ؟ فقال: واها لريح الجنة إني أجده دون أحد، فقاتلهم حتى قتل رضي الله عنه وأرضاه فوجد في جسده بضع وثمانون ضربة وطعنة ورمية، فما عرفته أخته إلا ببنانه[1].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ ص٥٢٥١، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، برقم (١٩٠٣)، وصحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٣٧٧، كتاب التفسير مختصرا، باب قوله تعالى (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً)، برقم (٤٧٨٣).

﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ أي: يجزي الله الذين صبروا وثبتوا على العهد وأقاموا عليه ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ الذين نقضوا عهد الله وعصوه ﴿إِن شَآءَ﴾ أي: يعذبهم إذا أراد ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إذا هم تركوا النفاق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: يغفر ويرحم من يشاء من عباده ويتوب عليه.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: ثناء الله على المؤمنين الذين يوفون بعهودهم ويحافظون عليها، فلا يخونون ولا يغدرون ولا يبدلون كما قال عزوجل في مدحهم ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ﴾[١]. وفيهما: ذم المنافقين وتحقيرهم؛ بسبب سلوكهم وجعلهم تحت مشيئته إما أن يعذبهم أو يتوب عليهم إذا غيروا سلوكهم وتابوا من نفاقهم.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قالت عائشة رضي الله عنها: المراد به أبوسفيان بن حرب وعيينة بن حصن الفزاري[٢] ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ أي:

(١) سورة الرعد الآية ٢٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص١٦٠.

بما أصابهم من الغم؛ بسبب فشل أهدافهم ﴿لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗا﴾ أي: لم يحققوا مقاصدهم الشريرة في النيل من رسول الله ﷺ والمؤمنين ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ﴾ أي: لم يحتج المسلمون إلى قتال الأحزاب، بل سلط الله عليهم الريح التي زعزعتهم وقوضت مساكنهم وأنزلت الرعب في قلوبهم فعادوا إلى ديارهم خائبين ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا﴾ أي: قويا بقوته وإرادته فردهم على أعقابهم وجعل النصر للمؤمنين.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير إرادة الله في هزيمة الأحزاب وردهم على أعقابهم، فلم يحققوا شيئاً من أهدافهم. وفيها: إخبار الله عن خيبتهم وأنهم لم ينالوا خيرا من تحالفهم. وفيها: أن الله كفى المؤمنين شر قتالهم حيث تحقق لهم النصر عليهم دون قتال وكان رسول الله ﷺ يقول في تلك الغزوة: (**لا إلَه إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده**)[1].

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ٢٦ وَأَوۡرَثَكُمۡ

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٧ ص٤٦٩، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، برقم (٤١١٤).

أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾

سبقت الإشارة إلى أن بني قريظة كانوا على عهد مع رسول الله ﷺ، إلا أنهم نقضوا العهد حين أغراهم بنو النضير في الانضمام إلى الأحزاب، فلما رد الله الأحزاب ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ووضع المؤمنون سلاحهم أتى جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال له: أوضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال: (**نعم**)، قال جبريل: لكن الملائكة لم تضع سلاحها. ثم قال: إن الله تعالى يأمرك أن تذهب إلى بني قريظة، فنهض رسول الله ﷺ من فوره وأمر الناس بعد صلاة الظهر بالمسير إلى بني قريظة وقال: (**لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة**) فسار الناس فأدركتهم صلاة العصر فصلى بعضهم في الطريق وقالوا: لم يرد منا رسول الله ﷺ إلا تعجيل المسير، وقال آخرون: لا نصليها إلا في بني قريظة. فلم يعتب على أحد منهم فيما فعل. وتبعهم رسول الله ﷺ بعد أن استخلف على المدينة ابن أم مكتوم وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب، ثم نازلهم رسول الله ﷺ وحاصرهم خمسا وعشرين ليلة فلما طال عليهم الأمد وبلغ بهم

الجهد قال عليه الصلاة والسلام: **(أتنزلون على حكمي)** فأبوا، فقال: **(أتنزلون على حكم سعد بن معاذ)** -سيد الأوس- قالوا: نعم، فحكَّمه فيهم فحكم أن تقتل مقاتلتهم وتغنم أموالهم وتسبى ذراريهم[١].

قوله تعالى ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ المراد بهم بنو قريظة حين عاونوا أهل الأحزاب ونقضوا العهد الذي عاهدوا عليه رسول الله ﷺ ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ أي: من حصونهم ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ أي: أنزل الله عليهم الخوف في نفوسهم فقبلوا التحكيم ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ المراد بهم مقاتلتهم الذين حكم فيهم سعد بن معاذ ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ المراد بهم الذراري ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ أي: مزارعهم ﴿وَدِيَٰرَهُمْ﴾ أي: حصونهم ﴿وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾ أي: أموالهم المنقولة ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ أي: أورثكم بعد ذلك أرضا هي خيبر حيث فتحها الله على المؤمنين في السنة السادسة من الهجرة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ أي: في نصره لعباده وهزيمته للأحزاب.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن مآل نقض العهد الهزيمة والعقاب كما قال عزوجل ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ

---

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق ج٢ ص٧٣-٨١ .

﴿فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾(١). وما حدث لبني قريظة كان عقابا لهم على نقضهم العهد ومناصرتهم الأحزاب. وفيهما: تقرير قدرة الله في هزيمة أعداء دينه بقذف الرعب في قلوبهم، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: (**أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر**) الحديث(٢). وفيهما: الحكم أن الله يورث الأرض لعباده الصالحين، فقد ورث المسلمون أراضي الجزيرة كلها، وأراضي الشام وفارس وغيرها. كما قال عز وجل ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾(٣). وفيهما: تقرير قدرة الله في نصر عباده وهزيمة أعدائه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ الآية. كانت المدينة في وقت من

---

(١) سورة الفتح من الآية ١٠ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص٥١٩ ، كتاب التيمم، باب (١)، برقم (٣٣٥).

(٣) سورة الأنبياء الآية ١٠٥ .

الأوقات في حالة اقتصادية جيدة فتوسع الناس في أحوالهم، وكانت نساء النبي ﷺ يرين نساء الأنصار في سعة من العيش فأردن أن يطلبن زيادة نفقتهن وكن يومئذ تسعا: عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وصفية بنت حيي النضرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية. وقد تلقَّى رسول الله ﷺ هذا الطلب من عائشة نيابة عنهن، فلعله عليه الصلاة والسلام تأثر لما سمع ولم يكن عليه الصلاة والسلام ليبخل عليهن، ولكنه آثر الآخرة على الدنيا فلم يكن له من المال ما يزيد في هذه النفقة، وقد اعتزلهن قرابة شهر حتى أنزل الله عليه هذه الآية لتخيير نسائه وهي قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا ﴾ أي: قل يا نبينا محمد لنسائك إن كنتن تردن لذة الحياة الدنيا من المأكل والمشرب والملبس ﴿ فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ ﴾ أي: أقبلن أمتعكن متعة الطلاق ﴿ وَأُسَرِّحۡكُنَّ ﴾ أي: أطلقكن ﴿ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴾ أي: أطلقكن طلاق السنة من غير إضرار بكنّ ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ أي: الجنة ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ أي: أعد لكن مقاما عظيما في رفقة رسول الله ﷺ وقد امتثل صلاة الله وسلامه عليه

أمر ربه فبدا بعائشة قائلا: (**إني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن تستعجلي حتى تستأمري أبويك**) وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت: ثم قال: (إن الله قال ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ الآية. فقلت له: ففي أي هذا استأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة[١]. وما خيّر واحدة من زوجاته إلا اختارته.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير أن الزوجة إذا طلبت الطلاق من زوجها فالمشروع له أن يطلقها من غير إضرار بها؛ ذلك أن الحياة الزوجية مبنية على التراضي والمودة؛ فإذا فقد هذا تتحول الحياة إلى مشقة بل وإلى مخاطر. وفيهما: فضل أمهات المؤمنين زوجات رسول الله ﷺ فقد اخترنه على الحياة الدنيا وزينتها ونعيمها ورضين أن يعشن معه على أي: حال من النفقة ابتغاء الدار الآخرة فرضي الله عنهن وأرضاهن. وفيهما: أن إعطاء المرأة بعد طلاقها بعض المال أمر مشروع؛ لما في ذلك من تطييب خاطرها بعد الطلاق والفرقة وهو ما يسمى متعة الطلاق، وأن يكون هذا المال حسب قدرة المطلِّق. وفيهما: وعد الله ووعده الحق أن من يحسن عمله ويبتغي به وجه الله ينال الأجر والثواب العظيم.

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٣٧٩، كتاب التفسير، باب قوله تعالى (قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها .)، برقم (٤٧٨٥).

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ ۞وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ لما كانت نساء رسول الله ﷺ يختلفن عن غيرهن فيما خصهن الله به من الدرجات العالية مع رسول الله ﷺ ناسب أن حذرهن الله من الإساءة له كسوء العشرة، أو النشوز، وجعل عقوبتهن في ذلك مضاعفة كما قال عزوجل ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ أي: مضاعفة العذاب لمن أساء إلى رسول الله ﷺ ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ﴾ أي: من تطع منكن الله ورسوله بعمل الصالحات فإن الأجر يضاعف لها مرتين ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾ أي: في الجنة مع زوجها رسول الله ﷺ.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير مضاعفة العذاب لمن يكون له خصائص في الفضل إذا أتى

بفاحشة كما هو الحال في زوجات رسول الله ﷺ، فلو أسأن إليه عليه الصلاة والسلام - وحاشاهن ذلك - ضوعف العقاب لهن؛ بسبب أن الإساءة له محرمة من جهة، ومن جهة ما خصهن الله به من علو المنزلة، وهذا عام لمن كانت له خصائص معينة فخطيئة العالم غير خطيئة الجاهل وخطيئة الشيخ غير خطيئة الشاب وهكذا. وفيهما: فضل طاعة الله واتباع رسوله محمد ﷺ.

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ ﴾ هذا تهذيب لأزواج رسول الله ﷺ وتوجيههن بالآداب التي تليق بمقامهن وعلو منزلتهن وهي في الوقت نفسه توجيه عام لنساء الأمة والمراد أنكن

يا نساء النبي لستن مثل النساء الأخريات بل إن لكن منزلة خاصة ومقاماً متميزاً إذا اتقيتن الله بعمل الصالحات ومنها طاعة الله ورسوله ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي: بسبب هذه المنزلة لا يكن كلامكن رقيقا ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ إما من جهة النفاق، أو من جهة ضعف الإيمان مما يجعله يحب سماع أصواتكن لغرض في نفسه ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: قلن ما تحتجن له من الكلام دون أن يكون فيه زيادة عن هذه الحاجة.

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ أي: ليكن قراركن في بيوتكن فلا تخرجن إلى الأسواق إلا لحاجة ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: إذا خرجتن للحاجة فكن مستترات محتشمات، ولا تكن مثل نساء الجاهلية اللاتي كن يخرجن إلى الأسواق متبخترات متكسرات في مشيتهن مما يلفت نظر الرجال إليهن.

﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: أدينها كما كتبت بأركانها وشروطها وواجباتها ﴿وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: أدين ما عليكن من زكاة إذا كان لكن أموال ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ أي: التزمن ما أمركن به واجتنبن ما نهاكن عنه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي: أن الله بهذه الأوامر والآداب التي أمرتم بها أراد أن يطهركم من الرذائل والأنجاس ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ أي: يطهركم

تطهيرا كاملا من الأدناس، فتكونوا بذلك طاهرين ومطهرين. والمراد بآل البيت هنا: زوجات رسول الله ﷺ؛ لأنهن المخاطبات بالآية، ومن آل البيت فاطمة وابناها الحسن والحسين وعلي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ وصهره. وفي هذا حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مُرحَّل فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عَلِيٌّ فأدخله ثم قرأ الآية(١).

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾

هذا خطاب لزوجات رسول الله ﷺ فيه موعظة لهن وتذكيرهن بما يتلى في بيوتهن من آيات الله وهي: القرآن والحكمة أي السنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ أي: لطيفا بكم يا أهل بيت رسول الله بما أنعم عليكم خبيرا بأحوالكم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بتحريم خضوع المرأة في كلماتها وترقيقها مما يغري الفساق وأصحاب الشهوات ومن لا خلاق لهم؛ إذ من عادة الفساق الظن السيء بالمرأة في حال رقة صوتها ولو كانت عفيفة طاهرة، فاقتضى ذلك منع ما يكون مدخلا لأهل الظنون السيئة من

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٣٢٦، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بيت النبي ﷺ، برقم (٢٤٢٤).

الفساق. وفيها: الأمر بقرار المرأة في بيتها منعا لما قد ينالها من الأذى مالم يكن لخروجها ضرورة أو حاجة كشراء ما لابد لها منه على ألا يكون في خروجها مظنة الفتنة.

وفيها: الحكم بتحريم التبرج كما كانت نساء الجاهلية يفعلن من المشي بين الرجال متكسرات في مشيتهن مسدلات مروطهن على ظهورهن مظهرات صدورهن وأعناقهن. وفيها: الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)﴾.

بيان الآية:

روت أم سلمة زوج النبي ﷺ رضي الله عنها قالت قلت: يا رسول الله مالنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال ؟ قالت فلم يرعني ذات يوم إلا ونداؤه على المنبر قالت: وأنا أسرح شعري، فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرتي، فجعلت سمعي عند الجريد فإذا هو يقول عند

المنبر: يا أيها الناس إن الله تعالى يقول ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الآية[(١)].

قوله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ أي: هم الذين أسلموا من النساء والرجال وجوههم لله طائعين منقادين له ﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: هم الذين صدقوا من النساء والرجال بالله ورضوا به ربا لهم وإلَها لهم ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ هم الرجال والنساء الذين أطاعوا الله حق طاعته ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ أي: الذين يصدقون في أقوالهم من الرجال والنساء ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ أي: الصابرين من الرجال والصابرات من النساء على طاعة الله وعلى ما يصيبهم من الشدائد والضيق لا يضجرون ولا يتطيرون ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ أي: الذين خشعت قلوبهم من النساء والرجال لطاعة الله عزوجل ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ أي: الذين يتصدقون من الرجال والنساء من أموالهم فلا يبخلون على قريب ولا على مسكين أو محتاج ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ أي: الذين يصومون من الرجال والنساء، ابتغاء مرضاة الله وطمعا في ثوابه ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ أي: الحافظين من الرجال لفروجهم والحافظات من النساء لفروجهن عن الحرام

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ص٤٦٨ .

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ أي: الذين يذكرون الله في سائر الأوقات، فلا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكره. ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: أن الله أعد لهؤلاء المذكورين والمذكورات مغفرة لذنوبهم وأجرا عظيما على عبادتهم وإخلاصهم لله وهذا الأجر هو الجنة.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآيات: تقرير أن الإسلام غير الإيمان كما قال عز وجل ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[١]. وفيه قول رسول الله ﷺ: **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)**[٢]. ولكن هذا لا ينفي إسلامه، بل يعد مسلما وإن زنى وإن سرق. وفيها: فضيلة القنوت وهو طاعة الله في خشوع وخضوع وهو في المرحلة الأولى من الإيمان قال تعالى ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾[٣]. وفيها: فضل الصدق في القول والعمل ويشهد له قول رسول الله ﷺ: **(عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى**

---

(١) سورة الحجرات من الآية ١٤ .

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٣٣، كتاب الأشربة، باب قول الله تعالى (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)، برقم (٥٥٧٨).

(٣) سورة الزمر من الآية ٩ .

الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا)[١]. وفيها: فضيلة الصبر عند الشدائد وعدم الجزع والرضى بأقدار الله، فما من شيء يقدره على عبده إلا وله فيه خير قال تعالى ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾[٢]. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾[٣]. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[٤]. وفيها: فضيلة الخشوع وهو السكينة في الحركة والطمأنينة فيها والتواضع والخوف من الله في السر والعلن، وقد أثنى الله تعالى على الخاشعين في صلاتهم بقوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٥]. ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ﴾[٦].

وفيها: فضيلة الصدقة؛ لما فيها من الإحسان إلى الأقارب والمحاويج والمساكين والمنقطعين وفي فضلها قال رسول الله ﷺ: **(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم**

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٦٣٦، كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، برقم (٢٦٠٧).

(٢) سورة العصر الآية ١ .

(٣) سورة العصر الآية ٢ .

(٤) سورة العصر الآية ٣ .

(٥) سورة المؤمنون الآية ١ .

(٦) سورة المؤمنون الآية ٢ .

شماله ما تنفق يمينه)(١). والصدقة لا تنقص المال بل تزيده وشاهد هذا قول رسول الله ﷺ: **(ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزّا)**. الحديث(٢).

وفيها: فضيلة الصيام؛ لما فيه من تعويد النفس على الصبر وكسر حدة الشهوة للطعام والشراب، وقد جعل الله للصائمين بابا خاصا بهم اسمه الريان، وهذا دليل على فضل الصوم فرضا كان أو نفلا. وفيها: وجوب حفظ الفرج عن المحرمات كما قال عز وجل في وصف المؤمنين ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴾(٣). ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴾(٤). وفيها: فضل ذكر الله في السر والعلن، وقد جعل الله الذكر من صفات المؤمنين قال تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾(٥).

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦ ﴾

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٢ ص١٦٨، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، برقم (٦٦٠).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٦٠٧، كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع، برقم (٢٥٨٨).

(٣) سورة المؤمنون الآية ٥ .

(٤) سورة المؤمنون الآية ٦ .

(٥) سورة الأنفال من الآية ٢ .

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ هذه الآية مقدمة لنزول حكم عام، مناطه: جواز زواج المتبني من مطلقة المتبنَّى، ولم يكن هذا الحكم سهلا على نفوس الذين اعتادوا التبني في الجاهلية وفي بداية الإسلام، ولأهمية هذا الحكم جعل الله رسوله طرفا فيه؛ ذلك أنه عليه الصلاة والسلام لما خطب زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب قبلت ذلك اعتقادا منها أنه الذي سيتزوجها، فلما تبين لها أنها مخطوبة لزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخذتها العصبية، فأبت لكون زيد بن حارثة مولى وقد ساعدها في رفضه أخوها عبد الله بن جحش فنزلت هذه الآية ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ أي: إذا حكم الله ورسوله بأمر فليس لأحد خيار في قبوله أو تركه، بل يجب عليه قبوله ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ

ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ أي: حاد عن الحق وضل عنه ضلالا مبينا وهنا قبلت زينب الزواج من زيد طاعة لله ورسوله ولكنها لم تزل تترفع على زيد مما جعله يشعر بعدم الاستمرار في هذا الزواج فاستشار رسول الله في أمرها واستأذنه في طلاقها وأبى عليه السلام وكان يقول له: **(اتق الله واصبر عليها ولا تطلقها)**.

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ أي: اعرف يا نبينا محمداً وأنت تقول للذي أنعم الله عليه بنعمة الإسلام ومرافقتك وهو زيد بن حارثة ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ بعتقه من العبودية ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ أي: اصبر عليها ولا تطلقها ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ ﴾ أي: وتقول له اتق الله في طلاقها، بينما تخفي في نفسك علمك بأنه إذا طلقها زيد زوجكها الله ﴿مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ أي: مظهره وهو زواج رسول الله ﷺ من زينب بعد طلاقها من زيد ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ ﴾ أي: تخاف أن يقول الناس تزوج مطلقة ابنه زيد ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ أي: هو الذي يجب أن تخافه، وقد أمرك أن تتزوج زينب بعد طلاقها وانتهاء عدتها وذلك إبطالا لأحكام الجاهلية التي جعلت المتبنَّى مماثلا لابن الصلب في الأحكام الشرعية.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ أي: لما قضى زيد حاجته منها وهي الدخول بها، ثم طلقها، زوجناكها دون ولي أو شهود وذلك

﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ أي: قد أبحنا لك نكاحها حتى لا يبقى حرج على المؤمنين في نكاح مطلقات أدعيائهم قوله ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ أي: إن ما يقدره الله ويشاءه لا محالة كائن.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأنه لا خيار للمؤمن ولا للمؤمنة في أمر أراده الله وقضى به على عباده كما قال عز وجل ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[١].

وفيهما: الحكم أن من يعصي أمر الله ورسوله فهو ضال ضلالاً مبيناً. وفيهما: أن الله قد عاتب رسوله محمدا ﷺ على ما كان يخفيه، تحرزاً من اللائمة من رغبته في زواج زينب ابنة عمته إذا طلقها زيد بن حارثة، وفي هذا قالت عائشة رضي الله عنها: لو كان رسول ﷺ كاتما شيئا مما أنزل عليه لكتم قوله تعالى ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ الآية[٢]. وفيهما: أن رسول الله كان يخشى القيل والقال من رجال السوء أنه تزوج مطلقة دعيِّه فأخفى عليه الصلاة والسلام

---

(١) سورة النساء الآية ٦٥ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٩٧٣، كتاب الإيمان، باب قول الله عز وجل (ولقد رآه نزلة أخرى) وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء ؟ برقم (١٧٧).

رغبته حياء من الناس؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ما كان أحد أشد منه حياء.

وفيهما: أن هذه المسألة أبطلت إلى الأبد عادة التبني وما كان يترتب عليها من أحكام. وفيهما: دليل على أن الكفاءة لا تعتبر في النسب، وإنما العبرة بالدين، وفيه أيضا قول رسول الله ﷺ: (**تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك**)[1]. وقد درج السلف الصالح على ذلك، فتزوجت زينب وهي قرشية من زيد، وتزوجت أخت عبد الرحمن بن عوف من بلال بن رباح، وتزوجت ضباعة بنت الزبير من المقداد بن الأسود.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾.

بيان الآية:

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ أي: ليس على النبي من إثم فيما أمره الله به من نكاح زينب بعد أن طلقها دعيُّه زيد بن حارثة ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ هذا رد على المنافقين الذين رأوا في نكاح رسول الله ﷺ زينب بعد طلاقها عيباً عليه، أي:

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٩ ص٣٥، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، برقم (٥٠٩٠).

هذا حكم الله وقضاؤه بأنه ليس على النبيين والمرسلين من حرج في أيِّ أمر يأمرهم به، أو قضاء يقضي به عليهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ أي: أن ما يأمر به الله من شيء لابد وأن يقع لا محالة.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: نفى الله الحرج عن نبيه ورسوله محمد ﷺ في زواجه من زينب بنت جحش التي طلقها دعيه زيد بن حارثة وما بينه عزوجل أن هذا هو حكم الله في الأنبياء قبله. وفيها: الحكم بأن رسول الله ﷺ ليس أبا لزيد بن حارثة ولا لغيره، فقد مات أبناؤه وهم أطفال ولم يبق له سوى أربع بنات توفين في حياته، أما فاطمة فقد حضرت وفاته وماتت بعده بستة أشهر فرضي الله عنهن وأرضاهن.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ هذا بيان من الله يمدح ويثني فيه على الذين يقومون بإبلاغ رسالاته إلى خلقه، وهي: توحيد الله وطاعته والائتمار بأوامره والإنتهاء عن نواهيه ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ

﴿أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: يخافونه وحده، فلا يصدهم أحد عن إبلاغ رسالاته مهما كانت قوته ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ أي: كفى به ناصرا ومعينا لهم في إبلاغ رسالاته إلى خلقه ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ أي: لم يكن عليه الصلاة والسلام أبا لأحد من الرجال، فقد مات أبناؤه الأربعة وهم أطفال ولدوا من زوجته خديجة وسُرّيته مارية القبطية، وعاش له أربع بنات من خديجة ماتت ثلاث منهن في حياته وحضرت فاطمة وفاته، ثم ماتت بعده بستة أشهر ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أي: هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبي ولا رسول بعده بل هو آخر الأنبياء والمرسلين وخاتمهم وأشرفهم عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أي: عليم بكل ما في الوجود في علوه وسفله.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: ثناء الله عز وجل على الذين يبلغون رسالاته إلى خلقه، وإمامهم في هذا الأمر محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، فقد بلَّغ رسالة الله وجاهد حق الجهاد من أجل إبلاغها فكان خير مبلغ وخير ناصح وأمين لم يهن في إبلاغها؛ بسبب عداء المشركين وكيد المنافقين، ولم يضعف أمام الشدائد وهو يبلغ الرسالة فكان خير رسول لأمته فجزاه الله عنها خير الجزاء.

وفيهما: الحكم بأن رسول الله محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأشرفهم فلا نبي ولا رسول بعده. وفي هذا قال عليه الصلاة والسلام: (**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به يعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة**) قال رسول الله ﷺ: (**فأنا اللبنة**)[(١)]. وقال عليه الصلاة والسلام: (**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون**)[(٢)]. وقوله عليه الصلاة والسلام: (**إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله تعالى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد**)[(٣)]. وقد اقتضى هذا أن كل من ادعى النبوة بعده، سواء في قديم الزمان أو حاضره أو مستقبله فهو أفَّاك وضالٌّ يجب تكذيبه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٦٤٥, كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، برقم (٣٥٣٥).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص١٧٦٥, كتاب المساجد، باب (٥٣)، برقم (٥٢٣).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦١٨٩, كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، برقم (٢٣٥٤).

ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ هذا أمر من الله لعباده أن يذكروه ويكثروا من ذكره، إقرارا وشكرا له على ما أنعم به عليهم من نعمه الجليلة ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: سبحوه في الصباح والمساء ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أنه لما نزل قول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّۚ﴾ قال المهاجرون والأنصار هذا لك يا رسول الله خاصة، وليس لنا فيه نصيب، فأنزل الله تعالى هذه الآية(١)، وصلاة الله على عباده رحمته لهم وذكره لهم عند ذكرهم له، وأما صلاة الملائكة فهي استغفارهم لهم ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ أي: إن صلاة الله وملائكته على العباد هي إخراجهم من ظلمات الجهل إلى نور الحق والهدى ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ أي: رحيما بهم في الدنيا في هدايتهم إلى الحق، ورحيما بهم في الآخرة في مضاعفة حسناتهم ورأفته بهم. ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ أي: إن التحية التي يلقاها المؤمنون يوم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص١٩٨ .

القيامة هي السلام عليهم فتسلم عليهم الملائكة، ويسلم بعضهم على بعض، وسلام الله لهم يتمثل في رضاه عنهم وتجليه لهم وهذا غاية ما يتمنونه بعد دخولهم الجنة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب ذكر الله، وقد أثنى الله عز وجل على الذاكرين له فقال ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[١]. وفي الحديث: أن رجلا قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به، فقال عليه الصلاة والسلام: (**لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله**)[٢]. وفيها: وجوب تسبيح الله في الصباح والمساء وفي هذا قال عز وجل ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾[٣]. ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾[٤]. وفيها: أن الله يصلي على عباده وصلاته رحمته لهم، وذلك بإخراجهم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهداية. وفيها: أن الملائكة يصلون على العباد وصلاتهم الاستغفار لهم كما قال عز وجل عنهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ

---

(١) سورة آل عمران من الآية ١٩١ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر، برقم (٣٣٧٥)، سنن الترمذي ج٥ ص٤٢٧، والإمام أحمد في مسنده ج٤ ص١٩٠ .

(٣) سورة الروم الآية ١٧ .

(٤) سورة الروم الآية ١٨ .

رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾[1]. وفيها: أن المؤمنين يحيون يوم القيامة بالسلام من الملائكة، ويسلم بعضهم على بعض. كما قال عز وجل ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤٨) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ﴾ هذا بيان من الله لنبيه أنه أرسله بالرسالة شاهدا يوم القيامة على أمته بما عملته من خير أو شر ﴿ وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ أي: مبشرا للمؤمنين بما لهم من الفضل والثواب على إيمانهم، ونذيرا للعصاة بأن يتركوا شركهم وكفرهم ويرجعوا إلى الله ويتوبوا إليه حتى لا يحيق بهم العذاب ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ﴾

---

(١) سورة غافر الآية ٧ .

(٢) سورة يونس الآية ١٠ .

أي: دعوة الخلق إلى عبادة الله وحده وإخلاص العبادة له، وذلك بالتبرئ من الإشراك به ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ أي: تنير بالرسالة من أراد الهداية ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ أي: تبشر يا محمد الذين آمنوا بما جئت به أن لهم فضلا من ربهم هو نجاتهم يوم القيامة من العذاب ودخولهم الجنة.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ أي: لا تطع كلام الكافرين والمنافقين وما يقولونه من الكذب ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ أي: اصفح عما يقولونه، فأنت مبلغ لهم فحسب، أما جزاؤهم فعلى الله ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: اعتمد عليه في جميع أمورك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: حسبك به معينا وناصرا لك على أعدائك.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيَّن الله أن لرسوله محمد ﷺ خمس صفات هي الشهادة على أمته، والبشارة لها والنذارة لعصاتها، والدعوة لها إلى الهدى، وإنارة الطريق للمهتدين منها. وأمر الله لرسوله أمر لأمته، فكما أنه شاهد عليها، فإنها شاهدة على الأمم الأخرى كما قال تعالى ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[(١)]. وكما أنه كان داعيا لها ومنذرا لها، فإن عليها واجب

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٤٣ .

دعوة العباد إلى الله ونذارتهم من عصيانه كما قال عز وجل ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

وفيها: نهي الله لنبيه عن الاستماع لكلام الكافرين والمنافقين وطاعتهم؛ لأن ما يقولونه باطل من القول وزور. وفيها: أمر الله لنبيه بالتجاوز عن أذى الكافرين والمنافقين؛ لأن رسالته رسالة دعوة وإبلاغ؛ أما الجزاء فمن الله فهو الذي يجازي المطيع والعاصي كلاً حسب حاله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾.

بيان الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ المراد بالنكاح العقد أي: إذا عقدتم على المؤمنات ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ أي: قبل الدخول بهن والخلوة بهن في الفراش ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ أي: ليس عليهن عدة بل يتزوجن

---

(١) سورة آل عمران من الآية ١١٠.

فور طلاقهن؛ لأن المراد من العدة التأكد من خلو الرحم، وهذا منتف أصلا من غير الدخول بها ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ أي: إن سميتم لهن مهرا، فلها نصفه وإن لم يسم لها فلها المتعة حسب قدرة المطلق.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: إباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها، سواء كانت مسلمة أم كتابية. وفيها: الحكم بأنه ليس على المطلقة قبل الدخول بها عدة؛ لأن المراد بالعدة التأكد من خلو الرحم. وفيها: أن المطلقة قبل الدخول إن كان قد سمي لها مهر فلها نصفه، وإن لم يسم فلها المتعة الواجبة حسب يسر المطلق وعسره. وفيها: وجوب سراح المطلقة سراحا جميلا، وتحريم إيذائها بأي صورة. وفيها: أن متعة المطلقة مشروعة، سواء كان طلاقها قبل الدخول أو بعده.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ

لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ وهو المراد بما في الآية من الأحكام والمعنى إنا أحللنا لك من أعطيتهن مهورهن من الزوجات ومثله في هذا مثل المؤمنين الذين يعطون زوجاتهم مهورهن ﴿ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ﴾ أي: وأحللنا لك أيضا ما ملكت يمينك بالتسري؛ بسبب الغنائم، وقد ملك ﷺ صفية بنت حيي وجويرية بنت الحارث فأعتقهما وتزوجهما. كما ملك ريحانة النضرية ومارية القبطية ﴿ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ ﴾ والمراد بهذا بيان ما أحل له ولأمته من الأقارب وحصرهن فيما ذكر، فلا يحل ما عداهن من الأقارب من الأصول والفروع.

وقد أشار الإمام ابن كثير إلى أن في هذا مخالفة للنصارى واليهود، فالنصارى لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان بينه وبينها سبعة أجداد فما فوق. واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه، وبنت أخته، فجاءت هذه الشريعة بهدم إفراط النصارى وتحريم ما فرطت فيه اليهود[1].

﴿ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ فيه قولان: الأول: أنه لا يحل لك إلا من أسلم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٧٩ .

والقول الثاني: أنه لا يحل لك إلا من هاجر إلى المدينة ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ أي: وأحللنا لك من تهب نفسها لك للزواج منها ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ أي: إذا أراد نكاحها بعد أن وهبت نفسها ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: هذه الهبة خاصة بك، أما المؤمنون فلا يحل لهم أن يتزوجوا من يهبن أنفسهن لهم إذ إن نكاحهم فيه شروط منها المهر والولاية والعقد.

﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ أي: قد بينا ما على المؤمنين من الأحكام كوجوب الولي والمهر والشهود وما لهم من الحلال كالنكاح من أربع من النساء وما يشاؤون من الإماء.

﴿لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞ﴾ أي: رخصنا لك فيما ذكر حتى لا يكون عليك حرج في النكاح، وهذا من عناية الله به ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ أي: يغفر لعباده ويتجاوز عن سيئاتهم ويرحمهم برحمته الواسعة.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير عناية الله بنبيه ورسوله محمد ﷺ، حيث أباح له التزوج بأكثر من أربع، خلافا للمؤمنين الذين قصر الحل لهم على

أربع. وفيها: أن الله أباح له المرأة إذا وهبت نفسها له فيتزوجها بغير ولي ولا مهر، وهذا خاص به عليه الصلاة والسلام دون المؤمنين؛ إذ لا يحل لأحد أن يتزوج امرأة بمجرد هبتها نفسها له، بل يجب أن يكون هناك عقد للزواج ومهر وولي وشهود. وفيها: أن الله قرر أحكام نكاح المؤمنين ولم يتغير من هذه الأحكام شيء.

﴿۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾.

بيان الآية:

﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ هذا من عناية الله برسوله وما أعطاه من الخصوصية ومن ذلك أنه يجوز له أن يؤخر من أراد من زوجاته في المبيت ويؤوي إليه من أراد منهن فيه ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ أي: من أخرتها لك الخيار فيها بعد ذلك إن شئت آويتها فلا إثم عليك في ذلك كله. وقيل: إن المراد بالآية أن لك الحق أن ترجئ من تشاء من اللاتي وهبن أنفسهن لك وتؤوي إليك من تشاء منهن، ولك الخيار ومن رددتها

منهن لك الخيار إن شئت عدت إليها فآويتها إليك. ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ المراد إذا علمت أزواجك أن الله قد أزال عنك الحرج في القسم في المبيت، وأن الأمر عائد لك في هذا القسم بالاختيار، وليس بالوجوب فإن ذلك يقر أعينهن، بل يرضين ولا يحزن؛ لأنهن يعرفن أنك عادل في قسمتك رحيم بزوجاتك ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: إن الله يعلم ما في قلوب عباده من الميل لبعض أزواجهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ أي: بما في صدور عباده من الخفايا ﴿حَلِيمًا﴾ أي: عليهم فيما يفعلونه.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير تخيير رسول الله ﷺ في إرجاء من يشاء وإيواء من يشاء من زوجاته في المبيت، ومع هذا كان عليه الصلاة والسلام يقسم لهن، فدل هذا على أن القسم لم يكن واجبا عليه وفي هذا قالت عائشة رضي الله عنها: أنه كان يستأذن في اليوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾. وفيها: أن من الواجب على المؤمن أن يعدل بين نسائه في المبيت، فلا يجوز له أن يعتزل إحداهن إلا بعد أن يستأذنها إذا كانت مسنة أو مريضة والأصل فيه: قول رسول الله ﷺ: (**اللهم هذا قسمي فيما أملك**

فلا تلمني فيما تملك ولا أملك)[١]. ولم يعتزل عليه الصلاة والسلام واحدة من نسائه إلا سودة بنت زمعة، فقد وهبت ليلتها لعائشة طواعية رضي الله عنهما وأرضاهما[٢].

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾.

بيان الآية:

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾ لما اختارت زوجات رسول الله ﷺ البقاء معه كما ورد في الآية السابقة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾[٣] جازاهن بأن منع رسوله من الزواج بغيرهن أو استبدالهن بغيرهن ولو أعجبنه بحسنهن، وهذا في الحرائر، أما في الإماء فله ما شاء منهن ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ أي: مراقبا لكل شيء عالما به لا تخفى عليه منه خافية.

---

(١) سنن أبي داود ج٢ ص٢٠٩، كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء برقم (٢١٣٤)، وسنن الترمذي ج٣ ص٤٤٦، كتاب النكاح، باب ما جاء في التسوية بين الضرائر، برقم (١١٤٠).

(٢) سنن أبي داود ج٢ ص٢١٠، كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء، برقم (٢١٣٨).

(٣) سورة الأحزاب الآية ٢٨ .

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: إكرام الله لزوجات رسوله؛ جزاء اختيارهن البقاء معه، وذلك بعدم حل تطليقهن أو استبدالهن بغيرهن باستثناء السبايا.

وفيها: الحكم بأن الله يراقب جميع أمور خلقه وما يبدونه ويخفونه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ ﴾ في هذه الآية الكريمة -آية الحجاب- بيَّن الله عدة أحكام وآداب شرعية، وقد نزلت في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في الوليمة التي أولمها حين زواجه من زينب بنت جحش، ولم يكن

الحجاب يومئذ قد فرض، وقد انصرف الناس الذين حضروا الوليمة ومكث هؤلاء النفر يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ، وقد مرَّ أمامهم لعلهم يخرجون فما فعلوا ولم يكن من هديه ولا من حيائه عليه الصلاة والسلام أن يأمرهم بالخروج فأنزل الله هذه الآية[1] والمراد من الآية منع دخول بيوت النبي دون إذن وهذا حكم عام كما سنرى ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ أي: وقته والمعنى: لا ترقبوا نضج الطعام بمعنى: أن من دعي إلى وليمة يجب أن يأتي في وقتها وليس قبله لما في ذلك من التطفل الذي لا يحبه الله.

﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾ أي: لا يحل لكم أن تدخلوا البيوت دون دعوة ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ أي: إذا انتهى طعامكم فاذهبوا إلى أماكنكم ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ أي: لا تمكثوا بعد انتهاء الطعام تتحدثون بينكم مستأنسين لحديثكم ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾ أي: إن فعلكم هذا يؤذي النبي كما فعل النفر الثلاثة الذين طعموا فلم ينتشروا ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: لا يستحي مما يأمركم به من الأحكام والآداب.

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أي: وكما نهاكم الله عن الدخول في بيوت رسول الله ﷺ دون إذن كذلك ينهاكم

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٣٨٧ ، كتاب التفسير، باب قوله تعالى (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه.)، برقم (٤٧٩١).

عن النظر إلى أزواجه، وإن عليكم ألا تسألوهن إلا من وراء حجاب ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ لما فيه من البعد عن الشكوك والريبة ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ أي: ليس لكم أيها المؤمنون أن توذوا رسول الله بأي صفة كانت في القول أو الفعل ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ أي: ولا يحل لأحد منكم نكاح زوجاته من بعده؛ لأنهن أمهات المؤمنين وهن زوجاته في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ أي: إن زواجكم من زوجات رسول الله أمر عظيم حرمه الله عليكم ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أي: ما تبدوه ظاهرا أو تخفوه في أنفسكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ أي: يعلمه فلا تخفى عليه منه خافية.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير وجوب الاستئذان في دخول بيوت الأجانب وشاهده أيضا قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1]. ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ﴾الآية[2]. ومن الأحكام: تقرير أن الله

---

(١) سورة النور الآية ٢٧ .

(٢) سورة النور من الآية ٢٨ .

لا يستحي من الحق فيما يأمر به عباده من الأحكام والآداب، وهذا يقتضي أن عليهم ألا يستحوا من الحق. وفيهما: أن من الأفضل للرجل والمرأة الأجنبية عنه أن تكون مخاطبتهما من وراء حجاب؛ لأن ذلك أنفى للريبة وأطهر للقلوب. وفيهما: تحريم إيذاء رسول الله ﷺ بأي صفة من قول أو فعل.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾.

بيان الآية:

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ﴾ الآية. لما أمر الله عز وجل النساء بالحجاب من الأجانب بيَّن في هذه الآية الأقارب الذين لا تحتجب عنهم وهم الآباء وإن علوا، والأبناء وإن نزلوا، والإخوان وأبناء الإخوان وإن نزلوا، وأبناء الأخوات وإن نزلوا. قوله ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ لعل المراد جنس النساء عامة؛ لأن المرأة لا تحتجب عن جنسها ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ المراد به الأرقاء وكما أن المرأة لا تحتجب عن الأقارب المذكورين في الآية لا تحتجب كذلك عن عمها وخالها، وقيل في عدم ذكرهما: إنهما يصفان المرأة لأبنائهم فكره لها أن تضع خمارها عند

عمها وخالها ﴿وَاتَّقِينَ اللَّهَ﴾ أي: اخشينه أيتها المؤمنات ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ أي: رقيباً وشهيداً يعلم السر وأخفى.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير المحارم الذين يحق للمرأة المسلمة كشف وجهها لهم كما هو مبين في الآية. ومن الأحكام: أمر الله للنساء بالتقوى والخشية منه وما يقتضيه ذلك من وجوب احتجابهن من الأجانب.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾.

بيان الآية:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ هذا بيان من الله تبارك وتعالى أنه وملائكته يصلون على رسول الله، وهذا من شرفه وعلو منزلته عند ربه وصلاة ربه عليه ذكره في ملائكته، وأما صلاة الملائكة عليه فهي الدعاء والاستغفار.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ هذا أمر للمسلمين أن يصلوا على نبيهم، اقتداء بربهم وملائكته ومحبة له على تبليغه رسالة ربه إليهم ووفاء لبعض حقوقه عليهم ورحمته بهم ومجاهدته من أجل دينهم وشفاعته لهم وللأمم غيرهم يوم القيامة،

ولما في الصلاة عليه من زيادة الإيمان والحسنات. وفي هذا روى أبو طلحة عن أبيه أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشرى في وجهه فقلنا: إنا لنرى البشرى في وجهك. فقال: (**إنه أتاني الملك فقال: يا محمد إن ربك يقول: أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشرا**)(١).

أحكام ومسائل الآية:

تقرير الفضل الذي أسبغه الله على نبيه ورسوله محمد ﷺ وهو سلامه والملائكة عليه فصلاته عز وجل على نبيه وذكره في ملائكته، وصلاة الملائكة عليه الدعاء والاستغفار له. وفيها: الأمر للمسلم بالصلاة والسلام عليه اقتداء بربه وملائكته.

ويمكن للمسلم أن يصلي عليه بأي صيغة مناسبة كقوله عند ذكره: اللهم صل وسلم عليه أو قوله: اللهم صل وسلم على نبينا محمد ونحو ذلك. أما في حال الصلاة فأفضل صيغ الصلاة الإبراهيمية وهي: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وهذه الصلاة واجبة في التشهد الأخير في صلاة الفرض أو النفل.

---

(١) سنن النسائي ج٣ ص٥١، كتاب السهو، باب فضل التسليم على النبي ﷺ، برقم (١٢٨٢).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ إيذاء الله يكون بالشرك أو الكفر به أو جحود نعمه وفضله على عباده أو مضاهاته في الخلق أو الالحاد في أسمائه وصفاته. وإيذاء رسوله يكون بالتنقص منه أو الطعن في رسالته أو تبليغه لها، أو وصفه بما هو محرم ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ اللعن: الطرد والبعاد من رحمة الله ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ أي: هيأ لهم في الآخرة عذابا يرون فيه الذل والمهانة أمام الخلائق يوم القيامة ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾ أي: يتهمونهم بما هم بريئون منه ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ أي: من تعرض لأحد من المؤمنين أو المؤمنات أو نقل عنهم أو نسب إليهم ما لم يقولوه أو يفعلوه، فقد بهتهم وتحمل بذلك إثما واضحا.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير عقاب من يؤذي الله ورسوله، وذلك بالطرد

من رحمة الله، وتهيئة العذاب له يوم القيامة. وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**يقول الله عز وجل يؤذيني ابن آدم، يسبّ الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**)[1]. وفيهما: تقرير الوعيد لمن يؤذي المؤمنين والمؤمنات وذلك بالتعرض لهم بالسبّ أو البهت كسب الصحابة أو أحدهم أو أمهات المؤمنين أو أحد المؤمنين ونسبة فعل لم يفعله إليه. وشاهده: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**أتدرون ما الغيبة؟**) قالوا الله ورسوله أعلم. قال: (**ذكرك أخاك بما يكره**) قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: (**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته**)[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٤٣٧، كتاب التفسير، سورة الجاثية، برقم (٤٨٢٦).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٦٠٨ ،كتاب البر والصلة، باب تحريم الغيبة، برقم (٢٥٨٩).

بيان الآيات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ هذا بيان من الله وأمر لرسوله محمد ﷺ أن يأمر أزواجه وبناته ونساء المؤمنين من أمته أن يضعن الجلباب على وجوههن ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ أي: إن في الجلباب دفعاً لأذيتهن. ذلك أن عدم وضعه مما يجعل أصحاب السوء يظنون فيهن ظن السوء. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: غفورا لما سبق أيام الجاهلية من عدم إدناء النساء لجلابيبهن رحيماً لعباده.

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ هذا وعيد للمنافقين الذين يظهرون الإيمان وهم يبطنون الكفر ويتربصون بالمؤمنين الدوائر ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: حب الفجور والفواحش وانتهاك المحرمات ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ المراد بهم الذين يتناقلون الأخبار المغرضة؛ لتخويف الناس وإشاعة الخوف فيهم وتهويل شأن الأعداء وإضعاف نفوس المؤمنين ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي: لنسلطنك عليهم فتستأصلهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾ المراد المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: مدة قليلة ثم يخرجون أو تطردهم منها ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟﴾ أي: مبعدين من رحمة الله أينما وجدوا وسواء كانوا أسرى أو مقتولين ﴿أُخِذُوا۟﴾ أي: بالتقتيل أو الأسر ﴿وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ أي: لم يبق منهم أحد في المدينة.

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ﴾ أي: أن سنة الله التي جرت في خلقه أن المنافقين إذا ظلوا على نفاقهم فلم يتوبوا منه وجب طردهم؛ بسبب نفاقهم وفسادهم عن جماعة المسلمين ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ أي: أن سنة الله لا تتبدل ولا تتحول.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بوجوب وضع الخمار على الجيب والوجه، وفي هذا إبطال للطريقة التي كانت النساء يتبعنها في الجاهلية في تغطية رؤوسهن بالأغطية ثم يسدلنها وراء ظهورهن فتبقى وجوههن وصدورهن وأعناقهن وأذانهن دون ستر، وهذا الحكم يقتضي أن تستر المرأة وجهها وصدرها. ومن الأحكام: ذم سلوك المنافقين ومن على شاكلتهم من أهل الفساد ووجوب معاقبتهم بالطرد من بلاد الأمة إذا لم يتوبوا؛ وذلك لما في سلوكهم من الفساد والإفساد. ومنها: الحكم بأن سنن الله في خلقه لا تتبدل ولا تتحول ولا تتغير كما قال عز وجل ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[1].

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ

(١) سورة الفتح الآية ٢٣ .

فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ
إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ
مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ أي: يسألك المشركون والمنكرون بالبعث عن قيام الساعة ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ أي: قل لهم لا علم لي بوقت قيامها فلا يعلمه إلا الله ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ أي: ما يدريك لعلها تكون قريبة كقوله ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾[1]. قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا﴾ أي: قضى بطرد المكذبين بالساعة من رحمته وقد أعد لهم نارا مستعرة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ أي: ماكثين فيها أبد الآبدين ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ أي: لن يجدوا عند قيام الساعة وليا يواليهم أو ناصرا ينصرهم من عذاب الله.

﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ أي: تحول وجوههم ذات اليمين وذات الشمال في النار ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ أي: يتمنّون لو أنهم أطاعوا الله وأطاعوا رسوله في الدنيا ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ أي: يقولون معتذرين:

---

(١) سورة القمر الآية ١ .

إنا أطعنا أشرافنا وعلماءنا، وإنهم هم الذين أضلونا عن الطريق السوي ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ أي: ضاعف لهم العذاب جزاء لهم على إغوائنا واتباعنا لهم ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ أي: اطردهم من رحمتك وابسط غضبك وخزيك عليهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن أحدا لا يعلم وقت الساعة، وإنما يعلمه الله وحده. ومن الأحكام: أن الساعة قد تكون قريبة لقوله عز وجل ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾[١]. ومنها: أن الله يطرد الكافرين المنكرين للبعث من رحمته ويعد لهم عذابا مهينا فلا يجدون حينئذ من يواليهم أو ينصرهم. ومنها: تقرير أن الكافرين يتمنون يوم القيامة أنهم أطاعوا رسلهم وآمنوا بما جاؤوهم به من عند الله. وشاهده أيضا قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾[٢]. ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾[٣]. ﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[٤]. ومن الأحكام: وجوب عدم طاعة دعاة

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٢٧ .

(٣) سورة الفرقان الآية ٢٨ .

(٤) سورة الفرقان الآية ٢٩ .

الضلال والغواية. وشاهده قول الله تبارك وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾(١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ ﴾ في هذا تحذير من الله للمؤمنين من أمة محمد ﷺ أن لا يؤذوا نبيهم كما فعل بنو إسرائيل بنبيهم موسى فقد كان عليه السلام حييا لا يحب أن يرى أحد من جلده شيء فقال بنو إسرائيل: إنه ما فعل ذلك إلا لأن فيه علة كالبرص أو الأُدْرة وهي انتفاخ إحدى خصيتيه ﴿ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ﴾ أي: أطلعهم منه على ما أثبت أنّه سليم الجسم ولم يكن به ما قاله بنو إسرائيل ﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ أي: إن له مكانة عند الله وجاهاً.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بتحريم إيذاء النبي بأي صفة من قول أو فعل، وفي حديث عبد الله بن مسعود: أن رسول الله ﷺ قسم ذات يوم قسما فقال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله. قال

---

(١) سورة النساء الآية ١٤٤ .

عبد الله: فقلت: يا عدو الله لأخبرن رسول الله ﷺ فأتيته فأخبرته فقال: (**فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**)(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ هذا أمر من الله للمؤمنين أن يتقوه ويعبدوه وحده لا شريك له وأن تكون أقوالهم مستقيمة، فلا يقولوا إلا الحق ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ هذا وعد من الله تبارك وتعالى أنهم إذا اتقوه وفقهم للأعمال الصالحة وغفر لهم ذنوبهم وتجاوز عن سيئاتهم كما قال ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ﴾. ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ هذا بيان وإيضاح أن من استجاب لله ورسوله واتقاه، فإن له الفوز العظيم في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب تقوى الله بطاعته وتوحيده، ومن لوازم تقواه: اتباع ما

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٢٨٩، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، برقم (٣١٥٠).

أمر به هو ورسوله، واجتناب ما نهى عنه هو ورسوله. ومن الأحكام: وجوب سلامة القول، وهذا يقتضي البعد عن الفحش فيه والقول والقيل وكل ما يتعارض مع آداب الإسلام وأحكامه. ومنها: أن التقوى سبب في الإرشاد إلى الأعمال الصالحة وغفران الذنوب. ومنها: أن في طاعة الله وطاعة رسوله الفوز العظيم في الدارين.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ الأمانة كل عمل كلف به الإنسان من الفرائض والطاعات والعهود والأمانة على الأموال ونحو ذلك، وهذا بيان من الله أنه عرضها على السموات والأرض والجبال ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ أي: خفن من تضييعها؛ بسبب وطأتها وعظم أمرها ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ أي: حملها آدم وتبعته ذريته ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ أي: إن الإنسان كان ظالما لنفسه جاهلا بعواقب حمله لها ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ

وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ لما حمل الناس الأمانة انقسموا إلى ثلاث فرق: فرقة المنافقين، وفرقة المشركين، وفرقة المؤمنين الصالحين، وقد توعد الله أن يعذب المنافقين والمشركين، ووعد المؤمنين بالتوبة عليهم والتجاوز عن خطيئاتهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: يغفر ذنوب من تاب إليه ويرحمه وينجيه من العذاب.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بوجوب حفظ الأمانة وفي هذا قال تبارك وتعالى في صفات المؤمنين ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[١] إلى قوله ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾[٢]. وفيه قول رسول الله ﷺ: (**آية المنافق ثلاث.. وإذا ائتمن خان**)[٣]. وفي الآية الأولى: تقرير جهل الإنسان في حمله للأمانة وعدم إدراكه لعظمها ووطأة حملها وذلك خلافا للسموات والأرض والجبال التي خيرت في حملها، فأشفقن منها. وفيهما أن الإنسان حين حمل الأمانة افترق إلى منافق ومشرك ومؤمن ولكل منهم جزاؤه حسب عمله.

---

(١) سورة المؤمنون الآية ١ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ٨ .

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص١١١، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم (٣٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة سبأ

مكية وآياتها أربع وخمسون آية

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أي له الثناء المطلق في الدنيا والآخرة لأنه المتصف بالكمال وجميع الصفات الحميدة التي لا ينازعه ولا يماثله فيها أحد ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: هو الله الذي له ملك السموات والأرض مُلكاً أبديا، لا يتبدل ولا يتغير وما فيهما كله عبيد ومملوكون له وتحت مشيئته وتصرفه ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي: كما هو المحمود في الأولى على نعمه، فهو المعبود المحمود في الآخرة من المؤمنين ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في تصرفه ﴿ ٱلْخَبِيرُ ﴾ بجميع أمور خلقه وشؤونهم ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: يعلم ما يدخل فيها من المطر والأسرار ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ أي: يعلم ما تنبته من النبات ويعلم ما فيها من الكنوز ﴿ وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: من الملائكة

والأقدار ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: ما يعرج إلى السماء من أفعال العباد ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ أي: الرحيم بعباده المؤمنين الذي يغفر لهم ذنوبهم ويتجاوز عن سيئاتهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بوجوب صرف الشكر والثناء لله عز وجل والإقرار بأنه المحمود الذي لا يحمد أحد سواه، ومن لوازم شكره: تقواه وخشيته وذكره والتسبيح بحمده. والحكم: أن الله هو العالم وحده بالأرض والسماء وما فيهما من الأسرار.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ
عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ
أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ
﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ
أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ
ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ﴾ هذا بيان من الله بأن

منكري البعث يقولون إن الساعة لن تأتيهم فأمر الله رسوله أن يقول لهم ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ أي: أقسم لهم بالله تعالى بأن الساعة آتية لهم في أجلها المسمى، وحينئذ لا ينفعهم كفرهم ولا تكذيبهم ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أن الذي يعلم علم الساعة هو الذي يعلم كل المغيبات فلا يغيب عن إحاطته وعلمه وزن ذرة ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ أي: لا أصغر من الذرة ولا أكبر منها ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ أي: مقدر ومكتوب في اللوح المحفوظ.

﴿لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ المراد أنه حينما قدر البعث وأحاط بكل شيء وسطره في اللوح المحفوظ فلكي يجزي الذين آمنوا به وصدقوا رسوله، وعملوا الأعمال الصالحة ﴿أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي: لهم مغفرة لذنوبهم ولهم كامل الرزق في جنات النعيم ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ أما الذين كذبوا بآيات الله وصدوا عنها، ظانين أنهم سيفلتون من العذاب ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ أي: لهم عذاب من أشد العذاب وأكثره ألماً.

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾ لما ذكر جل وعلا حال المنكرين للبعث ذكر خلافهم وهم الذين أوتوا

العلم والهداية والبصيرة يؤمنون أن الكتاب الذي أنزل إليك من ربك (وهو القرآن) هو الحق الذي لا مراء فيه ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ أي: ويرون أن هذا الكتاب يرشد من اتبعه إلى اتباع صراط الله الذي له العزة وله الحمد في السموات وفي الأرض.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير حقيقة البعث والجزاء وتقرير كتابة قضاء الله وأقداره في اللوح المحفوظ كما قال عز وجل ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[1]. وفيها: أن الله حكم بالبعث وقدره ليجزي بالجنة عباده الذين آمنوا به وصدقوا رسوله وعملوا الأعمال الصالحة. أما الذين كذبوا بآياته وظنوا أنهم لن يعذبوا فإنه مدخر لهم العذاب الشديد. وفيها: أن الذين أوتوا الكتاب والهداية يرون أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه ورسوله محمد ﷺ هو الحق الذي يهدي إلى صراط الله المستقيم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ
مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ
بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟

(١) سورة الأنعام من الآية ٣٨.

إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ﴾ هذا بيان من الله تعالى يخبر فيه عن مقولة المشركين في مكة بعضهم لبعض ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: متم وتحولتم إلى أشلاء ممزقة كل التمزيق لا يجمع بينها جامع ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: سوف تبعثون وتحيون بعد هذا التمزيق ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ أي: أنه بهذا القول، إما مفتر على الله الكذب، أو إن به مساً من الجنون، يخيل إليه أن هذا سيحدث فيحيا الناس بعد موتهم.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ وقد رد الله على المشركين كذبهم وبيَّن جهلهم وسفاهتهم فقال: إن ما قاله محمد هو الحق الذي لا ريب فيه وإنهم بإنكارهم البعث ضالون، وسوف يعذبون على ضلالهم وإنكارهم البعث.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ لما كذب الله المنكرين للبعث بيَّن عظيم قدرته فقال عز ذكره: أفلم ينظروا ما يحيط بهم من الملكوت الأعلى، وأنهم أينما كانوا يرون أن

السماء فوقهم من كل جانب ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ أي: نجعلهم يغوصون في الأرض ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: قطعا فتهلكهم ولكن أخرنا هذا عنهم لعلهم يتوبون من ضلالهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أي: أن في النظر والتفكر في السموات والأرض وفي قدرة الله دليلاً لكل عبد منيب إلى ربه تائب إليه من ذنوبه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان سلوك المشركين المنكرين للبعث واتهامهم لرسول الله ﷺ بالكذب أو بالجنون والحكم بأن رسول الله صادق فيما قاله، وأن المنكرين للبعث هم الضالون في الدنيا وسيحيق بهم العذاب في الآخرة. وفيها: حلم الله على المشركين والكفرة وذلك بإمهالهم ليتفكروا في قدرة الله على عذابهم، إما بخسف الأرض بهم كما فعل بقارون، أو بإسقاط قطع من السماء عليهم كما فعل بالأمم البائدة قبلهم أو بغير ذلك. وفيها: فضل الرجوع عن المعصية والتوبة إلى الله.

﴿ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ إن من جهل المشركين وسفاهتهم وضلالهم تكذيب رسول الله وإنكارهم لما أنعم الله به عليه من النبوة والرسالة، وقد رد الله عليهم بأنه كما أنعم على محمد فقد أنعم من قبل على داود، فأعطاه النبوة وجعل الجبال والطير تردد معه التسبيح وألان له الحديد كما قال عز وجل ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ وهذا من كمال قدرة الله، وأنه لا يقدر أحد على ما يقدر عليه ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ﴾ أي: ألان الله له الحديد؛ لكي يصنع الدروع ويتقن صنعها بوضع كل شيء من الصناعة في مكانه ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ﴾ أي: اعملوا يا آل داود في طاعة الله وشكره على نعمه ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: خبير به.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين تقرير قدرة الله تعالى في جعل الجبال والطير تردد تسبيح داود كما قال تعالى ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾(١). ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾(٢). وفيهما: وجوب تعلم الصناعة وآلات الحرب لإرهاب الأعداء وحماية العقيدة ومكتسبات الأمة.

---

(١) سورة ص الآية ١٨ .

(٢) سورة ص الآية ١٩ .

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٞ وَرَوَاحُهَا شَهْرٞۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٞ وَرَوَاحُهَا شَهْرٞ﴾ لما ذكر الله عزوجل ما سخره لداود ذكر ما سخره لابنه سليمان، ومن ذلك: تسخير الرياح له بحيث تقرب له المسافة البعيدة في مدة قصيرة فتقطع مسيرة شهر في أول النهار ومسيرة شهر في آخره ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أي: سخرنا له عين النحاس ليصنع منه ما يشاء ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ أي: سخرنا له شياطين الجن ليعمل تحت إمرته ما يريده من الأعمال، وهذا بقدرة الله ومشيئته ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ أي: من يميل من الحق عما أمر به ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: يصيبه العذاب الشديد يوم القيامة ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ أي: يعمل له الشياطين ما يرغب فيه من المساكن الفخمة والصور؛ لأنها لم تكن محرمة في شريعتهم ﴿وَجِفَانٖ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍ﴾

الجفان القصع الكبيرة والجوابي هي الأحواض أي: يصنعون له قِصَعا كبيرة كأحواض المياه، كما يصنعون له قدورا كبيرة راسيات ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ أي: اشكروا لله يا آل داود على ما أنعم الله به عليكم وأمدكم به ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ أي: إن الذين يشكرون الله على نعمه قليل من الناس، وذلك لجهلهم وعدم تفكرهم في إفضال الله ونعمه عليهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين توكيد قدرة الله عز وجل، فقد سخر لداود وسليمان ما يعجز عنه البشر ولا يقدر عليه إلا هو. وفيهما: دليل على إباحة التماثيل والصور في الشريعة اليهودية، وهذا محرم في دين الإسلام كما قال رسول الله ﷺ: **(من صور صورة كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ)**[١]. وفيهما: وجوب شكر الله على نعمه وفضله؛ وذلك بذكره وأداء ما فرضه من طاعته وتوحيده.

﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ١٤﴾.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج٩ ص٥٧٣٨ كتاب اللبس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان . برقم (٢١١٠).

بيان الآية:

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية. كان الجن يدعون أنهم يعلمون الغيب، وقد سأل سليمان ربه أن يخفي موته على الجن، وقد توفاه الله وهو يصلي في محرابه متوكئاً على منسأته، أي: عصاه فلم يعلم به الجن، بل كانوا يعملون كما لو كان حيا ولم يعلموا بموته إلا بعد أن أكلت دابة الأرض أي: الأرضة عصاه فضعفت فسقط على الأرض وتبين أنه قد مات منذ مدة طويلة والجن لا يعلمون عنه فأخبر الله عز وجل أنهم ما كانوا يعلمون الغيب، ولو كانوا يعلمونه ما لبثوا في العذاب الذي كان يفعله بهم سليمان لعصيانهم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بأن الله وحده يعلم الغيب ولا يعلمه أحد غيره كما قال عز وجل ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾(١). وقوله عز ذكره ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾(٢).

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ

(١) سورة الأنعام من الآية ٥٩ .
(٢) سورة الجن الآية ٢٦ .

وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ
نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا
قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾
فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ
وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ﴾ سبأ: قبيلة يمنية تنسب إلى أبيها سبأ بن يشجب بن قحطان، كانت تسكن مأرباً، ولا تزال المدينة قائمة باسمها في اليمن وسدها معروف باسمه، وقد جرى حديثا إعادة بنائه من بعد الخراب الذي حدث له مما قصه الله في هذه الآية قوله ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ﴾ لما ذكر الله في الآية السابقة أن الذين يشكرون نعم الله قلة من الناس ذكر منهم قبيلة سبأ، وقد تفرع من هذه القبيلة فروع منها: كندة، ومذحج، والأزد، وكان من فضل الله عليهم أن جعل لهم جنتين على جانبي الوادي تنبت الزورع والفواكه وغيرها من النباتات التي تسقى من ماء السد ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ أي: قيل لهم: كلوا مما أنعم الله به عليكم ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ أي: اشكروا الله على ما أنعم به عليكم بأن جعل بلدكم بلدة طيبة المناخ، وإنه في حالة شكركم سوف يغفر لكم سيئاتكم.

﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ ﴾ ومع ما كانوا فيه من النعيم تولوا عن طاعة الله وأعرضوا عن شكره، فأرسل الله على السد دابة هي الجرذ فنقبته فانهار، وانساب الماء في البراري فهلك النبات وهلكت الأشجار ثم قال تعالى ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ ﴾ أي: شجر مر قيل: هو الأراك ﴿وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ أي: وقليل من شجر السدر وهو أحسن من الخمط والأثل ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ﴾ أي: بسبب كفرهم وعدم شكرهم جازيناهم بخراب السد وضياع مياهه وموت نباتهم وأشجارهم وتبديلها بما هو أسوأ منها ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ أي: لا نبدل النعمة إلا بسبب عدم شكرها.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً ﴾ قيل: هي مدن الشام[1] وقيل: صنعاء[2] والمراد جعلنا بين مكان بلدهم وبين القرى المباركة قرى كثيرة ظاهرة للعيان ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ﴾ أي: جعلنا المسافة متقاربة بين قرية وأخرى بحيث لا يحتاج المسافر من أي قرية منها إلى مؤنة أو مشقة السفر ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ أي قيل لهم: سيروا بين هذه القرى وأنتم آمنون مطمئنون.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ج٣ ص٦٣، وتفسير ابن وهب ج٢ ص١٨٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٥١٢ .

﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ ورغم ما أنعم الله به عليهم من العمران بين بلدهم والبلاد الأخرى وفقدان المشقة من السفر بطروا بهذه النعمة وتمنوا أن يباعد الله بين أسفارهم رغبة منهم في طول السفر مللا من الراحة ﴿وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: بكفرهم وعدم شكرهم لنعمة الله ﴿فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي: حديثاً للناس يتحدثون بما نزل بهم من بأس الله ﴿وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: تفرقوا في البلدان بعد أن كانوا مجتمعين في بلادهم، فذهبت غسان إلى الشام، وذهبت خزاعة إلى تهامة، وذهبت الأزد إلى عمان والأوس والخزرج إلى المدينة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: أن فيما حصل لسبأ من النعم، ثم من النقم بسبب كفرهم وعدم شكرهم لعبراً لكل امرئ صابر على طاعة الله وشاكر لنعمه.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب شكر الله على نعمه، والتحذير من الكفر بها، وقد بيَّن الله ذلك في قوله عز ذكره ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾[1]. ومن الكفر بها: صرفها في الملذات والشهوات وعدم صرفها في طاعة الله. ومن الكفر بها: الاستهانة بها والإسراف فيها وما يؤدي إليه ذلك من رميها في الزبل.

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٧.

وقد دلت الوقائع والمحسوسات أنه ما من قوم أو أفراد بطروا بنعمة الله إلا عاقبهم الله، وقد يكون هذا العقاب بسلبها منهم وتحولهم من الغنى إلى الفقر، ومن الشبع إلى الجوع، أو يكون بعذاب يصيبهم الله به كالأمراض وخراب الديار والتشتت في الآفاق، كما حدث لقوم سبأ من التمزق وخراب العمران.

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْأَخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ ﴾ لما كان قوم سبأ ممن أنعم الله عليهم فلم يشكروا ذَكَرَ الله عز وجل حالهم كحال الناس الذين صدق إبليس ظنه في إغوائهم كقوله لربه ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[1]. ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[2]. قوله ﴿فَٱتَّبَعُوهُ ﴾ أي: اتبعوا ما زين لهم إبليس من الكفر بالنعم ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هذا استثناء من الذين صدق فيهم إبليس ظنه وهم المؤمنون الذين أخلصوا العبادة لله، وعرفوا نعمه

---

(١) سورة ص الآية ٨٢ .

(٢) سورة ص الآية ٨٣ .

فشكروه عليها، فلم يقدر إبليس عليهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ﴾ أي: ما سلّطناه عليهم إلا لمعرفة من هو الذي يؤمن منهم بقيام الساعة والحساب والجزاء ومن هو الذي منهم في شك من ذلك ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾ أي: ربك يا محمد يحفظ أعمال العباد فيحاسبهم ويجازيهم عليها.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين تقرير أن إبليس قد صدق ظنه في إغواء الناس وأنهم اتبعوه كما قال عز وجل عنه ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾[1]. وفيهما: أن الفريق الذي آمن بالله حق الإيمان لم يصدق إبليس في ظنه فيه. وفيهما: أن إبليس لم يكن له على الناس من حجة أو برهان، ولكن جرت الحكمة الإلَهية لاختبارهم؛ لمعرفة من هو المؤمن بقيام الساعة ومن هو منها في ريب وشك.

﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن

(١) سورة الأعراف الآية ١٧ .

ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: قل يا محمد للذين يعبدون الأصنام والأوثان من دون الله ويلجؤون إليها عند الشدائد: إنما تعبدون الباطل فهذه الأصنام ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا ملك لهم بوزن ذرة لا في السموات ولا في الأرض، بل هم مخلوقون مملوكون لله لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضرا ولا نفعا ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ أي: وليس لهم شركة بأي صفة أو نسبة في السموات والأرض ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ أي: ليس لله من أصنامهم وأوثانهم معين له يستعين به بل هم مخلوقون وكل الخلق عبيد لله وتحت مشيئته وتصرفه.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ أي: لا يستطيع أحد، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل أن يشفع عند الله إلا بعد أن يأذن له في هذه الشفاعة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ﴾ المراد أن الله عز وجل إذا أذن بالشفاعة، فسمعه أهل السموات ارتجفوا وفزعوا؛ إجلالا لعظمته وقدرته وكبريائه، فإذا زال الخوف والفزع

عنهم سأل الذين أذن لهم بالشفاعة الملائكة عما أوحى به عز وجل فيقولون ﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾ وأفادوهم بما قال عز وجل ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ العلي في ملكوته، الكبير على مخلوقاته. وقد يكون المقصود في الآية المشركين لذكرهم فيها، وهم أنهم يوم القيامة يسألون عن عبادتهم لغير الله فيغشاهم الفزع والخوف من مآلهم فإذا زال هذا عنهم أقرّوا بأن عبادتهم للأوثان كانت باطلة وأن ما جاءتهم به الرسل من عبادة الله وحده هو الحق وأن الله هو العلي الذي لا يعلو عليه أحد ولعل التفسير الأول هو الأصح.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله هو المعبود وحده وأن عبادة غيره باطلة، وأن من يعبد من دونه لا يملك وزن ذرة في السموات ولا في الأرض. ومن الأحكام: أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن أذن له ولا يشفع إلا من أذن له كما قال عز وجل ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[1]، وقوله عز ذكره ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[2]. ومنها: تقرير أن الله إذا تكلم بالوحي فزع أهل السموات إجلالا لعظمته فيتساءلون بينهم ماذا قال ربنا ؟ فيقول الذين سمعوا الوحي لمن بعدهم: قال الحق، فيخبر كل منهم من يليه بما أوحى الله به. وفي هذا: روى أبو

(١) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ .
(٢) سورة الأنبياء من الآية ٢٨ .

هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير**) الحديث[1].

﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: قل لهم يارسولنا محمداً من الذي ينزل عليكم المطر من السماء فتنبت به الأرض فتأخذون رزقكم منها ؟ فإن أقروا بأن الرازق هو الله وإلا ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: قل لهم نحن المؤمنين وأنتم المشركين على نقيضين هما: الهدى والضلال المراد من هذا محاولة إقناعهم حسب تفكيرهم، أما الرسول والمؤمنون فهم

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٣٩٨، كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ برقم (٤٨٠٠).

قطعا على هدى، والمشركون على ضلال مبين ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ أي: لن تسألوا عن أخطاءنا ونحن لن نسأل عن أعمالكم، ولكنا نتبرأ منها وننكرها وندعوكم إلى نبذها فإن فعلتم وآمنتم فنحن منكم وأنتم منا.

﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ أي: قل لهم يا رسولنا محمداً: سوف نجتمع نحن وأنتم يوم القيامة ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: يحكم بيننا بالعدل فيجزي كل عامل منا بعمله وستدركون يومئذ أنكم الخاسرون ﴿ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ أي: الحكم العادل الذي يعلم أعمال خلقه فيحكم فيها بالعدل.

﴿ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه أن يتحداهم ويعجزهم بقوله: أروني آلهتكم التي جعلتموهم شركاء لله وألحقتوهم به لأعرف ما إذا كانت تسمع آلهتكم أو تبصر أو تنفع أو تضرّ. وهم بلا شك لن يفعلوا؛ لأن آلهتهم مجرد أخشاب وتماثيل مجردة من كل شيء ﴿كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ أي: إن أصنامكم باطلة وأنتم خاسرون، فلا معبود إلا الله العزيز بقدرته وعظمته، الحكيم في تدبيره لخلقه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: مشروعية إقناع المدعو بالأمثلة التي تجعله يفكر

بعقله فيستجيب لما يدعى إليه. وفيها: الحكم بأن الله سوف يحكم بين خلقه فيما اختلفوا فيه. وفيها: تحدي المشركين بأن عبادتهم للأصنام لا تتفق مع النقل أو العقل.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ أي: ما أرسلناك إلا إلى الناس عامة، عربهم، وعجمهم، وذكرانهم، وإناثهم ﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ أي: تبشر من أطاع الله وأطاع رسوله بأن له الجنة وتنذر من عصاه بأن له العذاب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ أي: لا يعلمون ما يجب عليهم أن يعلموه لأنهم لو علموا لما تركوا طاعة الله واتبعوا أهواءهم ولكن الجهل وعدم العلم يوقعهم في معصية الله. ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ أي: يقول المشركون المنكرون للبعث على سبيل الاستهزاء: متى هذا العذاب الذي تنذروننا وتخوفوننا به؟ ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ أي: إن كنتم يا اتباع محمد صادقين فيما تقولون عن هذا العذاب.

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٍ﴾ هذا أمر من الله لرسوله أن يقول لهم إن لكم يوماً محدّداً ﴿لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةً وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ المراد به يوم القيامة، أو انتهاء الأجل، وإذا حل هذا لم يستطع أحد تأخيره أو تقديمه؛ لأن الله قضى وحكم بتحديده ولا معقب لحكمه.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بعمومية رسالة رسول الله محمد ﷺ حيث أرسله الله إلى الخلق كافة كما قال عزوجل ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾[1]. ومن الأحكام: تقرير جهل أكثر الناس؛ وذلك يؤدي إلى كفرهم بالله مما يقتضي وجوب علمهم بما أوجب الله وفرضه عليهم. ومنها: أن يوم القيامة ويوم انتهاء أجل الإنسان يوم حدده الله، فلا يقدر أحد على تجاوزه بالزيادة أو النقص.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَـٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٨ .

ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ المراد به المشركون في مكة، فقد قالوا مكابرة وعنادا: إنهم لن يؤمنوا بالقرآن الذي نزل على رسول الله محمد ﷺ ﴿وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ أي: ولا يؤمنون بما سبقه من الكتب كالتوراة والإنجيل ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ﴾ أي: سوف ترى يا محمد أن الظالمين وهم في موقف الذل والمهانة يوم القيامة يرد بعضهم القول على بعض ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ أي: يقول الأتباع الضعفاء للمتبوعين الأقوياء ﴿لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ﴾ أي: لولا أنكم تصدوننا عن سبيل الله لكنا مؤمنين، ولما كنا في الموقف الذي نحن فيه من الذل وانتظار العذاب المهين ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ﴾ أي: قال المتبوعون لأتباعهم ﴿أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُم﴾ أي: لم نصدكم أو نصرفكم عن الهدى، بل أنتم اتبعتمونا

بإرادتكم ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ أي: متبعين لأهوائكم وشهواتكم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ أي: يرد التابعون على المتبوعين ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بل مكرتم بنا في الليل والنهار ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ أي: تأمروننا أن نشرك بالله ونجعل معه آلهة تعبد ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ أي: أسر المستضعفون والكبراء الندامة لما شاهدوا العذاب يحيق بهم ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: جمعت أيديهم مع أعناقهم بالأغلال ثم ألقوا في جهنم ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: إنما يحاسبون على أعمالهم ويجزون عليها حسب طبيعتها إن كانت خيرا فخير وإن كانت شرا فشر.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سلوك الكفار وهو أنهم لا يؤمنون بالحق أنى كان مصدره، فالمشركون المنكرون للبعث لما عرفوا أن التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب السماوية المنزلة تؤكد حقيقة البعث، مثلها في ذلك مثل القرآن، أنكروها وأنكروا القرآن. وفيها: أن أتباع الضالين والمجرمين يلومونهم على إفسادهم وصدهم عن سبيل الله كما أن المتبوعين يضعون المسؤولية عليهم لتبعيتهم إياهم ويصفونهم بالإجرام، فكل منهم يلوم الآخر ويسر الندامة لما شاهدوا العذاب يحيط بهم، فكان جزاؤهم شد الأغلال في أعناقهم؛ جزاء عملهم.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ
كَٰفِرُونَ ٣٤ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥ قُلۡ
إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦
وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧
وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ
٣٨ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ
أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩ ﴾

بيان الآيات:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ ﴾ لما لاقى رسول الله ﷺ العنت من قومه وتكذيبهم له أراد الله تسليته؛ ليعلم أن من سبقه من المرسلين قد عانى من قومه، فما من قرية أرسل إليها رسول ﴿إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ ﴾ أي: أغنياؤها وكبراؤها وأصحاب النعمة فيها ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ أي: مكذبون بالذي تقولون إنكم مرسلون به ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ أي: تباهوا بكثرة أموالهم وأولادهم ظنا منهم أن ذلك ما كان ليكون لهم إلا بسبب رضى الله عنهم، فكما أعطاهم المال والولد في الدنيا فلن يعذبهم في

الآخرة ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المتباهين بأموالهم وأولادهم: إن ربي يعطي المال والولد من يحب ومن لا يحب فيبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لمن يشاء، وليس هذا دليلا على محبة هذا وبغض ذاك، ولكن حكمة الله اقتضت ذلك لعلم علمه وقدر قدره ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون أن بسط أرزاقهم أو تضييقها عليهم إنما هو بحكمة الله امتحانا لهم هل يشكرون أو يكفرون.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ﴾ أي: ليست أموالكم ولا أولادكم هي التي تقربكم إلينا وتحببكم إلينا، إنما يقربكم إلينا أعمالكم الصالحة وهو معنى قوله ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي: فمن كان هذا عمله ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: تضاعف أعمالهم الحسنة بعشر أمثالها ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ أي: في غرفات الجنة آمنون من كل آفة.

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ أي: يسعون؛ لكي يصدوا غيرهم عن سبيل الله كما صدوا هم أنفسهم ظنا منهم أننا عاجزون عن عقابهم ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ أي: يحضرون إلى جهنم للعذاب ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ

﴿مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾ هذا توكيد لما سبق أي: قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من قومك الذين اغتروا بكثرة أموالهم وأولادهم: إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له، لا محبة لمن بسط له الرزق ولا كرها لمن ضيق عليه، وإنما هو امتحان لهذا وذاك ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ أي: إن ما تنفقونه فيما أباحه الله لكم كالنفقة على أولادكم وأقاربكم وعلى المحاويج من المسلمين، فإن الله يخلفه بما هو أكثر منه في الدنيا وما هو أعظم منه في الآخرة ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أي: هو بفضله وإنعامه أعظم وأجل من الرازقين في الدنيا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن المترفين في الأمم السابقة قد كذبوا رسلهم وما جاؤوهم به من البينات وأن أتباعهم هم الضعفاء كقول قوم نوح له ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾(١). ومن المشاهد والمحسوس في أي زمان ومكان أن المترفين أكثر ما يكونون غرورا وتهاونا في حقوق الله وينسون أن أموالهم امتحان لهم ليكفروا بها أو يشكروا. وكما ينطبق على الأفراد من الأمم ينطبق على الأمم نفسها، فالأمم القوية في مادتها وسلطانها غالبا ما تكون طاغية في سلوكها كقوله

(١) سورة الشعراء من الآية ١١١ .

تعالى ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾[١]. ﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[٢]. وفيها: أن الله حين يبسط الرزق أو يضيقه؛ إنما هو لحكمة وقدر قدره وليس دليلا على محبة من بسط له الرزق كما أنه ليس دليلا على عدم محبة من ضيق عليه فيه.

وفيها: أن المال والولد لا يقرب إلى الله، وإنما يقرب إليه العمل الصالح وهذا العمل مما تضاعف فيه الحسنات. وفيها: أن من يسعى في صد الناس عن الإسلام سوف يحضر يوم القيامة إلى العذاب. وفيها: أنه ما من نفقة ينفقها العبد مما أمر به وأبيح له إلا ويخلفها الله عليه بما هو أكثر منها في الدنيا وما هو أعظم منها في الآخرة. وشاهده: قول رسول الله ﷺ: (**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا**)[٣].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٥٥ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ٥٦ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى)، برقم (١٤٤٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٣ ص٣٥٧ .

نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ هذا بيان من الله أنه يوم يحشر المشركين يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ أي: هل أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم من دوننا ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ أي: تنزهت وتقدست وتعاليت عن أن يكون لك شريك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي: نحن عبيدك ونعوذ من عمل هؤلاء ونتبرأ منهم ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ أي: أن هؤلاء كانوا يعبدون الشياطين وأكثرهم يؤمنون بما يقولونه لهم ويدعونهم إليه.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ أي: يقال للمشركين إنه لا ينفعكم اليوم من كنتم تدعونهم من دون الله ولن يدفعوا عنكم ما ستلاقونه من العذاب ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: المشركين ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ أي: ذوقوا في هذا اليوم عذاب النار التي كنتم تكذبون بها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم ببراءة الملائكة والأنبياء من قبولهم عبادتهم

من دون الله كقول الله للملائكة ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾[١]. ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾[٢]. وقول الله لعيسى ابن مريم عليه السلام ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾[٣].

وهذا يقتضي أن الشياطين هم الذين يأمرون المشركين بعبادة الملائكة والنبيين والصالحين؛ أما هؤلاء فهم براء منهم ومن عبادتهم لهم. وفيها: أن تكذيب المشركين ومنكري البعث بالنار واستهزائهم بمن ينذرهم بها يؤول بهم إلى العذاب يوم القيامة.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٤٣) وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ (٤٤) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥)﴾.

---

(١) سورة الفرقان من الآية ١٧ .

(٢) سورة الفرقان من الآية ١٨ .

(٣) سورة المائدة من الآية ١١٦ .

بيان الآيات:

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾ أي: إذا تتلى عليهم آيات القرآن في بيانها ووضوحها ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ أي قالوا: إن قصد محمد مما يتكلم به هو صدكم عن دين آبائكم، وأن ما يقوله ما هو إلا كذب افتراه كما قال الله عنهم ﴿وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ﴾ وقوله ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: لما جاءهم القرآن وصفوه بالسحر والكهانة ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾ أي: ما أنزل الله على قومك من كتب يتدارسونها فأباحت لهم ما يفعلونه من الشرك ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ أي: ما أرسلنا إليهم قبلك يا محمد من رسول يحتجون بما قاله لهم بل إنهم كانوا يتمنون أن نرسل إليهم رسولا كما قالوا ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾[1]. فلما جاءهم عصوه وكذبوه ﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي: كذب من سبقهم من الأمم ﴿وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾ أي: ما بلغ هؤلاء من القوة معشار ما آتينا أولئك من القوة ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ

---

(١) سورة طه من الآية ١٣٤ .

نَكِيرِ ﴾ أي: لما كذبوا أهلكناهم، فمنهم: من خسفنا به الأرض ومنهم: من أخذته الصيحة ومنهم: من أخذته الرجفة، وهكذا يكون العقاب لكل مكذب لرسوله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سفاهة المشركين وجهلهم حين كذبوا رسول الله رغم البينات الدالة على نبوته ورسالته. وفيها: أن العرب كانوا يتمنون أن يأتيهم رسول من عند الله يبين لهم الهداية من الضلال فلما جاءهم بالحق كفروا به. وقد حكى الله ذلك عنهم بقوله عز ذكره ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾[1]. ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[2]. وفيها: أن قوة العرب وحضارتهم ما كانت تساوي القليل مما كانت عليه الأمم السابقة من القوة، وقد أهلكهم الله بسبب تكذيبهم لرسوله وفي هذا تخويف وإنذار للمشركين من أن يكون مصيرهم مثلهم في العذاب.

﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾.

---

(١) سورة الزخرف الآية ٣٠ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٣١ .

بيان الآية:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ هذا أمر من الله تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يقول لقومه الذين اتهموه بالجنون: إنما آمركم بمسألة واحدة وهي ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ أي: تقوموا لله قيام إخلاص وتجرد من الهوى، ثم تتفكروا في مسألة محمد واتهامكم له بالجنون فتسألوا أنفسكم وتسألوا غيركم عن حقيقته وعندئذ سوف تجدون أنه ليس بمجنون ولا ساحر ولا كاهن ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ أي: هو ناصح لكم ومشفق عليكم من العذاب الذي سوف يحيط بكم إذا استمررتم على عصيانكم وتكذيبكم لما جاءكم به من البينات.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن رسول الله ﷺ كما بعث مبشرا بعث نذيرا ومخوفا للعصاة من عذاب الله، وفي هذا روى ابن عباس رضي الله عنهما - كما سبق ذكره- أن رسول الله ﷺ صعد ذات يوم على الصفا فهتف: (**يا صباحاه؟**) فقالوا: من هذا ؟ فاجتمعوا إليه فقال: (**أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟**) قالوا: ما جربنا عليك كذباً قال: (**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**) قال

أبو لهب: تبا لك ما جمعتنا إلا لهذا ؟ فأنزل الله قوله ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[1].

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ لما دعا الله المشركين إلى التفكر في أمر رسوله، وأنه ليس بمجنون ولا ساحر، وإنما هو نذير لهم أمره أن يقول لقومه: لا أسألكم أجرا أي: جُعْلا على نذارتي لكم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: الشاهد والعالم بما أنا عليه من تبليغ رسالته وما أنتم عليه من إنكارها ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ أي: قل لقومك يا محمد: إن ربي يلقي بالوحي على من يشاء من عباده وهو علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء في الوجود ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: قل لهم: جاءكم الدين من عند الله وزال

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، برقم (٤٩٧١) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٦٠٩ .

الباطل في عبادتكم للأصنام كما قال تعالى ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾(١).

﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ﴾ أي: قل لقومك: إني إن ضللت فيما أدعوكم إليه؛ فإنما ضلالي على نفسي وليس عليكم منه شيء ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ﴾ أي: إن اهتديت فإنما هو بفضل الله علي ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ أي: يسمع ما أقول لكم وما تقولونه لي وسوف يحاسب كلاًّ منا على عمله فيجازي المحسن بالحسنى ويجازي المسيئ بالعذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن من يدعو إلى الله إنما يبتغي الأجر من عنده، وهذا يقتضي ألا يأخذ جُعْلا من أحد، وهذا ينطبق في الخصوص على الأنبياء والرسل؛ لأن الله نزههم أن يأخذوا أجورا على أدائهم لرسالته، وكما ينطبق على الأنبياء والرسل ينطبق على غيرهم من الدعاة، ولكن الحال قد لا تكون على العموم فالداعي إذا تجرد للدعوة وجعل وقته لها يحتاج إلى مؤنة له ولعياله فلا مانع إذا من مساعدته من بيت المال أو من إخوانه أو أصدقائه بما يساعده، فإن كان غنيا أو قادرا على الكسب مع قيامه بالدعوة

(١) سورة الإسراء الآية ٨١.

فذلك خير وأبقى. وفيها: الحكم بأن نبوة محمد ﷺ ورسالته هي الحق الذي أزال الباطل فلا دين إلا ما جاء به في كتاب الله أو في سنته عليه الصلاة والسلام.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ ﴾ أي: لو ترى يا محمد المشركين يوم القيامة ويوم الحساب، وقد سيطر عليهم الخوف والفزع من شدة ما يرون وأنه لا مهرب لهم منه ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ أي: يؤخذون على وجه السرعة ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ أي: بعدما رأوا العذاب قالوا آمنا بالله وما جاء به رسوله ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: أنَّى لهم الإيمان وهم كانوا بعيدين عنه في الدنيا فكيف يكون لهم في الآخرة، فهذا بعيد عنهم؛ لأن الآخرة دار جزاء وليست دار عمل.

﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ ﴾ أي: كذبوا وكفروا بالحق لما جاءهم في الدنيا ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: كانوا يرجمون محمدا ﷺ بالظن فتارة يقولون إنه ساحر وتارة يقولون إنه كاهن أو شاعر وكل هذا كان رجما بالغيب لا علم لهم فيه ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ أي: حيل بينهم وبين الإيمان والتوبة وبين أموالهم وأولادهم في الدنيا ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ أي: كما جرى لغيرهم ممن كذبوا الله وكذبوا رسوله وعتوا عن الحق واستكبروا عنه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾ المراد بهم المشركون في مكة ومن على صفتهم والمعنى: أنهم كانوا في الدنيا في ريبة وشك في توحيد الله وطاعته، فإيمانهم في الآخرة لا ينفعهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الإيمان في الآخرة لا ينفع صاحبه؛ لأن الآخرة ليست داراً للعمل، وإنما العمل في الدنيا، فمن يعرض عنه في الدنيا فليس له سوى الحساب والجزاء. وفيها: الحكم بأن من كان يشك فيما جاء من عند الله على لسان رسله يعد كافراً به؛ لأنه لا إيمان مع الشك، وإنما الإيمان مع اليقين والتصديق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة فاطر

مكية وآياتها خمس وأربعون آية

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أي: هو المستحق وحده للحمد والثناء فوجب على الخلق أن يحمدوه ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: مبدئهما ومبدعهما إنشاء وتكوينا ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ أي: يبلغون رسالاته إلى أنبيائه ﴿ أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ أي: منهم من له جناحان ومنهم: من له ثلاثة ومنهم: من له أربعة ﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ أي: يزيد في خلق الأجنحة ما يشاء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي: قادر على ما يشاء، ويريد، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ هذا بيان من الله أن كل شيء بيده وتحت تصرفه، فما يمنحه

لخلقه من أرزاقهم لا يقدر أحد على منعه من دونه، وما يمسكه ويمنعه هو لا يقدر أحد على إرساله وجريانه فهو المعطي وحده، والمانع وحده، والمتصرف والمدبر وحده ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ بقوته ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبيره.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين الحكم بوجوب حمد الله من خلقه وصرف هذا الحمد له وحده؛ لأنه خالقهم ورازقهم ومدبرهم. وفيهما: تقرير قدرة الملائكة الذين يرسلون إلى الأنبياء أو إلى أمر يريده الله أن لهم أجنحة متعددة، كما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ رأى جبريل ليلة الإسراء، وله ستمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب[١]. وفيهما: أن كل شيء بيد الله وتحت قدرته فما يعطيه لا أحد يقدر على منعه وما يمنعه لا أحد يقدر على إعطائه فهو المعطي والمانع.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾.

بيان الآية:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ هذا أمر من الله لعباده ومنهم المشركون من أهل مكة أن يتذكروا أن الله هو المنعم عليهم

---

(١) أخرجه البخاري مختصراً في كتاب التفسير، باب قوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى)، برقم (٤٨٥٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٤٧٦ .

والرازق لهم وأن يشكروه على ذلك ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا استفهام تقريري أي: لا خالق للعباد غير الله ولا رازق لهم إلا هو، فهو الذي ينزل المطر من السماء فتنبت الأرض بالزروع والثمار وهو المتكفل بأرزاقهم كما قال تعالى ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾[(١)]. فاقتضى هذا وجوب تذكر نعمه وشكره عليها ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هو الرب والإلَه الذي لا رب غيره ولا إلَه إلا هو ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف إذن تصرفون عن عبادته وتوحيده.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: وجوب ذكر نعم الله؛ لأن في ذكرها اعترافاً بها وشكره عليها. وفيها: أن من آتاه الله عقلا يدرك أن الخالق للخلق والرازق لهم هو المستحق وحده للعبادة كما قال تعالى ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[(٢)]. وفيها: العجب من حال المشركين فهم يعرفون أن الذي خلقهم هو الله، وأنه الذي يرزقهم بإنزال المطر عليهم، ومع ذلك يشركون آلهتهم في عبادته.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾

(١) سورة هود من الآية ٦ .

(٢) سورة النحل الآية ١٧ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم
بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ
لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ﴾ هذا بيان من الله يسلي فيه نبيه ورسوله محمداً ﷺ أي: أن يكذبك قومك يا محمد بما جئتهم به من البينات والهدى، فقد سبق أن كذبت أمم رسلها بما جاؤوهم به ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ أي: أن الله هو المرد والمرجع، وسوف يجازي المكذبين على كذبهم، ويجازي المصدقين على تصديقهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: إن يوم المعاد إليه كائن لا محالة ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: لا تغتروا بزينتها ومفاتنها فهي فانية ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ أي: ولا تغتروا بالشيطان بما يزينه لكم من المعاصي ويسوقه لكم بطول الأجل فيصدكم عن سبيل الله ثم يفاجئكم الأجل فتندمون على تفريطكم.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ لما حذر عز وجل من الاغترار بالشيطان بيّن أنه عدو للإنسان مبارز له بالعداوة يعمل على إيقاعه في المعاصي وإهلاكه بها، ثم أمر بمعاداته وتكذيبه وعصيانه

فيما يأمر به ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: أن غايته ومراده إضلال حزبه وأعوانه؛ ليكونوا معه في النار التي أعدت له وأصحابه.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لما بيَّن تعالى مآل الشيطان وحزبه إلى السعير بين الله أن للكافرين عذاباً أليماً؛ لأنهم اغتروا به وما زينه لهم من الكفر فاتبعوه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي: أن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة يغفر الله لهم ذنوبهم ويأجرهم على أعمالهم وذلك بإدخالهم جنات النعيم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تسلية الله لرسوله وللمؤمنين في كل زمان ومكان أنهم إذا كُذِّبوا فيما يدعون إليه من توحيد الله وطاعته، فلهم أسوة بما حصل للأنبياء والمرسلين والمصلحين والدعاة من التكذيب من أممهم. وفيها: الحكم بأن بعث الخلائق ومحاسبتهم ومجازاتهم واقع لا محالة. وفيها: تحذير الأمة من الاغترار بالحياة الدنيا وزينتها كما قال تعالى ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ

ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾[١]. وفيها: التحذير كذلك من الشيطان وما يزينه للإنسان من المعاصي، ووجوب مبارزته بالعداوة؛ لأن مراده هو الإيقاع بحزبه وأصحابه؛ ليكونوا معه في العذاب. وفيها: تقرير الجزاء للكافرين بالعذاب والجزاء للمؤمنين بالأجر والثواب.

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗا ﴾ هذا استفهام إنكاري والمراد أن الله لما حذر من الاغترار بالدنيا والشيطان وما سيؤول إليه الكافرون من العذاب وما سينال المؤمنون من الثواب بيَّن أن من زين له الشيطان سوء عمله واتبع هواه فعصى الله، وهو يرى ذلك حسنا هل يكون مثل من أطاع الله وأطاع رسوله ؟ الجوب بالنفي القاطع؛ لأن بين هذا وذاك بعد كالبعد بين السماء والأرض. ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ أي: يضل بعدله من يستحق الإضلال بسبب إعراضه عما جاءه من الحق ويهدي بفضله من يستحق الهداية بسبب

---

(١) سورة الحديد الآية ٢٠ .

إقباله على الله واتباع ما أمر به ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ أي: لا تأسف وتتحسر يا محمد على عدم هداية من لم يؤمن من قومك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ أي: أنه العليم بأعمالهم، وسوف يجازيهم عليها فلا تأسَ عليهم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: التحذير من الشيطان وأتباعه؛ لأنه يزين للمرء سوء عمله فيرى السيئة حسنة، والحسنة سيئة، والمنكر معروفا والمعروف منكرا. وهذا هو ما يحصل للذين يرتكبون المحرمات ويبحثون لها عن علل وأسباب، ثم ما تلبث إلا أن تكون جزءا من سلوكهم، فكلما ارتكبوا معصية زينوها لأنفسهم، وهكذا تكون كل أعمالهم عصياناً لله عزوجل. وفيها: أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فمن أضل نفسه باتباعه للشيطان أضله الله. ومن اهتدى في نفسه بتقوى الله واتباع أوامره هداه الله وهكذا يضل الله الضالين ويهدي المهتدين.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ

وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ هذا بيان من الله عن عظيم قدرته وكمالها في أنه يبعث الرياح فتحرك السحاب فيسوقه إلى بلد ميت ليس فيه نبات ولا حياة فينزل فيه فتحيا به الأرض بعد موتها أي: ينبت النبات فتتحول من أرض هامدة يابسة إلى أرض مخضرة حية كما قال عز وجل ﴿ فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ وكما يفعل الله ذلك، يحيي الموتى بعد قيام الساعة، حيث ينزل من تحت العرش مطرا يملأ الأرض فتنبت الأجساد في القبور من عَجْب الذَّنَب كما تنبت الحبة في الأرض بعد نزول المطر.

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ أي: من كان يريد العزة في الدنيا والعزة في الآخرة فليطلبها من الله الذي له العزة وطلبها يكون بتقواه وطاعته وخشيته ولزوم أوامره واتباع رسوله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ أي: يصعد إليه الذكر والاستغفار والدعاء ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ أي: إن العمل الصالح يرفع الذكر والاستغفار والدعاء إلى الله، فمن عمل عملاً صالحا ذكر الله فيه

رفع عمله ذكره، ومن عمل عملا صالحا استغفر الله فيه رفع عمله استغفاره، وهكذا يرفع كل عمل صالح مافيه من تقوى الله ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي: أن الذين يفعلون السيئات إما بأذى المؤمنين، أو يجاهرون بالباطل، أو يراؤون بأعمالهم أو يكيدون للمؤمنين يعذبهم بالعذاب الأليم ﴿وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ أي: يبطل الله مكرهم.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ﴾ أي: خلق أباكم آدم من تراب، ثم تناسلتم فيبتدئ خلقكم من نطفة امتزجت من ماء الرجل وماء المرأة ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجًا﴾ أي: جعل منكم الذكر والأنثى، فتتزاوجون ويسكن بعضكم إلى بعض ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ﴾ أي: ما تحمل أنثى بمولودها، ولا تضعه بعد حمله إلا وهو بعلمه المطلق يعلم ذلك لا تخفى عليه خافية ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ أي: أن عمر الإنسان من حيث طوله أو قصره مسجل في كتاب المقادير، فلا يموت إلا وقد بلغ الأجل الذي كتبه الله في هذا الكتاب ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: هين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن إحياء الله الأرض بعد موتها بما ينزله عليها من المطر يماثل إحياءها بالمطر الذي ينزله عند قيام الساعة

فتنبت به الأجساد من عجب الذنب وقد ورد في الحديث: (**يبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه الخلق**)[١]. وفيها: الحكم بأن العزة في الدنيا والآخرة لا تكون إلا من الله، ومن ابتغاها عند غيره من الدول أو من الملوك أو الرؤساء أو من أحد من سائر الخلق فقد هان وذل كما قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[٢]. وفيها: أن الذين يعملون السيئات بما يرتكبونه من الكفر أو إيذاء المؤمنين فإن الله يبطل مكرهم ويعذبهم ويرتد مكرهم إليهم كما قال تعالى ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[٣]. وفيها: الحكم بأن الله يعلم بعلمه المطلق أمور خلقه وقد قدَّر خلقهم وأرزاقهم وأعمارهم في كتاب المقادير كما قال تعالى ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٤].

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾، برقم (٤٨١٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٤١٤ .

(٢) سورة النساء الآية ١٣٩ .

(٣) سورة فاطر من الآية ٤٣ .

(٤) سورة الأنعام من الآية ٥٩ .

ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى
ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ
وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا
يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾ يبين عزوجل عظيم قدرته في خلقه الأشياء المتضادة، حيث خلق بحرين مختلفين أحدهما: عذب الماء يستساغ شرابه لعذوبته كما هو الحال في مياه الأنهار، والآخر ﴿مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ وهو ماء البحر المر الذي لا يستساغ شربه ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ المراد به السمك الذي يستخرج من هذين البحرين ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ كاللؤلؤ والمرجان مما يستخرج من البحر ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ أي: وترى السفن تبحر فيه ليلا ونهارا ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ حيث تحملكم هذه السفن من مكان إلى آخر وتحمل تجارتكم وأرزاقكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: تشكرون ربكم على ما أنعم به عليكم وما يسره لكم من مخلوقاته.

﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ ﴾ أي: يدخل بعضا من الليل في النهار فيطول ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ ﴾ أي: يدخل بعضا من النهار في الليل فيطول، كما أنهما يتعاقبان، فيبدأ هذا وينتهي الآخر في نظام ثابت لا يتغير ولا يتبدل ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ ﴾ أي: وسخر الشمس والقمر لمنافع العباد فجعلهما يجريان في غير انقطاع إلى أن تقوم الساعة وهو قوله ﴿كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ﴾ أي: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ ﴾ أي: أن الذي خلق هذه الأشياء وكوَّنها وقدَّرها هو ربكم القادر الذي لا يقدر عليها سواه وهو الذي له ملك السموات والأرض ومن فيهن يدبرهما كيف يشاء ويتصرف فيهما بقدرته وحكمته لا إلَه إلا هو فتبارك الله رب العالمين ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾ لما بيَّن عز وجل عظيم قدرته وكمال صنعه بيَّن للمشركين أن الذين يدعونهم من الأوثان والأصنام أو الأنبياء والصالحين لا يملكون لهم نفعا ولا يدفعون عنهم ضرا بقدر القطمير وهو القشرة الرقيقة على نواة التمر أو ما هو أقل منه. ﴿ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ ﴾ أي: لا يسمعون دعائكم؛ لأن الأوثان والأصنام أحجار وأشجار لا تسمع ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ ﴾ أي: لو فرض أنهم سمعوا دعاء من يدعوهم لما استطاعوا إجابته؛ لأنهم لا يقدرون على نفعه أو ضره ﴿وَيَوۡمَ

ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ ﴾ أي: يتبرؤن منكم يوم القيامة ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴾ أي: لا ينبئك بما ستؤول إليه أحوال المشركين يوم القيامة مثل خبير، والمراد به الله عز وجل الذي أخبر -عن حق وصدق- بأحوال خلقه وما ادخره من الثواب للمؤمنين منهم وما هيأه من العذاب للكافرين منهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير قدرة الله وعظمته في خلق الأشياء المتضادة، وما فيها من المنافع للعباد وتقرير قدرته كذلك في تعاقب الليل والنهار وخلق الأفلاك السيارة في نظام دقيق لا يقدر عليه إلا هو. وفيها: تقرير أن من يدعى من دون الله عاجز في ذاته عن النفع أو الضر، وهذا يقتضي حكما وعقلا عجزه عن نفع غيره بمقدار القشرة على نواة التمر وما هو أقل منها.

وفيها: أن من يدعى من دون الله يتبرأ يوم القيامة ممن دعاه كما قال عز وجل ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴾[١]. وقوله ﴿ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴾[٢].

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾

(١) سورة الأحقاف الآية ٥ .

(٢) سورة مريم الآية ٨٢ .

إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ
وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ هذا بيان من الله عزوجل يخاطب فيه خلقه أنهم فقراء إليه في كل أمورهم، فهم فقراء إليه في خلقهم وفي أرزاقهم وفي دفع الضر عنهم، كحمايتهم من الزلازل والأمراض والأوبئة، وكما أنهم فقراء إليه في الدنيا، فهم فقراء إليه في الآخرة حين يحاسبهم فيرجون عندئذ رحمته ويخشون عقابه ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ أي: هو الغني عن خلقه كما قال عز وجل ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾(١). ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾(٢). وهو الحميد في ذاته المحمود في قدرته وتدبيره.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: إن يرد يُفْنكم ويهلككم أيها الناس ويخلق خلقاً آخر غيركم يطيعوه ولا يعصوه ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ أي: ليس هذا بممتنع عليه، بل هو يسير

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٧ .

(٢) سورة الذاريات الآية ٥٨ .

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ هذا من عدل الله في قضائه ومن حكمته في خلقه أنه ما من أحد يحمل ذنب غيره أو يحاسب عليه، بل يحاسب العامل وحده على ما عمله من عمل كما قال عز وجل ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾(١). ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا ﴾ أي: إن دعت نفس مثقلة بذنوبها وأوزارها إلى مساعدتها في حمل ما عليها أو بعضه ﴿ لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ﴾ أي: لا يحمله عنها حامل ولو كان قريبا لها، كالأب، أو الابن؛ لأن كلاً معنيٌّ بنفسه مشغول بها ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي: إنما يعتبر بدعوتك يا رسولنا محمداً أولئك المؤمنون الذين يخافون ربهم ويصدقون بما جاء من عنده دون أن يبصروه بأعينهم وأقاموا الصلاة في أوقاتها وبأركانها وشروطها ﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ﴾ أي: من طهر نفسه ومنعها من المعاصي ﴿ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ﴾ أي: إنما يعود نفع ذلك إليه؛ لأن الله غني عن خلقه، فما يعملونه من عمل صالح يعود نفعه إليهم ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ أي: إليه المآب والمعاد.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الناس فقراء إلى الله في كل أمورهم،

(١) سورة المدثر الآية ٣٨ .

فهم فقراء إليه بإنزال المطر عليهم، وهم فقراء إليه في دفع الكوارث والمصائب عنهم، وهم فقراء إليه يوم القيامة أن يرحمهم من العذاب. وفيها: تقرير قدرة الله في إفناء الخلق وخلق خلق آخر يعبده ويوحده فكل ذلك من قدرته. وفيها: الحكم بأنه ما من أحد يحمل وزر غيره، بل كل امرئ مسؤول عن عمله وما من أحد يستطيع حمل ثقل غيره، ولو كان من أخص أقاربه كما قال عز وجل ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾[(١)]. ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾[(٢)]. ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾[(٣)]. ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[(٤)]. وفيها: تقرير أنه لا يستجيب للنذارة الربانية إلا المؤمنون الذين آمنوا وصدقوا ما جاءهم من الله. وفيها: تقرير أن عمل العامل يعود إليه إن خيرا فخير وإن شرا فشر؛ لأن الله غني عن خلقه، وفي الحديث القدسي: (**إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**)[(٥)].

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ

---

(١) سورة عبس الآية ٣٤ .

(٢) سورة عبس الآية ٣٥ .

(٣) سورة عبس الآية ٣٦ .

(٤) سورة عبس الآية ٣٧ .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٩٢ .

مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ
أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن
يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ أي: لا يستوي هذا وذاك؛ لأنهما متضادان، فهذا لا يرى شيئا لعماه والآخر يراه لإبصاره ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ وكذلك لا يستوي الظلام ولا النور؛ لاختلافهما في الكينونة ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ أي: لا يستوي كذلك الحر والبرد ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ كذلك لا يستوي الحي مع الميت، فلهذا شأن وللآخر شأن. وقد ضرب الله هذه الأمثلة للدلالة عقلا على عدم استواء الإيمان والكفر فالمؤمن حي بإيمانه والكافر ميت بكفره وفي هذا قال عز وجل ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[1].

قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ في هذا يخاطب الله رسوله مباشرة بأنه قادر على إسماع من يشاء من

---

(١) سورة الأنعام من الآية ١٢٢ .

خلقه، فيهديه إلى نور الحق، أما أنت يا محمد فلا تستطيع أن تسمع الأموات في القبور وإنما تسمع الأحياء والحال كذلك بالنسبة للمؤمنين والكافرين؛ فالمؤمنون يسمعون ما تقول ويؤمنون به، والكافرون لا يسمعونه لأنهم كالأموات لا يسمعون نداء ولا يستجيبون له فلا تحزن إذن على قومك ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ أي: لست إلا نذيراً تنذرهم بما أرسلت به وجزاؤهم على الله.

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ هذا بيان من الله عز وجل يبين فيه رسالة نبيه ورسوله محمد ﷺ وهي البشارة للمؤمنين أن لهم الجزاء الحسن على إيمانهم واستجابتهم لما جاء به والنذارة بالعذاب للكفرة والعصاة ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ أي: ما من أمة من الأمم إلا وقد سبق لها نذير يبشرهم إذا آمنوا وينذرهم إذا عصوا، إذن فإرسالنا لك يا نبينا محمد إلى قومك ليس حادثا بل أنت واحد ممن أرسل إلى الأمم ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي: إن عصوك فلم يستجيبوا لبشارتك ونذارتك فليسوا أول من كذب من الأمم فقد كذب الذين من قبلهم رسلهم ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ أي: جاءتهم بالحجج والبراهين والدلائل المدونة في الكتب المنزلة عليهم كصحف إبراهيم وموسى والتوراة والإنجيل، فمنهم من اهتدى، ومنهم من ضل ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أي:

حق العذاب على الذين كفروا، فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: فانظروا أيها المشركون كيف كان عقابي شديدا لهم حين وقع الهلاك فيهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير ضرب الأمثال للناس؛ تيسيرا لإفهامهم؛ لكي يدركوا المأمور به من الأحكام والمنهي عنه من المحرمات. وفيها: تشبيه الكفار بالأموات الذين لا يسمعون ولا يبصرون كما قال تعالى ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ﴾[١]. وفيها: تحديد رسالة محمد ﷺ بالبشارة للمؤمنين والنذارة للكافرين. وفيها: أن الهلاك والعذاب عاقبة المكذبين للحق.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ هذا بيان من الله تبارك

---

(١) سورة هود من الآية ٢٤ .

وتعالى عن عظيم قدرته في خلق الأشياء المتنوعة ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ أي: متنوعة في أشكالها وألوانها، فمنها: الأبيض، والأخضر، والأحمر، والأصفر ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ أي: كما خلق الله الثمرات مختلفة الألوان فقد خلق الجبال كذلك فمنها: ما هو أبيض ومنها: ما هو أحمر ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ أي: شديدة السواد. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما أن الثمرات والجبال مختلفة الألوان، فإن الناس والأنعام وكل ما دب على الأرض مختلف كذلك، فالبشر يختلفون في ألوانهم، فمنهم الأبيض والأصفر والأسود، والدواب في مجملها تختلف في ألوانها وأشكالها وأحجامها، وكل ذلك بقدرة الله وتكوينه وإبداعه في خلقه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ أي: أن العلماء هم الذين يخشون الله ويتقونه؛ لأن العالم يدرك بعلمه وبصيرته عظمة الله وقدرته فيؤمن به ويخشاه فيأتمر بأوامره وينتهي عن نواهيه؛ فما أحله الله له أحله وما حرمه عليه حرمه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ أي: عزيز في ذاته وكماله وقوته، قادر على أخذ المكذبين لرسوله وهم المشركون في مكة، ولكنه يغفر لمن يتوب منهم ويتجاوز عما سبق من خطيئاته.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير قدرة الله في تنويع ألوان المخلوقات وتغايرها مما يدل على

عظمته وحكمته وتصرفه في مخلوقاته. وفيهما: تقرير فضل العلم وكونه يوصل إلى خشية الله والإيمان به وتحليل ما أحل وتحريم ما حرم. وفي هذا قال تعالى مفرقا ومميزا بين من يعلم ومن لا يعلم ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[1].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ هذا بيان من الله عن فضل الذين يتلون كتابه إيمانا وتصديقا به واتباعا لما فيه من الأحكام، ويقيمون الصلاة في أوقاتها بأركانها، وشروطها ويزكون أموالهم، وينفقون مما أعطاهم الله على أقاربهم، ويتصدقون على المساكين والمحاويج سرا وجهرا في غير رياء ولا سمعة ﴿ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ أي: يرجون ثواب الله. ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ هؤلاء لما عملوا تلك الأعمال الصالحة تعهد الله أن يوفيهم أجر هذه الأعمال

---

(١) سورة الزمر من الآية ٩ .

ويضاعف لهم هذا الأجر، الحسنة بعشر أمثالها ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ أي: يغفر ذنوبهم ﴿شَكُورٌ﴾ لأعمالهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضل القرآن وما في تلاوته وتدبره من الأجر العظيم ولا عجب في ذلك فهو كتاب الله الذي أنزله على عباده رحمة لهم وسبيلا إلى هدايتهم وعزتهم في الدنيا والآخرة كما قال عز وجل ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾[1]. ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾[2]. ومن أحكام الآيتين: تقرير فضل أداء ما فرض الله على عباده من الصلاة وأداء الزكاة والصدقات على الأقارب والمساكين والمحاويج من المسلمين. ومنها: تذكير الله لعباده أنه مهما كانت ذنوبهم وخطيائتهم فإنه يغفرها ويتجاوز عنها إذا تابوا كما أنه شكور لأعمالهم فيتقبلها ويضاعف لهم أجورها كما قال عز وجل ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[3].

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾.

---

(١) سورة لقمان الآية ٢ .

(٢) سورة لقمان الآية ٣ .

(٣) سورة الأنعام من الآية ١٦٠ .

بيان الآية:

﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ المخاطب هنا رسول الله ﷺ والكتاب القرآن ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ أي: هو الكتاب الحق الذي يجب قبوله وتصديقه وتحكيمه في أمور الدين والدنيا، وقد جاء مصدقا للكتب المتقدمة -كالتوراة والإنجيل- التي بشرت به فهو يصدقها في ذكرها لهذه البشارة ويصدقها كما أنزلت على الأنبياء خالصة خالية من التأويل والتحريف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ أي: هو الخبير بما ينفع عباده حيث أنزل عليهم كتابه المبين مجددا لرسالاته وكتبه بعد أن تعرضت للتحريف وأعرض أصحابها عما جاءتهم به من البينات.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بأن القرآن هو الكتاب الحق الذي أراده الله لنفع عباده وإرشادهم إلى ما يصلح دينهم ودنياهم، وهذا يقتضي تلاوته وتدبر آياته وأحكامه وتحكيمه في كل الأمور. وفيها: أن القرآن مصدق للكتب المتقدمة التي بشرت به فصدقها في بشارتها وصدقها كما نزلت من عند الله خالية من التحريف والتبديل. وفيها: أن من يؤمن بالكتب السابقة يجب عليه أن يؤمن بالقرآن وإن لم يفعل فهو كافر.

﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ

لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ
ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ المراد أن الله اصطفى وأورث أمة محمد الكتاب وهو القرآن، ولما كان القرآن قد صدق ما في الكتب السابقة فإن هذه الأمة ورثت هذه الكتب كلها فهي إذن الأمة المهتدية بكتب الله. قوله ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ أي: المرتكب لبعض المحرمات عليه المفرط في فعل بعض ما أوجب الله عليه ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ أي: المؤدي لما أوجب الله عليه التارك لما حرم عليه، وإن كان يرتكب بعض ما يكره له ويترك بعض ما يستحب له ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ أي: يترك ما حرم الله عليه من محرمات ومكروهات ويفعل ما يجب عليه من واجبات وغيرها من المستحبات، فهؤلاء قد اصطفاهم الله من هذه الأمة لوراثة كتبه، رغم اختلاف أفعالهم ومراتبهم الدينية قوله ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ المراد به السابق إلى الخيرات والمعنى: أن يعرف هذا أنه ما بلغ هذه المرتبة إلا بإذن الله؛

لأنه ما من عمل يعمله المرء ويوفق فيه إلا بإذن الله وعونه ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ أي: هذا الإيراث هو الفضل الكبير الذي امتن الله به على من اصطفى من هذه الأمة وهو ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ أي: يقيمون فيها ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ﴾ أي: يلبسون هذه الأسورة من الذهب واللؤلؤ التي كانت محرمة عليهم في الدنيا ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ حيث كان محرما عليهم في الدنيا فجعله الله لهم في الجنة.

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ أي: يحمدون الله ويشكرونه على أن أذهب عنهم الخوف والهم والحزن فأصبحوا يتنعمون في الجنة فلا يصيبهم فيها ما يخافونه أو يحزنون منه ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾ أي: غفور لمن أذنب منا، وشكور لمن عمل منا صالحا ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ أي: له الحمد والشكر على أن أنزلنا هذه المنزلة العظيمة بفضله ومنته علينا وليس مقابل أعمالنا ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾ أي: لا نعاني في هذه المقامة من همٍّ أو نكد أو تعب، بل ننعم فيها بكل ما أنعم الله به علينا من فيض فضائله وكرمه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بوجوب الإيمان بالقرآن والعمل به وتلاوته

والتمسك بآدابه وأخلاقه، فلما سئلت عائشة رضي الله عنها عن أخلاق رسول الله ﷺ قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن[١]. وفيها: أن من لم يؤمن بالقرآن يعد كافرا، ولو كان يؤمن بأي كتاب من الكتب السماوية؛ ذلك أن هذه الكتب صدقته وصدقها فمن لم يؤمن به لم يكن مصدقا لكتابه.

وفيها: تقرير فضل هذه الأمة، فقد اصطفى الله عباده منها وأورثهم الكتاب والكتب السابقة وتجاوز عن تقصيرهم، فمن مات منهم لا يشرك به شيئا دخل الجنة، كما قال عليه الصلاة والسلام لأبي ذر لما سأله بقوله: وإن زنى وإن سرق؟ قال: **(وإن زنى وإن سرق)**[٢].

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧ ﴾.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، برقم (٧٤٦)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص٢٢١٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار، برقم (٩٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٧٤١ .

بيان الآيتين:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ لما ذكر الله عز وجل حال المتقين ودخولهم الجنة وتنعمهم فيها ذكر حال الكفار بأن لهم نار جهنم ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ﴾ أي: لا يقضى عليهم بالموت فيموتوا موتا أبديا فيستريحوا من العذاب ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ﴾ أي: لا ينقص عليهم مما هم فيه منه ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ أي: كذلك نجزي بهذا العذاب كل كافر بالغ في كفره ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا﴾ أي: يتنادون بأعلى أصواتهم من شدة عذابهم ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ أي: أرجعنا إلى الدنيا؛ لكي نعمل غير عملنا الذي أوصلنا إلى هذا العذاب، ولكن الله علم بعلمه المطلق أنهم لو ردوا لعادوا كما كانوا، فقال تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ أي: ألم تكونوا مكثتم في الدنيا أعمارا كافية لتوبتكم لو كنتم حقا تريدون الإيمان والخشية من العذاب ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ أي: وكما عمرتم جاءكم الرسول ينذركم وينهاكم عن الضلال ويرشدكم إلى الهدى فأبيتم إلا أن تضلوا ﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ أي: وبسبب ضلالكم وكرهكم للحق الذي عمرتم من أجل اتباعه بعد أن جاءكم به الرسول ذوقوا العذاب الذي كنتم تكذبون به، فما

لكم اليوم من نصير ينصركم من دون الله.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن أهل النار لا يحيون فيها ولا يموتون ولا يخفف عنهم العذاب كما قال عز وجل ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾[١]. وقوله ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[٢]. ومن الأحكام: تقرير إعذار الله للإنسان الذي أعطاه عمراً؛ لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**لقد أعذر الله تعالى إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة، لقد أعذر الله لقد أعذر الله إليه**)[٣]. وفي الحديث الآخر: (**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك**)[٤]. وفيهما: أن من جاءته الرسالة من الله على لسان أي من رسله فقد حجه الله فليس له يوم القيامة من عذر عنده لأن الرسالة برهان وحجة على من بلغته.

إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ

---

(١) سورة الزخرف الآية ٧٧ .

(٢) سورة الأعلى الآية ١٣ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٢ ص٢٧٥ .

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ برقم (٣٥٥٠)، سنن الترمذي ج٥ ص٥١٧، وابن ماجة في كتاب الزهد، باب الأمل والأجل، برقم (٤٢٣٦)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٤١٥ .

وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: يعلم كل المغيبات في السموات والأرض دقائقها وجلائلها ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: يعلم ما تكنه الضمائر من الشرك والكفر والنفاق، فيجازي كلا بما يعلمه عنه والمراد به: الذين كانوا يتنادون ويطلبون من الله العودة إلى الدنيا للعمل وأنهم لو عادوا لما تغير من سلوكهم شيء ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: جعلكم أجيالا متتابعين، يأتي جيل بعد الجيل الذي قبله وفي هذا عبرة لذوي العقول الذين يتعظون بما حدث للأجيال قبلهم من الهلاك حين كذبوا رسلهم وأعرضوا عما جاؤوهم به من البينات ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي: من لم يتعظ ويعتبر بمن سبقه، فعليه أن يتحمل جزاء عمله ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ أي: كلما أقام الكافرون على كفرهم زادهم الله مقتا وبغضا لهم وبعدا منه ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ أي: ولا يزيدهم كفرهم إلا خسارة في الدنيا وخسارة في الآخرة.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن بني آدم يتتابعون في التوارث على الأرض فيأتي جيل بعد جيل ثم يأتي بعده جيل آخر، وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وفي هذا عبرة لأولي الألباب أنه ما من أحد باق على هذه الأرض كما قال عز وجل ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[1]. وحقيقة الموت تقتضي واقعة الحساب والجزاء، وهذا يوجب العمل لذلك اليوم. ومن الأحكام: أن الاستمرار على الكفر يزيد من مقت الله وبغضه لصاحبه، ولا يزيد الكافر كفره إلا خسارة له في الدنيا والآخرة.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠) ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١) ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ لما ذكر الله

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٣٥ .

حال المؤمنين وحال المشركين والكافرين أمر الله رسوله محمدا ﷺ أن يجادل المشركين من قومه طمعا في توبتهم، وتركهم الشرك أي: هؤلاء الشركاء الذين تدعونهم من دون الله ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ أي: اذكروا لي ماذا تستطيع أصنامكم التي تشركونهم مع الله هل خلقوا جزءاً من الأرض أيّاً كان مقداره أو لهم شرك في السموات مهما كان مقداره مما جعلكم تعبدونهم؟ ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ أي: هل آتينا هؤلاء المشركين كتابا أو برهانا يبيح لهم الشرك فهم بهذا الكتاب على بينة بجواز الشرك لهم ؟

﴿بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ هذا جواب لما قبله والمراد: أنه ليس لهذه الأصنام نفع ولا ضر وليس للذين يعبدونهم حجة في عبادتهم، وإنما أعماهم الهوى وأضلهم حين اتبعوه فعبدوها من دون الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ أي: يمسكهما بقوته وعظمته كما قال عز وجل ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾(١). ﴿وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ﴾ أي: لو زالتا أيقدر أحد أن يمسكهما، وإنما الله

(١) سورة الحج من الآية ٦٥ .

هو القادر على إمساكهما عن الاضطراب والزوال رحمة بعباده ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ أي: ومن دلائل عظمته أنه حليم على من يعصيه من عباده، فلا يؤاخذه بل يفسح له مجال التوبة ليغفر له لأنه غفور رحيم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن المشركين في شركهم إنما يتبعون أهواءهم؛ لأنهم يعرفون أن أصنامهم لا تملك نفعا ولا ضرا، ويعرفون أنه لم تأتهم بينة أو برهان تجيز لهم عملهم، بل الأمر على خلاف ذلك فقد جاءهم الرسول يبين لهم تحريم الشرك، ويبين لهم أن عاقبته العذاب الأبدي. ومن مسائل الآيتين: أن من لطائف الله ورحمته بعباده أنه يمسك السموات والأرض عن الاضطراب والزوال، وأنه مامن أحد يستطيع ذلك إلا هو بعظمته وقدرته. ومنها: أن الله حليم على عباده، رغم أنهم يعصونه ويكفرون به، ومع ذلك يجب أن يتوبوا إليه فيصفح عن سيئاتهم ويغفر لهم ذنوبهم.

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ

يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ هذا بيان من الله تعالى أن المشركين العرب أقسموا غاية قسمهم ﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ﴾ أي: ليكونن أفضل وأعظم في هدايتهم من اليهود أو النصارى كما قال تعالى مؤنبا لهم ﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾[١]. ﴿ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾[٢]. قوله ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ ﴾ أي: لما جاءهم النذير وهو محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ أي: ما زادهم مجيئه إلا إعراضا عما جاء به وبعداً عنه وذلك ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ عن اتباعه ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ﴾ أي: التمادي في الشرك والصد عن سبيل الله ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ أي: لا يعود وبال المكر وسوئه

(١) سورة الأنعام الآية ١٥٦ .

(٢) سورة الأنعام من الآية ١٥٧ .

إلا عليهم ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: هل ينتظرون إلا عقوبة الله تعالى على تكذيبهم لرسوله واستكبارهم عن اتباعه؛ لأن سنة الله اقتضت إهلاك المكذبين لرسالاته كما حدث للأمم قبلهم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ أي: أن هذه السنة لا تتغير ولا تتبدل ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ أي: هذه السنة لا تتحول فلا يحول أحد بينهم وبين العذاب الذي يلاقونه جزاء تكذيبهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير كذب المشركين بأنهم سيكونون أفضل في الهداية من اليهود أو النصارى، فلما جاءهم رسول الله ﷺ كذبوه وآذوه واستكبروا عن اتباعه وزاد مكرهم فصدوا غيرهم عن سبيل الله.

ومن أحكام الآيتين: أن المكر السيئ يعود على أصحابه بالوبال كما قال عز وجل ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[1]. ومنها: أن سنة الله التي خلت في عباده، لا تتبدل، ولا تتغير، ولا تتحول فما قضى به كائن لا محالة.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ

(١) سورة الفتح من الآية ١٠.

إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟
مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: أفلم يسر هؤلاء الذين كذبوك يا محمد في الأرض ﴿ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي: كيف كان مآل الذين كذبوا رسلهم وما حل بهم من الهلاك ﴿ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ أي: أكثر منهم قوة في الرجال والأموال فأهلكهم الله كما فعل بقوم نوح وهود وصالح ولوط ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ أي: لم يكن الله يعجزه هلاكهم أو هلاك غيرهم ممن يستحق هذا الهلاك ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ أي: عالم بكل شيء في الملكوت الأعلى والأسفل قادر على ما يشاء ويريد ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ أي: إن الله لا يؤاخذ الناس بما كسبت أيديهم من الخطايا ولو عاقب كل إنسان بما عمل لما بقي في الأرض أحد ﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: يؤخر عذاب المشركين والظالمين إلى الوقت الذي حدده إما بالعذاب العاجل

لهم في الدنيا أو الآجل في الآخرة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا﴾ أي: إذا حل أجل عقاب الظالمين؛ فإن الله بصير بعذابهم لا تخفى عليه خافية ولا راد لأمره وقضائه.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين وجوب الاعتبار بما حل بالأمم الهالكة من العذاب كما قال عز وجل ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]. وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[2]. وتقرير قدرة الله عز وجل، وأنه ما من شيء يعجزه، سواء في السموات أو في الأرض، بل هو قادر على كل شيء. وأن حكمة الله وسنته في خلقه اقتضت ألا يؤاخذ الناس على الفور بما كسبت أيديهم؛ لأنه لو فعل ذلك لم يبق في الأرض أحد، ولهذه الحكمة أجَّل عقاب الظالمين إلى الوقت الذي حدده وهذا العقاب إما أن يكون عاجلا في الدنيا كما أهلك كثيرا من الأمم بالغرق والرجفة والصيحة مع مالهم من العذاب في الآخرة أو يؤجل الله العقاب إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة الزمر من الآية ٢١ .

(٢) سورة ق الآية ٣٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يس

مكية وآياتها ثلاث وثمانون آية

﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يسٓ﴾ هذا من الحروف المقطعة والله أعلم بمراده منها ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ أي: قسماً بهذا القرآن المحكم في ألفاظه ومعانيه وأحكامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أقسم الله تعالى بالقرآن على أن محمدا ﷺ من المرسلين ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: إنك على صراط ومنهج قويم هو دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي: إن هذا القرآن المبين لهذا الدين قد نزل من الله العزيز ليكون رحمة منه لعباده المؤمنين ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ أي: لتنذر بهذا الدين قومك العرب وغيرهم لأنه لم يأت أسلافهم نذير من قبلك ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ أي: لا يدركون سوء عملهم وما هم فيه من الضلال فبعثك الله إليهم

لتنذرهم وتخوفهم بالعذاب إذا لم يتبعوك ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ أي: لقد حق العذاب على من استمر على الشرك منهم رغم ما بينته له من الحق، كأبي لهب، وأبي جهل، ومن كان على ملتهم من كفار قريش ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يصدقون بما جاءهم من الله فعرف الله ذلك منهم فطبع على قلوبهم فهم لا يهتدون.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بنبوة ورسالة محمد ﷺ حيث أقسم الله بالقرآن أنه من المرسلين، وأن دينه الإسلام هو الدين القويم وأن الله هو الذي بعثه وأنزل عليه القرآن رحمة بعباد الله المؤمنين. ومن الأحكام: أن الغاية من رسالة رسول الله محمد ﷺ إنذار قومه العرب ومن كان على شاكلتهم من الأمم؛ لأنهم كانوا على فترة من الرسل فجعل الله في هذه الرسالة هداية لهم إذا آمنوا بها واستجابوا لها. ومنها: أن العذاب يحيق بالذين يجحدون هذه الرسالة سواء كانوا الذين عاصروها وجحدوها كحال كفار قريش أو من اتى بعدهم من الأمم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ
٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ
فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ

بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ لما ذكر الله حال مشركي مكة وأنهم لا يؤمنون؛ بسبب ما طبع على قلوبهم من الكفر بيَّن تعالى أن أيديهم مغلولة إلى أعناقهم ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ أي: رافعون رؤوسهم، فلا يخفضونها للاذعان للهدى، وهذا تصوير لحالهم بأن أيديهم مغلولة عن فعل كل خير ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ وهذا تصوير أيضا لهم بأن من أمامهم ومن خلفهم حاجزاً عن الحق فلا يبصرونه ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ أي: غشيت أبصارهم عن رؤية الهدى والحق ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ أي: لا يرون إلا الضلال؛ بسبب ما انطبعت به قلوبهم من الشرك ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: طبع الضلال على قلوبهم فما يؤثر فيهم الإنذار كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]. ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[2].

﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ أي: لا ينتفع بذكرك يا محمد

(١) سورة يونس الآية ٩٦ .

(٢) سورة يونس الآية ٩٧ .

إلا المؤمن الذي استجاب لله ولك فصدق ما جئت به من البينات ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ أي: خاف الله بالغيب بسبب قوة إيمانه ﴿فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ﴾ أي: بشره بأن الله سوف يغفر ذنوبه ويؤتيه الأجر العظيم وهو الجنة ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ أي: نبعثهم للحساب والجزاء ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ﴾ أي: نحصي ما عملوه في الدنيا من خير وشر ﴿وَءَاثَٰرَهُمۡ﴾ أي: آثار الخير أو الشر التي بقيت بعدهم وكانوا اهم السبب لها ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ أي: إن كل شيء محصى ومعدود ومسجل في اللوح المحفوظ، فلا يفوت منه صغيرة ولا كبيرة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الذين انطبع في قلوبهم الشرك أو الكفر لا يهتدون فلا يحبون عمل الخير، بل هم مستكبرون عنه، فلا تنفع فيهم النذارة أو الموعظة فيتساوى إنذارهم وعدم إنذارهم. ومن الأحكام: أن المؤمن الذي يخشى الله بالغيب هو الذي تنفع فيه النذارة؛ لأنه خاف الله واتقاه بعد أن آمن به وبما جاءه به رسوله. ومنها: الحكم بأن الله يحيي الموتى ليوم لا ريب فيه هو يوم القيامة، ويكتب في اللوح المحفوظ ما قدموه وما بقي لهم من آثار كانوا هم السبب فيها، ومن ذلك: العلم والصدقة والولد الصالح. وفي ذلك قول رسول الله ﷺ: (**إذا مات الإنسان انقطع عمله**

إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)[١]. وقوله عليه الصلاة والسلام: **(من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيئا ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيئا)**[٢]. ومن الأحكام: تقرير حقيقة القضاء والقدر، وأن كل ماهو كائن مدون في اللوح المحفوظ.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم
مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ
إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا
عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟
لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن
ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم﴾ أي: اضرب يا محمد لقومك المشركين والمكذبين

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم (١٦٣١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٧ ص٤٤٥١ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، برقم (١٠١٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٧٤٨ .

لما جئت به ﴿مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ فإنهم مثلهم في الجحود والكفر ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ القرية: هي أنطاكية[1] والمرسلون: المراد بهم الذين أرسلهم عيسى إلى أهلها، فقد أرسل إليهم اثنين من رسله فتعرضوا لهما بالأذى والسجن ثم أرسل إليهم ثالثا يعززهم كما قال تعالى ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ أي: قال الرسل لأهل أنطاكية: إنا مرسلون إليكم ندعوكم إلى عبادة الله وطاعته والتبرئ من الشرك به، فإن في ذلك الخير لكم من الحال التي أنتم عليها فاجابوهم بقولهم ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ أي: ما أنتم برسل، بل أنتم مجرد بشر مثلنا ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ أي: لم ينزل عليكم شيء من الله، وإنما أنتم كذابون فيما تقولون فرد عليهم الرسل ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ أي: إن الله يعلم أنا مرسلون إليكم ندعوكم إلى عبادته ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: ليس علينا إلا أن نبين لكم الحق، فإن قبلتموه فقد نجوتم، وإن توليتم فإن الله سوف يتولى جزاءكم.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي: قال أهل أنطاكية للرسل: لقد

---

(١) مدينة تاريخية وكانت مركزاً تجارياً هاماً ومقراً لبطريركية وتقع على الضفة اليسرى من نهر العاصي على بعد ثلاثين كيلاً من شاطئ البحر الأبيض المتوسط. وقد فتحها العرب عام ٦٣٧م ثم خضعت للإمبراطورية البيزنطية ثم استولى عليها الصليبيون ثم المماليك المصريون ثم العثمانيون وقد انتقلت إلى سوريا عام ١٩٢٠م ثم أعطيت لتركيا عام ١٩٣٩م ضمن سنجق الأسكندرونة ولا تزال تتبع تركيا ويقطنها عرب وأتراك. الموسوعة العربية الميسرة ص٢٤٥ .

تشاءمنا بوجودكم بيننا فقد انحبس عنا المطر بسببكم ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: إذا لم تكفوا عن دعوتنا فسوف نرجمكم بالحجارة ونعاقبكم عقابا شديدا فرد عليهم الرسل ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ أي: أن شؤمكم راجع إليكم؛ بسبب ما أنتم عليه من الكفر، وقد انحبس المطر عنكم لهذا السبب ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ بما يجب عليكم من عبادة الله وحده تطيرتم ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ في مقالتكم لنا حين دعوناكم للحق.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ضرب الأمثال؛ لما فيها من العظة والعبرة للذين يضرب لهم المثل بمن سبقهم. ومن الأحكام: أن طبيعة الكفر لا تتغير بالزمان أو المكان، بل إن الكفار يتماثلون في كفرهم وعنادهم للحق وتكذيبهم لما جاءت به الرسل. ومنها: أن أهل الكفر حينما يفقدون الحجة يلجؤون إلى التهديد بالقوة، بل ويستعملونها ضد المؤمنين، وهذا واقع في كل زمان، فالمناوئون للإسلام اليوم يلجؤون إلى تهديد أهله، بل وغزوهم في ديارهم وتقتيلهم وتشريدهم ومضايقتهم في أي مكان يكونون فيه. ومنها: تحريم التشاؤم لقول رسول الله ﷺ: (**ليس منا من تطير أو تطير له**)[١]. وقوله عليه الصلاة والسلام: (**لا عدوى ولا طيرة وأحب**

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ج١٨ ص١٦٢، والمنذري في الترغيب والترهيب ج٤ ص٣٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٥ ص١١٧ .

الفأل الصالح)[١]. وقال في صفة المؤمنين الذين يدخلون الجنة بغير حساب: **(هم الذين لا يتطيرون ... وعلى ربهم يتوكلون)**[٢].

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ لما مكث الرسل الثلاثة بين أهل أنطاكية ذاع خبرهم فكثر أتباعهم فَهَمَّ رؤساء القرية بقتلهم، فجاء رجل مؤمن[٣] وكان في أقاصي المدينة فنادى في قومه ناصحا لهم أن يتبعوا المرسلين الثلاثة

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، برقم (٢٢٢٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٩ ص٥٩٦٦ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب من لم يرق، برقم (٥٧٥٢)، صحيح البخاري ج١٠ ص٢٢٤ .

(٣) قيل إن اسمه حبيب بن النجار تفسير مقاتل بن سليمان ج٣ ص٨٥، وتفسير ابن وهب ج٢ ص٢٠٧ .

قائلا ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا ﴾ أي: اتبعوا من لا يطلبون منكم مالا على دعوتهم لكم ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ أي: صالحون في أنفسهم ولما أنكر عليه أهل أنطاكية قوله قال لهم ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ أي: لماذا لا أعبد الله الذي خلقني ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ أي: هو المرجع لكم بعد موتكم ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ ثم قال لهم متسائلا ومتعجبا: هل أتخذ من دون الله آلهة لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل؟ ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ أي: إن يرد الرحمن أن يضرني فهذه الآلهة لا تفيدني بشيء، ولا تقدر على إنقاذي مما قد يحدث لي.

﴿ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ أي: إن أنا عبدت هذه الآلهة فإني ضال غير مهتد ثم قال لقومه ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴾ أي: آمنت بربكم الذي خلقكم ورزقكم ويملك نفعكم وضركم، فاسمعوا كلامي خيرا لكم مما أنتم فيه من الضلال. ولما ضاق قومه بدعوته ومناصرته للرسل وإفحامهم بالحجة قتلوه ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴾ أي: لما قيل له: ادخل الجنة بعد أن استشهد في سبيل الله تمنى أن قومه يعلمون ما غفر له ربه وجعله من المكرمين فيكون ذلك دافعا لهم للإيمان بالله وهو معنى قوله ﴿ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: فضل الدعوة إلى الله والاستشهاد في سبيلها كما قال عز وجل ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(١). ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾(٢).

وفيها: أن المؤمن عندما يرى بعد موته ثواب الله لأوليائه وما أعده لهم من الكرامة يتمنى أن خاصته وقومه، بل كل من في الدنيا يؤدي ما أمره الله به من الفرائض والواجبات حتى تحصل له المنزلة التي حصلت له بعد موته.

﴿ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: ما أنزلنا على أهل أنطاكية بعد قتلهم حبيب بن النجار جندا من السماء

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٩ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ١٧٠ .

لإهلاكهم إذ لم يكن ثمة حاجة لذلك ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ أي: ما كنا منزلين الملائكة لإهلاك المستوجبين للهلاك ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ أي: ما كان هلاك أهل أنطاكية يحتاج إلا صيحة واحدة من جبريل عليه السلام، فإذا هم هامدون، لا حراك فيهم.

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: ما أشد حسرة العباد يوم القيامة حين يرون العذاب فيتمنون أنهم لم يكذبوا رسلهم ولم يستهزؤوا بما جاؤوهم به من البينات وهل أشد حسرة على المرء من أن يشهد العذاب ويرى أنه لا مناص له منه ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: ألم يتعظ المكذبون لرسلهم المستهزئون بهم -ومنهم: كفار قريش- كيف أهلكت الأمم السابقة فتمنوا الرجوع إلى الدنيا؛ ليتوبوا فلم يكن لهم ذلك بل لم يكن لهم سوى الحساب والجزاء في الآخرة.

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ أي: إن كل الأمم السابقة واللاحقة ستحضر جميعها إلى الله يوم القيامة فيجازي كل منها بما عملت.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير قدرة الله في إهلاك المكذبين لرسلهم كما فعل بأهل أنطاكية ومن قبلهم من الأمم كقوم نوح، وهود، وثمود. وفيها:

أن العباد المكذبين لرسلهم يتحسرون على أنفسهم إذا رأوا العذاب يوم القيامة ويتمنون لو أنهم صدقوا رسلهم. وفيها: تحريم الاستهزاء بآيات الله ورسله كما قال عز وجل في حق المستهزئين برسول الله ﷺ وأصحابه ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾[1]. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾[2]. ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ﴾[3]. وفيها: وجوب الاعتبار بما حدث للأمم الهالكة حين عصت ربها.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

بيان الآيات:

بعد أن بين الله أن جميع الخلائق سيعودون إليه بعد قيام الساعة ذكر الأدلة على قدرته في بعثهم فقال ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ أي: من الأدلة

(١) سورة التوبة من الآية ٦٤ .

(٢) سورة التوبة الآية ٦٥ .

(٣) سورة التوبة من الآية ٦٦ .

على قدرته وعظمته في إحيائه الموتى ﴿ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ التي لا نبات ولا حياة فيها، فإذا أنزل الله عليها المطر أنبتت مختلف النبات فأصبحت حية تنبت الحبوب رزقا لهم، يأكلون منه هم وأنعامهم ولهذا قال تعالى ﴿أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ﴾ ثم قال ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ﴾ أي: وبقدرة الله أنزل المطر على الأرض الميتة فأصبحت جنات تضم النخيل والأعناب ﴿وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ﴾ أي: وفجرنا فيها عيون الماء لسقي هذه الجنات ﴿لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ أي: من ثمر النخيل والأعناب مما هو مشاهد ومحسوس ﴿وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ أي: لم يكن لهؤلاء المكذبين لرسول الله يد في صنعه لا بكدهم ولا بجهدهم، بل الله الذي صنعه وكونه ﴿أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾ أي: فهلا يشكرون الله على ما أنعم به عليهم ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: تقدس الله الذي خلق بعظمته وقدرته هذه الأنواع من النبات والثمار ﴿وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ فجعلهم ذكورا وإناثا ﴿وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: وخلق مخلوقات أخرى لا يعلمونها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير الأدلة العقلية والحكمية على قدرة الله وعظمته في إحياء الموتى وإحضارهم للحساب والجزاء. تقرير: قدرة الله وعظمته في جعل

المخلوقات أزواجا من ذكر وأنثى كما هو الحال في البشر والحيوانات والدواب وسائر النباتات والمخلوقات ما عرفنا منها وما غاب عنا معرفته في السموات والأرض وما بينهما.

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾
وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾
وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي
لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ ومن الآيات الدالة على عظمة الله وقدرته في بعث الأموات: نزع النهار من الليل فيذهب ضياء النهار ويقبل ظلام الليل ﴿ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾ أي: لا يرون إلا الظلام ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا ﴾ أي: تسير في فلكها فتطلع في مكان، وتغرب عن آخر حتى تنتهي الحياة الدنيا فتستقر في المكان الذي يقدره الله لها حينذاك ﴿ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ أي: هذا الذي يحدث لليل والنهار والشمس؛ إنما هو تقدير قدره الله بعزته وقوته وعلمه فلا أحد يقدر عليه إلا هو ﴿ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴾ أي: ومن آيات الله الدالة على

قدرته وعظمته: أن جعل القمر منازل ينزل فيها حسب تصريف الله له، ففي كل يوم له منزلة فيبدأ هلالا صغيرا ثم يكبر شيئا فشيئا حتى يكون بدرا متكاملا في ظهوره ثم يسير في فلكه إلى أن يضمحل فيكون في آخر الشهر كالعرجون القديم أي: كالعود الصغير من عذق النخلة ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ أي: إن للشمس فلكها وللقمر فلكه، فلا أحد منهما يدرك الآخر فيؤثر عليه إلا في النادر فيحصل حينئذ كسوف الشمس وخسوف القمر، وكل ذلك بحكمة الله وإرادته ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ أي: إن لكل منهما نظاماً محدداً قدره الله وأحكمه، فلا الليل يسبق النهار ولا النهار يسبق الليل ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أي: إن للشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة فلكاً يسبح كل منهم فيه فلا يتعارضون، بل يجري كل منهم حسبما قدره الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أحكام ومسائل الآيات:

توكيد قدرة الله وعظمته في تسيير الكون، وذلك بسلخ النهار من الليل فيتحول الكون السفلي إلى ظلام إلى أن يحين الوقت الذي ينسلخ فيه الليل من النهار فيعود الضياء إلى الكون فيكون ايذاناً للناس في العمل من أجل حياتهم. ومن الأحكام: توكيد قدرة الله في

جعل الشمس تجري للمستقر الذي حدده لها حيث تبدأ في مكان وتنتهي في آخر وتوكيد قدرة الله عز وجل في جعل القمر ينزل منازله كل يوم؛ ليعرف العباد حساب أيامهم وشهورهم وسنيهم. ومنها: توكيد قدرة الله في تسخير هذا الكون وجعل أفلاكه تسير وفق نظام دقيق ومحدد لا يتعارض ولا يتبدل بينه الله في كتابه عبرة لخلقه وتذكيرا وتوكيدا لهم أنه لا يقدر على ذلك وعلى إحياء الموتى إلا هو تقدست أسماؤه.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ أي: أن من آيات الله وعظمته وقدرته على البعث أن حمل ذرية آدم في الفلك المشحون، والمراد هنا: أنه تبارك وتعالى حمل قوم نوح المؤمنين في الفلك الذي أمره الله بصنعه، فحمل فيه الأزواج المختلفة ولما عبر به الطوفان نجى الله المؤمنين وأغرق الكافرين، فالمؤمنون الذين نجوا هم الآباء الذين نسل منهم البشر؛ لأنه لم يبق بعد آدم إلا قوم نوح، فأهلك الله الكافرين منهم، ونجى المؤمنين فقد يكون المراد بقوله

﴿ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ أي: آباءهم وإن كان معنى الذرية لا يطلق لغة على الآباء، إلا أنه اطلق هنا مجازا؛ لكونهم كلهم ذرية لآدم عليه السلام قوله ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ أي: وخلقنا للعباد ما يركبون في البحر مثل السفينة التي صنعها نوح أو ما يركبونه في البر وهي الإبل. ولأن الله خاطب الناس بما كان عندهم حين نزول القرآن، فإن ما سخره لهم من العلم في اختراع السفن الكبرى والطائرات وغير ذلك مما يمكن صنعه في المستقبل من وسائل النقل داخل تحت قدرته ومشيئته وإنعامه على عباده ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ ﴾ أي: إن نشأ نغرق الكافرين أثناء ركوبهم السفن ﴿ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ ﴾ أي: لا مغيث ولا معين لهم من الغرق ﴿ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴾ ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ أي: لا أحد يقدر على إغاثتهم وإنقاذهم إلا رحمة نرحمهم بها؛ لنمتعهم في الحياة الدنيا إلى أن يبلغوا آجالهم كما قال تعالى ﴿ وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير فضل الله ونعمته في إنجاء المؤمنين من قوم نوح؛ ليكونوا آباء البشر في الأرض؛ لأنه لو أغرق كل من في سفينة نوح لما بقي على الأرض أحد. وفيها: تقرير فضله أيضا على عباده أن خلق لهم من مثل سفينة نوح وهي السفن التي استمر صنعها ثم تطورت

صناعتها إلى سفن كبرى مشهودة في هذا الزمان إضافة إلى تطور وسائل النقل الأخرى من طائرات وقطارات وسيارات كل ذلك بفضل ما فتحه الله على عباده من العلم كما قال الملائكة لربهم ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[1].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٦) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٧)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: إذا قيل للمكذبين بالرسول المستهزئين به: اتقوا ما بين أيديكم من الذنوب وما سوف يصيبكم؛ بسببها من العذاب في الدنيا، لعل الله أن يرحمكم تولوا وأعرضوا عن سماع ما يقال لهم من الحق. ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: ما من آية تدلهم على توحيد الله وعلى صدق رسالة رسوله ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ أي: أعرضوا عنها مكذبين ومنكرين لها ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾

(١) سورة البقرة الآية ٣٢ .

أي: إذا أمروا بالإنفاق في سبيل الله كأداء الزكاة والصدقة على الفقراء والمساكين ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أي: قالوا للمؤمنين الذين يأمرونهم بالإنفاق ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ أي: كيف نطعم هؤلاء الذين تأمروننا أن نطعمهم فلو أراد الله أغناهم وأذهب عنهم الفقر ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: فيما تأمروننا به.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عناد المشركين حين دعوتهم لتوحيد الله وتصديق رسالته وأنهم يعرضون عن سماع الآيات التي تبين لهم الحجج والبراهين على قدرة الله وصدق رسوله. تقرير: أنهم يستهزئون بالفقراء إذا قيل لهم أعطوهم من مال الله الذي آتاكم، ومثالهم في ذلك: أبو جهل فقد كان أبو بكر رضي الله عنه ينفق على المساكين من المسلمين فقال له أبو جهل: أتزعم أن الله قادر على إطعامهم؟ فقال أبو بكر: نعم، فقال: ما باله لا يطعمهم ثم تطعمهم أنت؟ فنزل قول الله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية [١].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٥ ص٣٧ .

إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ
ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا
وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أي: يقول المشركون للمؤمنين على سبيل الاستهزاء والتكذيب: متى هذا الوعد الذي واعدتمونا به إن كنتم صادقين في قولكم ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ أي: ما ينتظرون إلا النفخة التي ينفخها إسرافيل في الصور فتأخذهم وهم يختصمون في معاملاتهم وفي أسواقهم ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾ أي: لا أحد منهم يقدر أن يوصي ولده أو والده؛ لأن الأمر أعظم مما يتصورون ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي: لن يكون لهم وقت يرجعون فيه إلى مساكنهم، وإنما يموتون في أماكن وجودهم.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ﴾ أي: نفخ إسرافيل في الصور نفخة البعث ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ أي: حينما يسمعون النفخة يخرجون من قبورهم ينسلون أي: مسرعين في مشيهم ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ وعندئذ يقول الكفار لما يرونه من هول

ذلك اليوم: من بعثنا من مرقدنا ؟ ومرادهم قبورهم التي كانوا يزعمون عدم بعثهم منها فتقول لهم الملائكة ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أي: هذا اليوم الذي وعد الله به عباده وقد صدق في وعده وصدق المرسلون فيما بلغوا به عن ربهم.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾

أي: ماهي إلا صيحة يصيحها إسرافيل، فتجتمع الخلائق كلها عند الله كما قال تعالى ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]. ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ أي: في هذا اليوم العظيم الذي تجتمع فيه الخلائق ينصب الميزان فلا تظلم نفس حسنة عملتها، ولا تزاد على سيئة فعلتها بل هو الحق والعدل ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: أن جزاءكم مبني على عملكم، فما عملتم من خير أو شر وجدتموه في صحائف أعمالكم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: البيان أن الكفار يستبعدون قيام الساعة وينكرون البعث كما قال تعالى ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾[2]. وفيها: الحكم

(١) سورة الإسراء الآية ٥٢ .

(٢) سورة الشورى من الآية ١٨ .

أن الساعة تأتي بغتة كما قال تعالى ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[١]. وفيها: أن الكفار يفزعون عند النفخ في الصور، ويتمنون بقاءهم في قبورهم رغم عذابهم فيها، ولكنهم يرونه أخف عليهم من العذاب الذي يساقون إليه بعد النفخ في الصور. وفيها: الحكم بأن الله يعدل بين الخلائق حين يقفون بين يديه فلا يظلم أحدا فيبخس حسنة عملها ولا يحمله سيئة لم يعملها كما قال تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[٢].

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ في هذا اليوم الذي يكون فيه الحساب والجزاء، ويلاقي فيه الكافرون العذاب ينشغل أصحاب الجنة بما فيها من النعيم المقيم ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ﴾

---

(١) سورة النحل من الآية ٧٧ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .

أي: ظلال الأشجار الوارفة ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ أي: على السرر جالسون في سرور ونعيم ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ أي: لهم في الجنة جميع أصناف الفاكهة ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ أي: ويحقق لهم جميع ما يطلبونه من المآكل والمشارب وغيرها ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ أي: بينما هم في الجنة يشرف عليهم الله جل جلاله من فوقهم ويسلم عليهم فيبتهجون بالنظر إلى وجهه الكريم، فلا يجدون لذة أعظم من لذة النظر إليه جل جلاله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ما يتمتع به أهل الجنة من النعيم المقيم هم، وأزواجهم وذرياتهم. تقرير: أن الله يشرف على أهل الجنة ويسلم عليهم فلا يجدون لذة أعظم من لذة النظر إلى وجهه الكريم.

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ (٥٩) ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ (٦٢)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: في هذا اليوم العظيم يوم

الحساب والجزاء يُقال: تميزوا أيها المجرمون عن المؤمنين فسبيلكم النار وسبيلهم الجنة ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ هذا توبيخ من الله للكافرين والمراد: ألم أنهكم عن عبادة الشيطان وطاعته لأنه عدو لكم بيّن العداوة ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ أي: أمرتكم أن تعبدوني وبينت لكم عن طريق رسلي أن عبادتكم لي هي الصراط المستقيم ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ أي: ورغم أمري لكم بعدم عبادة الشيطان فقد اتبعه خلق كثير فأضلهم عن الحق ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ أي: أليس لكم عقل تعقلون به، وتعرفون أن الشيطان إنما يريد لكم العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن المجرمين يتميزون يوم القيامة عن المؤمنين بعد الحساب فيذهب المجرمون إلى العذاب، ويذهب المؤمنون إلى الجنة كما قال تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾(١). ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾(٢). ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا

(١) سورة الروم الآية ١٤.

(٢) سورة الروم الآية ١٥.

وَلِقَآيِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾(١). وفيها: تقرير عداوة الشيطان للإنسان كما قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(٢). وفيها: أن عبادة الله هي الصراط المستقيم وأن الشيطان قد أضل خلقا كثيرا بسبب بعدهم عن هذا الصراط.

﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ حينما يتميز المجرمون يوم القيامة ويعزلون عن المؤمنين تقول الملائكة توبيخا لهم: هذه نار جهنم التي كنتم تكذبون بها ﴿ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ أي: لاقوا اليوم عذابها، جزاء كفركم وتكذيبكم لما جاءكم من البينات

---

(١) سورة الروم الآية ١٦ .

(٢) سورة فاطر الآية ٦ .

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ هذه حال الكفار يوم القيامة حين يجحدون أعمالهم في الدنيا ويقولون: يا ربنا ما عملنا هذا وما ارتكبنا هذا، فيختم الله على أفواههم وتنطق جوارحهم عليهم كما قال تعالى ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1]. ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ أي: أعمينا هؤلاء المشركين ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ أي: لو شئنا لأعميناهم فابتدروا الطريق فكيف يبصرون وهم عمي ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾ أي: لو نشاء لغيّرنا خلقهم فأصبحوا قردة أو خنازير أو خلقا آخر غير خلقهم ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي: لا يستطيعون أن يتقدموا أمامهم أو يرجعوا خلفهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن جوارح المجرمين تشهد عليهم يوم القيامة حين ينكرون أعمالهم في الدنيا كما قال تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2]. ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ

(١) سورة النور الآية ٢٤ .
(٢) سورة فصلت الآية ٢٠ .

كُلَّ شَيْءٍ ﴾[١]. وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال عليه الصلاة والسلام: (**هل تدرون مم أضحك؟**) قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: (**من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم ؟ قال يقول: بلى، فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني قال فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهودا قال: فيختم على فيه. فيقال لأركانه: انطقي قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بعداً لكنَّ وسحقا فعَنْكُنَّ كنت أناضل**)[٢].

وفيها: تحذير المشركين والكفرة من تعجيل العقوبة لهم في الدنيا كالطمس على أعينهم وتغيير خلقهم بمسخهم.

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ أي: من يطول عمره يرد إلى الضعف في قواه البدنية والعقلية ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ أفلا يدرك

---

(١) سورة فصلت الآية ٢١ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، برقم (٢٩٦٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٧٢٣٩ .

هؤلاء المشركون هذه الحقيقة ويتفكرون في أنفسهم وآبائهم كيف يبدأ خلقهم ويتدرجون من مرحلة إلى أخرى حتى ينتهوا ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ لما قال المشركون إن القرآن شعر، رَدَّ الله عليهم مقولتهم وكذبهم فقال: إن الرسول لم يتعلم الشعر ولم نعلِّمْه إياه ولا ينبغي له أن يتعلمه ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾ أي: هذا الذي يتلوه عليكم ذكر يعظكم به إن كنتم تحبون الموعظة وهو قرآن مبين أي: قرآن منزل من عندنا يبين الحق لمن يريد اتباعه ويزيل الغشاوة عن أعين الذين يريدون أن يبصروا الحق ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا﴾ أي: ينذر هذا القرآن كل من يريد سعادة في الحياة الدنيا والآخرة ﴿وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: ويحق بالعذاب على الذين يكفرون به ويجحدونه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن القرآن كلام الله المنزل على نبيه ورسوله محمد ﷺ من اللوح المحفوظ وفي هذا إبطال وتكذيب لادعاء مشركي قريش أنه شعر، وهذا يقتضي تكذيب وإبطال دعوى أيِّ مدع يتهم القرآن كحال الذين سلموا عقولهم لأعداء الإسلام فصاروا يطعنون في القرآن كذبا وزورا وجهلا وفيها: أن القرآن ذكر جعله الله موعظة للذين يريدون اتباع الحق. وفيها: أن القرآن إنذار لإحياء القلوب،

فمن آمن به فقد نجا ومن كفر به حق عليه العذاب كما قال عز وجل ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾(١).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَـٰرِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ أي: ألم ير هؤلاء المشركون المكذبون لرسول الله أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما يتصرفون فيها فتنقاد لهم بسهولة، رغم قوتها كحال الإبل ﴿فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾ أي: يفعلون بها كيف شاؤوا ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ﴾ أي: سخرناها لهم ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ أي: وبسبب هذا التسخير يركبونها لتنقلهم من مكان إلى آخر ويذبحونها طعاما لهم ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَـٰرِبُ ۖ﴾ فمن المنافع: الصوف والوبر ومن المشارب: الألبان ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: أفلا يشكر هؤلاء المشركون

(١) سورة هود من الآية ١٧ .

هذه النعم ويعبدون الذي جعلها لهم وتكون لهم عقول يدركون بها أن أصنامهم وأوثانهم لا تغنيهم شيئا.

﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ لما ذكر الله تعالى ما أنعم به على المشركين من النعم الكثيرة ذكر أنهم اتخذوا آلهة يعبدونها من دونه زعما وجهلا أنها تنصرهم وتشفع لهم يوم القيامة، فبيّن الله أنها لا تستطيع نصرهم بأي حال، وأن هذه الأصنام تحضر معهم يوم الحساب فيتبرأ كل منهم من صاحبه وهو معنى قوله ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والمعنى لا تحزن مما يقوله هؤلاء المكذبون لك ﴿ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ أي: نعلم كل ما يقولونه في سرهم وعلانيتهم وسنجزيهم على ذلك ما يستحقونه من العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير نعم الله على عباده بما هيأه لهم من الأنعام، وسخرها لهم رغم قوتها كالإبل، وقد ذكر الله الإبل؛ لأنها العلامة والآية التي يعرفونها في ذلك الوقت، وقد استمرت نعم الله وفواضله على عباده حسب تدرج زمانهم فسخر لهم العلم فصارت لهم هذه الوسائل الكبرى في النقل وغيره وفيها: تقرير غباء المشركين

وسفاهتهم في مقابلتهم نعم الله عليهم بعبادة الأصنام والأوثان. وفيها: الحكم بأن هذه الأصنام لن تنفعهم وسيحضرون معهم يوم القيامة؛ لكي يتبرأ كل منهم من الآخر. وفيها: تسلية رسول الله ﷺ بألا يحزن على تكذيب قومه له وطمأنته أن الله يعلم إسرارهم وما يعلنون، وسوف يجازيهم بالعذاب إذا لم يتوبوا.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ
(٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ
(٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩)
الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ
(٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ
مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن
يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)﴾.

بيان الآيات:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ﴾ كلام الله عز وجل لا يزال مستمرا في تقرير البعث والجزاء وهو الذي جحده المشركون، فقد جاء العاصي بن وائل السهمي وقيل: أبيُّ بن خلف إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم

ففَتَّه وذراه في الهواء وهو يقول: أتزعم يا محمد أن الله يبعث هذا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (**نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يحشرك إلى النار**)[1]. فنزلت هذه الآية والمراد ألم ير الإنسان والمراد به الإنسان في عمومه؛ لأنه اسم للجنس ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: من ماء مهين، ثم صورناه بشرا متكاملا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ أي: يخاصم ويعاند ويشرك معنا في العبادة ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ أي: ضرب لنا هذا المنكر والجاحد للبعث مثلا والمراد به العظم الذي فته المشرك أمام رسول الله ﷺ ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ أي: نسي أن الله خلقه وكونه رجلا سويا ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: تساءل مستبعدا قدرة الله وعظمته في إحياء الموتى ونسي قدرته في خلق الخلق من العدم إلى الوجود ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: قل يا محمد لهذا المستبعد إحياء الموتى: إن الذي أنشأها أصلا من العدم إلى الوجود هو القادر على إحيائها ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أي: عليم بكل مخلوق خلقه فكما قدر على خلقه وقدر على موته قادر حكما وعقلا على إحيائه.

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٨٢، وتفسير البغوي ص١٠٩٥، وزاد المسير لابن الجوزي ص١١٨٠.

تُوقِدُونَ ﴾ أي: إن الذي أنتج الشجر من الماء وأنتج النار من الشجر هو القادر على إحياء الموتى أو يكون المعنى أن الذي خلق الشجر من الماء حتى صار خضِرا ثم أعاده يابسا توقد منه النار قادر على إحياء الموتى بعد موتهم.

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ ﴾ هذا استفهام تقريري والمراد أن الذي خلق السموات السبع والأرضين السبع وما فيهما من المخلوقات التي لا يستطيع العقل إدراك أسرارها وعظمتها قادر على أن يخلق أقل منها؛ إذ إن خلق الإنسان وموته وبعثه من جديد لا يقارن بخلق السموات والأرض ﴿بَلَىٰ ﴾ هذا جواب الاستفهام أنه قادر على خلق ما أراد وعلى بعث الأموات ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ أي: الخالق لكل ما يريد خلقه ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ أي: إذا أراد كينونة أي شيء من المخلوقات فهذا لا يحتاج إلا أن يقول له كن فيكون على الفور فتبارك وتعالى وتقدست اسماوه وصفاته.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ أي: تنزه وتقدس فهو المالك لكل شيء في الكون العلوي والسفلي وكل ما في الوجود ما علمه الإنسان وما لم يعلم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: إليه المرجع والمعاد.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: ذكر الله عددا من البراهين الدالة على عظمته وقدرته في إحياء الموتى؛ وذلك تكذيبا للمشركين وغيرهم من منكري البعث. ومن هذه الأدلة: إنشاؤه الخلق أول مرة حيث أخرج الخلق من العدم إلى الوجود. ومنها: إخراج النار من الشجر الأخضر الناتج من الماء رغم وجود التضاد بين الماء والنار. ومنها: خلقه للسموات والأرض وهذا أكبر من خلق الناس كما قال عز وجل ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾[1]. وقوله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

ومنها: أنه يقول لشيء كن فيكون، فهذه البراهين الأربعة التي بسطها الله لمنكري البعث ليست براهين حكمية فحسب، بل براهين عقلية للذين لهم عقول يدركون بها إثبات القدرة لله في كل شيء وتنزيهه عن النقص. وفيها: الحكم بأن كل شيء في الوجود واقع بيد الله وتحت مشيئته وتصرفه فتبارك الله رب العالمين.

---

(١) سورة غافر من الآية ٥٧ .

(٢) سورة الأحقاف الآية ٣٣ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الصافات

مكية وآياتها مائة واثنتان وثمانون آية

﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ هم الملائكة يصفون في الصلاة خاشعين لله رب العالمين ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ هم الملائكة يزجرون السحاب ويفرقونه حيث ما أمرهم الله به ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ أي: الملائكة يذكرون الله ويتلون كتابه، وقد أقسم الله بالملائكة على ألوهيته في قوله عز وجل ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ وما كان قسمه بهم إلا لأنهم في طاعته يؤلِّهونه وحده ويطيعونه وحده ولا يعصونه في أمره كما قال عز وجل ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(١). ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ رب السموات والأرض الذي لا رب غيره ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: من المخلوقات فيهما ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ أي: هو المالك للمشارق والمغارب ورب كل شيء ومليكه.

---

(١) سورة التحريم من الآية ٦ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير قسم الله تعالى بالملائكة بيانا لفضلهم، وأنهم يصفون للصلاة على النحو الذي يرضون به ربهم. وفي هذا: قال رسول الله ﷺ لأصحابه فيما رواه جابر بن سمرة: (**ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟**) قلنا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال ﷺ: (**يُتمّون الصفوف الأول ويتراصون في الصف**)[1]. وفي هذه الآيات: الحكم بتوحيد الألوهية وهو أنه لا إلَه إلا الله.

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾ هذا بيان من الله عن عظيم قدرته في تزيين السماء القريبة من الأرض بزينة الكواكب التي تضيء، ويراها أهل الأرض مشرقة فينتفعون بضيائها ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ أي: حفظها الله من كل شيطان متمرد، فإذا أرادت الشياطين استراق السمع اتبعهم شهاب فيحرقهم بحيث ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة، برقم (٤٣٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٢ ص١٦١٨ .

﴿ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ أي: يتبعهم الشهاب حتى لا يستمعوا إلى الملائكة فينقلوا أخبار السماء إلى الشياطين من الكهنة وغيرهم ﴿وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ﴾ أي: يرمون من كل جهات السماء إذا حاولوا الاقتراب منها ﴿دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ﴾ أي: لهؤلاء المردة من الشياطين عذاب أليم لا يتوقف ﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ﴾ المراد به من اختلس الكلمة من السماء بسرعة فيتبعه شهاب محرق فيقتله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الكواكب زينة في السماء لأهل الأرض كما قال تعالى ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾(١).

وهي في الوقت ذاته حافظة للسماء من مردة الشياطين كما قال تعالى ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾(٢). وهذا يقتضي أن الشياطين قد طردوا من السماء، فلم يبق لهم مجال للكذب والتلبيس على الناس. وفي أثر ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان للشياطين مقاعد في السماء، فكانوا يستمعون الوحي وكانت النجوم لا تجري وكانت الشياطين لا ترمى، قال: فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض فزادوا في الكلمة تسعا فلما بعث رسول الله ﷺ جعل الشيطان إذا

---

(١) سورة الحجر الآية ١٦ .

(٢) سورة الملك الآية ٥ .

قعد مقعده جاءه شهاب فلم يخطه حتى يحرقه قال: فشكوا ذلك إلى إبليس -لعنه الله- فقال: ما هو إلا لأمر قد حدث فبعث جنوده فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي بين جبلي نخلة -يعني بطن نخلة- قال: فرجعوا إلى إبليس فأخبروه قال: فقال: هذا الذي حدث(١).

﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴿١١﴾ بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآ ﴾ لا يزال كلام الله عز وجل مستمرًا في تقرير البعث فيأمر نبيه ورسوله محمدا ﷺ أن يسأل المنكرين للبعث هل خلقهم ومماتهم وإحياؤهم أشد من خلق الله للسموات والأرض ومن فيهن؟ والجواب أنهم سيقرون أن هذه المخلوقات أشد منهم إذن فكيف ينكرون البعث؟ ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴾ أي: خلقناهم من طين يلصق بعضه ببعض ﴿ بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ﴾ أي: عجبت يا محمد من تكذيبهم للبعث وهم

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٢ ص٣٦ .

يسخرون من إيمانك به ﴿ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴾ أي: إذا ذكروا بالآيات التي تدل على البعث لا يذكرون، لأن الشرك طبع على قلوبهم فاصبحوا لا يفكرون ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ أي: إذا رأوا علامة تدل على البعث استهزؤوا منها ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: هذا الذي جئت به يا محمد سحر مبين.

﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ أي: يتعجبون من حياتهم بعد أن تحولوا إلى تراب وعظام ﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ وكذلك آباؤنا وأجدادنا هل يعودون إلى الحياة بعد موتهم يقولون ذلك استبعادا للبعث وتكذيبا به ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ أي: قل لهم يا محمد جوابا على استهزائهم: نعم سوف تبعثون وأنتم اذلاء صاغرون ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾ أي: ما هي إلا صيحة إسرافيل في الصور فإذا هم قيام بين يدي الله ينظرون أهوال العذاب يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب سؤال المنكر للحقيقة بقصد تحديه وإظهار عجزه. وفيها: تقرير عن أصل الإنسان، وأنه من الطين اللاصق كما قال عز وجل ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾[١]. وفيها: تقرير أن من طبع الكفر على قلبه ينكر ما يراه من الآيات البينات فيرى الحق

(١) سورة غافر من الآية ٦٧ .

باطلا والباطل حقا كما قال تعالى ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(١). وفيها: تقرير بداية البعث وهو أمر الله لإسرافيل بالنفخ في الصور.

﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ حينما يشاهد الكفرة المنكرون للبعث أهوال يوم القيامة يلومون أنفسهم ويتحسرون بسبب سوء أفعالهم فتقول لهم الملائكة على وجه التقريع ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: هذا اليوم الذي كنتم تنكرونه وتستهزئون به ثم يقول الله للملائكة ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ أي: احشروا هؤلاء الظلمة وأزواجهم أي: قرناءهم في الإجرام، فيحشر المشركون المنكرون للبعث مع بعضهم ويحشر

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٥ .

معهم أصنامهم ويحشر المرابون مع بعض ويحشر كل مجرم مع مثيله ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: من الأصنام والأوثان ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: أرشدوهم إلى مأواهم ومقرهم النار ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ أي: يوقفون على أبواب جهنم ويسألون ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ أي: لماذا لا ينصر بعضكم بعضا الآن كما كنتم في الدنيا تتناصرون على الباطل ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ أي: ذليلون منقادون لا يجدون وليا يواليهم ولا ناصراً ينصرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن المنكرين للبعث يلومون أنفسهم ويتحسرون عليها عندما يشاهدون أهوال القيامة ويتمنون لو أنهم يردون إلى الدنيا ليعملوا عملاً صالحا للآخرة كما قال عزوجل ﴿فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[2]. ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[3].

وفيها: أن الظالمين يحشرون مع بعض يوم القيامة، فيحشر المشركون مع أصنامهم وأوثانهم، ويحشر كل مجرم مع مثيله، ثم يسألون قبل

(١) سورة الأنعام من الآية ٢٧ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٢٨ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٢٩ .

دخولهم العذاب عن عدم تناصرهم في هذا اليوم كما كانوا يتناصرون على الباطل في الدنيا.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ بيّن الله تعالى أن الكفار يتلاومون يوم القيامة، فيلوم التابعون المتبوعين على إضلالهم لهم ويتبرأ المتبوعون منهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي: يقول التابعون للمتبوعين إنكم كنتم تضلوننا بقدرتكم علينا وضعفنا أمامكم فيرد عليهم المتبوعون ﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: ما كنتم مؤمنين بالله أصلاً فجعلناكم تكفرون به ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ﴾ أي: ما كان لنا من حجة نقنعكم بها وكانت تبعتكم لنا عن رغبة وإرادة

منكم ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ أي: كنتم في أنفسكم طاغين فاتبعتمونا ولم تتبعوا الرسول الذي جاءكم بالحق ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ أي: يقول المتبوعون: لقد حق علينا عذاب ربنا ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ أي: سوف نذوق العذاب نحن وأنتم أي التابعون ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ أي: يقول المتبوعون من المجرمين لتابعيهم لقد أغويناكم عن الهدى ودعوناكم للضلالة فاستجبتم لنا ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾ أي: ضالين عن الهدى، فلهذا قال الله فيهم ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: إن التابعين والمتبوعين مشتركون في العذاب كل حسب خطيئته ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: هذا هو الجزاء للمجرمين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: إن هؤلاء المجرمين إذا قيل لهم في الدنيا: قولوا لا إلَه إلا الله استكبروا عنها ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ أي: هل نترك آلهتنا بسبب قول هذا الشاعر المجنون ويعنون به رسول الله ﷺ ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ﴾ وفي هذا بيان من الله وردّ عليهم أن رسول الله ﷺ إنما جاء بالحق من عند الله ﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: صدق من قبله من المرسلين الذين أرسلهم الله إلى الخلق يدعونهم لتوحيده وطاعته فهو كما صدقهم فقد صدقوه من قبل.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير تخاصم المتبوعين والتابعين يوم القيامة ومحاولة إلقاء كل

منهم المسؤولية على الآخر حين يشاهدون العذاب. ومن الأحكام: أن أهل الضلال يشتركون في العذاب يوم القيامة سواء كانوا متبوعين أو تابعين. ومنها: عظم شهادة لا إله إلا الله وأن من استكبر عنها قولا وعملا يلاقي أشد العذاب يوم القيامة. ومنها: الحكم بنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ وأنه صادق فيما قاله عن الرسل قبله وما قالوه عنه.

﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴾ المراد بهم: المجرمون المنكرون للبعث ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: يكون جزاؤهم حسب عملهم فلا يظلمون صغيرة ولا كبيرة، فالسيئة بمثلها كما قال تعالى ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[1]. وقد استثنى الله عباده المخلصين الذين عبدوه وأخلصوا له العبادة فقال ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾ أي: رزق

---

(١) سورة الأنعام من الآية ١٦٠ .

يرزقون منه في الجنة وهو ﴿فَوَٰكِهُ﴾ مختلفة الأنواع والأصناف ﴿وَهُم مُّكۡرَمُونَ﴾ أي: ضمنت لهم الكرامة الأبدية ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ لا ينظر بعضهم إلى خلف الآخر ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ﴾ أي: من خمر تجري بها الأنهار ﴿بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ أي: فيها لذة لهم ﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ﴾ أي: ليس فيها ضرر لهم ولا يسكرون منها كحال خمر الدنيا التي تذهب عقل شاربها ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ أي: لهم في الجنة زوجات يقصرن أطرافهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم ﴿عِينٞ﴾ أي: واسعات الأعين وحسانها وهذا دليل على جمالهن ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ﴾ هذا وصف لهن بالبياض مثل بياض البيض المكنون أي: المستور بالقشرة التي تمنع عنه الأذى.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الجزاء حسب العمل، فلا يظلم الله أحدا بما لم يعمل، فمن عمل حسنة فله عشر أمثالها، ومن عمل سيئة فجزاؤه بمثلها لا ينقص من أحد حسنة، ولا يزاد عليه سيئة. وفيها: أن الله استثنى عباده المخلصين، فخصهم بالكرامة الأبدية وهي الجنة وبيَّن استحقاقهم فيها من المطاعم والمشارب واللذات التي تختلف في طعمها ومذاقها عن ملذات الدنيا.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ لما بين الله تعالى ما لأهل الجنة من المطاعم والمشارب، أخبر أن بعضهم يسأل البعض عن أحوالهم في الدنيا وما واجههم فيها من المصاعب والمكاره ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ أي: قال أحد المتحدثين إنه كان له صاحب ينكر البعث ﴿يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ أي: يقول له هذا الصاحب على وجه الإنكار: هل أنت مصدق بالبعث؟ ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ هل إذا متنا وتحولنا إلى تراب وعظام هل نكون مدينين أي: محاسبين ؟

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ أي: يقول المتحدث لأصحابه في الجنة: هل تطلعون على أحوال أهل النار لأرى صاحبي في الدنيا ويوحي السياق أنهم لم يرغبوا في ذلك ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ أي:

رأى صاحبه في وسطها ﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴾ أي: قال المؤمن للذي في النار: والله إنك كدت لتهلكني لو أطعتك فيما كنت تأمرني به ﴿ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴾ أي: لولا رحمة الله وفضله علي لكنت مثلك في هذا العذاب ﴿ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ﴾ هذا كلام المؤمن وهو استفهام تقريري والمعنى لسنا بميتين ﴿ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ ﴾ أي: لن نموت، إلا الموتة الأولى التي كانت في الدنيا أما في الجنة فنحن فيها مخلدون ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ أي: لن نعذب أبدا؛ لأن الجنة دار نعيم ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ أي: إن النجاة من النار والفوز بالجنة هو الفوز الذي ليس بعده فوز إلا رؤية وجه الله الكريم ثم قال تعالى ﴿ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴾ أي: لمثل هذا الفوز بالجنة يعمل المؤمنون العابدون لربهم المخلصون في عبادته.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن أهل الجنة يتحدثون بينهم كما كانوا يتحدثون في الدنيا، مع الاختلاف في نوع الحديث وكيفيته. وفيها: خطورة مصاحبة قرناء السوء وكونهم يؤثرون على قرنائهم إلا من عصمه الله وأنعم عليه فنجي منهم. وفيها: بيان أن المنكرين للبعث كانوا يستهزئون بالمصدقين به. وفيها: الحكم بأنه لا موت لأهل الجنة إلا موتتهم الأولى في الدنيا.

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ
﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ
ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟
ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ
أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴾ لما ذكر الله تعالى حال أهل الجنة وما يكونون فيه من النعيم قال: أهذا النزل الذي أعد لأهل الجنة خير أم شجرة الزقوم التي في جهنم ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: فتنة لكفار قريش الذين قالوا: كيف تكون هذه الشجرة في النار والنار تأكل الشجر؟ ففتنهم الله؛ لكي يصدقوا أو يكذبوا بها فكذبوها وأنكروها بل إن أبا جهل قال: المراد بها التمر والزبد[1] ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ أي: تنبت من قعر النار ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ أي: يشبه ثمرها رؤوس الشياطين والمراد: مشابهة منظره بمنظر الشياطين الذين هم

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص٨٥.

عنوان للقبح وسوء المنظر ﴿ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴾ أي: أن أصحاب النار يأكلون من هذه الشجرة رغم سوء طعمها وبشاعتها ولكنهم يضطرون إليها لأنه ليس لهم سواها ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ أي: إنهم حينما يأكلون من ثمر هذه الشجرة يعطشون فيطلبون الماء، فيسقون ماء حميما يزيدهم عذابا على عذابهم ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾ أي: يعادون إلى مقرهم الجحيم بعدما يطعمون من شجرة الزقوم ويسقون من الماء الحميم ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴾ أي: حق عليهم الجزاء باتباع آبائهم الضالين ﴿ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ أي: يسرعون في اتباعهم.

﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ المراد أن كفار قريش ليسوا هم الذين ضلوا وحدهم بل سبقتهم أمم أخرى في الضلال ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴾ أي: أرسلنا إليهم رسلا يدعونهم إلى الهدى وينذرونهم عن الضلال، فمنهم من آمن وعمل صالحا فكتب الله له النجاة ومنهم من عصى وتمرد وكذب بآيات الله ورسله فعاقبه الله بأنواع العذاب كالغرق والرجفة والصيحة ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ أي: انظر يا محمد كيف كان عاقبة المكذبين لرسلهم وما نزل بهم من الهلاك ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ أي: استثنى الله من الهلاك والعذاب عباده

الذين أخلصوا في طاعته واتبعوا ما جاءتهم به رسله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله يمتحن عباده ويفتنهم لينظر كيف يعملون، فمنهم: من يعتبر ويتذكر ويرجع إلى الله ويتوب إليه فينجيه من هذه الفتنة، ومنهم من لا يتوب ولا يتذكر فيأخذه العذاب على حين غرة. وفيها: التنديد باتباع الآباء أو الأصحاب الضالين أو اقتفاء آثارهم. وفيها: أن الشرك والكفر قد جرى في الأمم السابقة للعرب وقد أهلكهم الله لما كذبوا رسلهم، واستثنى منهم العباد الصالحين الذين آمنوا بالله وصدقوا رسلهم واتبعوهم.

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴾ لما بيَّن تعالى أن كثيرا من الأمم ضلت فأهلكها ونجى المؤمنين منها ذكر قصة نوح عليه السلام بأنه مكث في قومه تسعمائة وخمسين سنة يدعوهم إلى الله فكذبوه وآذوه وعصوه فيما جاءهم به، فلما يئس منهم دعا ربه

قائلا ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾[١]. وقد استجاب الله لندائه وهو نعم المجيب والناصر لأوليائه ورسله ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ أي: نجيناه وأهله من الغرق باستثناء امرأته وولده فقد كانا على غير ملته ﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ﴾ أي: أن البشر كلهم من ذريته بعد آدم وهم سام وحام ويافث ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ أي: أتبعنا له ذكرا حسنا في العالمين كما قال عز وجل ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ أي: هكذا نجزي من أطاع الله ووحده ونجعل له أثرا وثناء حسنا يذكر به في العالمين ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ هذا ثناء من الله على نبيه نوح بأنه من العباد المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ أي: بالغرق في الطوفان؛ جزاء إشراكهم مع الله وجحودهم وتكذيبهم لما جاءهم به نبيهم نوح من البينات.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله يجيب دعوة عباده المؤمنين لقوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾[٢]. وقوله عز وجل ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[٣].

---

(١) سورة المؤمنون من الآية ٢٦ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٨٦ .

(٣) سورة غافر من الآية ٦٠ .

وفيها: أن الله ينجي المؤمنين من الكوارث ويجازي المحسنين بالإحسان؛ لقاء إحسانهم ويجازي الكافرين بالعذاب لقاء كفرهم. وفيها: أن الله يثني على عباده المؤمنين في الملأ الأعلى كما أثنى على نبيه نوح.

﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ
﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ
تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ
أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾
فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا
تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا
فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ لما ذكر الله قصة نوح مع قومه وما حدث لهم من الهلاك؛ بسبب شركهم ذكر قصة إبراهيم مع قومه المشركين يذكِّر الله فيها كفار قريش أن مآل المشركين الهلاك إن لم يتوبوا فقال: إن إبراهيم من أتباع نوح ومن أهل ملته ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي: مفعم بالإيمان وعبادة الله وحده والبراءة من الشرك

به ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ أي: استفسر من أبيه وقومه منكرا عليهم عبادة الأصنام من دون الله مبينا لهم أنهم على ضلال وداعيا لهم إلى نبذ آلهتهم التي يدعونها من دون الله ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ أكذبا وزورا تريدون آلهة تعبدونها من دون الله مع أنكم تعرفون أنها لا تنفعكم ولا ترد عنكم ضرا ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: ماذا تظنون بربكم رب العالمين ألا تخشون أن ينزل عليكم عذابا من فوقكم ومن تحتكم فيهلككم.

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴾ ﴿ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ يدل السياق على أن إبراهيم عليه السلام كان يفكر في الوقت الذي يتمكن فيه من تخريب آلهتهم فقيل: إنه كان لقومه عيد يخرجون إليه -كما سبق ذكره- فعرضوا عليه أن يخرج معهم فصار ينظر إلى النجوم مدللا لهم أنه يتعرض لسقم حسبما أوحت به النجوم إليه وأنه لهذا لا يقدر على الخروج معهم فتركوه وخرجوا لعيدهم خوفا من عدوى المرض الذي ادعاه أو أنهم قبلوا عذره وهو معنى قوله ﴿ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ ﴾ أي: ذهب إليها متسللا فوجد عندها أنواع الطعام التي يقدمونها؛ لتباركها الآلهة ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ أي: عرض عليهم الأكل مع أنه عليه السلام يعلم أنهم لا يأكلون زيادة في الاستهزاء أو السخرية بها ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴾

أي: لا تتكلمون وهو يعلم ذلك ولكن زيادة في الاستهزاء بها ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ أي: بدأ يضربهم بفأس معه حتى كسر جميع أصنامهم ﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ أي: أقبل عليه عبدة الأصنام مسرعين في خطاهم لإحضاره ومحاكمته فقال لهم متسائلا ومتعجبا ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي: كيف تعبدون أحجارا وأخشابا تنحتونها بأيديكم ثم تعبدونها ألستم عقلاء تدركون بعقولكم أن هذه الأصنام لا تنفعكم وتتركون عبادة ربكم الذي خلقكم وخلق آلهتكم من العدم إلى الوجود ؟

وكعادة المشركين والكافرين حينما يغلبهم الأنبياء والمرسلون بالحجج والبراهين يلجؤون إلى الطغيان وهو ما فعله قوم إبراهيم من إيقاد نار عظيمة وألقوه فيها كما قال تعالى حاكياً كيدهم ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ أي: ابنوا له فُرنا كبيرا واملؤوه بالنار ثم ألقوه فيه حتى نسلم من دعوته، وقد علم الله مكرهم وكيدهم فقال ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا ﴾ أي: شرا بإحراقهم له ﴿ فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾ أي: جعلناهم الهالكين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن دين نوح ودين إبراهيم دين واحد؛ ذلك أن دين الأنبياء كلهم هو توحيد الله بإفراده بالعبادة وتحريم

الشرك به. وفيها: ثناء الله على إبراهيم لسلامة قلبه من الوثنية التي كان يعيشها أبوه وقومه ومجادلته لهم بالعقل بأن الأصنام التي يعبدونها لا تنفعهم. وفيها: أن الداعي إذا استطاع إنكار المنكر بيده فله ذلك كما قال رسول الله ﷺ: **(من راى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)**[1]. وفيها: أن الطغاة لا يختلفون في سلوكهم وإن تغيرت وسائلهم حسب الزمان والمكان؛ فإن لم يوقدوا نارا في الفرن ويلقون فيه المؤمنين كما حدث لإبراهيم عليه السلام فإنهم يشعلون الحروب بمختلف أنواعها.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ
إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ
مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ
لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ
بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم (٤٩) صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٦٢٤.

كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه لما نجى إبراهيم من النار التي ألقي فيها ويئس من إيمان قومه قال: إنه ذاهب إلى ربه ليهديه، فرحل إلى بلاد الشام ودعا ربه أن يثبته على دينه وأن يرزقه الولد بقوله ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وقد استجاب الله دعاءه؛ فقد سافر مع زوجته سارة إلى مصر، فوهبه حاكمها آنذاك جارية لزوجته سارة تسمى هاجر فوهبتها سارة لإبراهيم، فجعلها سرية له فولدت له إسماعيل كما قال تعالى ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ فهو أول ولد ولد له، وقد أخذ إبراهيم الولد وأمه بعيدا عن زوجته سارة خشية من الغيرة التي تأخذ النساء من ضرائرهن فذهب بهما إلى مكة، وعندما استقر بالأم والطفل فيها، رأى رؤيا يأمره الله فيها بذبح ابنه إسماعيل بعدما شب وصار رجلا يطيق العمل والسعي كحال الرجال فقال له ما أخبر الله عنه بقوله ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ أي: أخبره بما يرى ليعرف مدى قبوله وصبره

فكان جوابه عليه السلام لوالده إبراهيم ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ أي: أعزم على ما أمرك الله من ذبحي ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: سوف أحتسب وأصبر لأمر الله وقضائه، وقد صدق فعلا فيما قال، فأثنى الله عليه بقوله ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾(١).

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ أي: فلما استسلم الوالد والولد لأمر الله رغم ما تقتضيه عاطفة الأبوة والبنوة ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ أي: وضعه على وجهه ليذبحه نودي من خلفه: قد صدقت الرؤيا، فالتفت إبراهيم فإذا هو بكبش أبيض أقرن أعين فداء لإسماعيل وهو معنى قوله تعالى ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ أي: هكذا نجزي الذين يطيعون أمر ربهم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ أي: إن هذا هو الامتحان الجلي حيث أمر بذبح ابنه فاستسلم لذلك طائعا منقادا لأمر الله لا يتقدم فيه ولا يتأخر بل ينفذه كما أمر به ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾ أي: فدينا إسماعيل بكبش عظيم ذبحه إبراهيم فداء لابنه إسماعيل ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ أي: أثنينا عليه ثناء جميلا عند الأمم المتتابعة إلى يوم الدين ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي: سلام من الله على إبراهيم على

---

(١) سورة مريم الآية ٥٤ .

احتسابه واستسلامه لأمر الله وطاعته ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: هكذا يجزي الله المحسنين من عباده بالثناء والسلام عليهم وإسكانهم جناته ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ذكر لصفته عليه السلام بأنه من عباد الله المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: كما بشرناه بإسماعيل بشرناه بإسحاق وأنه سيكون نبيا من عباد الله الصالحين والمعنى واضح في أن البشرى بالولد الأول كان من هاجر أما البشرى بالولد الثاني فكان الولد من سارة بعد أن بلغ إبراهيم من العمر تسعاً وتسعين سنة ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ أي: باركنا على إبراهيم وعلى إسحاق أي: أنزلت البركة فيهما وفي ذريتهما ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ أي: من ذرية إبراهيم وإسحاق من هو محسن مؤمن مقتف بسيرتهما في الإيمان بالله وإخلاص العبادة له، ومنهم من هو ظالم لنفسه؛ وذلك بارتكاب المحرمات من الشرك والكفر وتكذيب الرسل.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب الهجرة من المكان الذي لا يقدر فيه العبد على عبادة الله وطاعته إلى المكان الذي يقدر فيه عليها. وفيها: أن إسماعيل هو الذي أمر الله إبراهيم بذبحه، وقد ورد النص على هذا

في كتب اليهود؛ إلا أنهم جحدوا ذلك وقالوا: إن المقصود بالذبيح إسحاق وهذا خطأ ظاهر كما أنه واضح من كتاب الله أن المقصود إسماعيل؛ ذلك أن النص على وحي الله لإبراهيم بذبح ابنه جاء قبل البشارة بإسحاق. وفيها: أن إسماعيل عليه السلام يعد الأول من العباد في بر والديه حيث إنه أطاع والده إبراهيم بذبحه رغم ما في الاستجابة له من صعوبة بالغة، وهذا يقتضي وجوب بر الوالدين وطاعتهما في غير معصية كما أمر الله بذلك في كتابه وفي سنة رسوله محمد ﷺ. وفيها: فضل الأضحية ومشروعيتها وهي سنة وليست بواجبة. وفيها: تقرير ثناء الله وسلامه على المؤمنين من عباده وما يعده لهم من الجزاء العظيم.

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا
مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾
وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ
﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ لما ذكر الله ما أنعم به

على إبراهيم وأثنى عليه ذكر موسى وأخاه هارون بوصفهما من ذرية إسحاق التي بارك الله فيها فذكر منته عز وجل عليهما بالنبوة والرسالة ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أي: نجيناهما من قهر فرعون واستعباده ﴿ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ أي: نصرنا موسى وقومه على فرعون؛ وذلك باغراقه وجنوده ونجاة موسى وقومه ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴾ المراد به التوراة المنزلة على موسى ﴿ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي: أرشدناهما إلى الحق قولا وفعلا ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴾ أحدثنا لهما ذكرا حسنا وثناء جميلا في العالمين وهو قوله ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: نجزيهما كما نجزي كل محسن على إحسانه ﴿ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هذا وصف لهما بأنهما من عباد الله المؤمنين الذين استحقوا جزاءه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير فضل الله على موسى وهارون بالنبوة، وإنزال التوراة ونجاتهما وقومهما من الهلاك الذي اصاب فرعون وجنوده.

وفيها: أن النصر والغلبة تكون دائما لعباد الله المؤمنين كما قال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾[2].

﴿ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ إلياس: أحد أنبياء بني إسرائيل ﴿ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ قيل: إن قومه أهل بعلبك المعروفة حاليا في لبنان، فقد كان لهم بعل يعبدونه فكسره إلياس[3] فكان يأمرهم بعبادة الله وحده ويقول لهم ﴿ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ أي: كيف تعبدون صنما وتدعونه وتقدمون له القرابين وهو لا ينفعكم وتذرون عبادة الله الذي خلقكم ورزقكم ﴿ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ أي: الذي خلقكم وخلق آباءكم، وقد أخبر الله أنهم لم يستجيبوا لدعوته بقوله ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴾ أي:

---

(١) سورة غافر الآية ٥١ .

(٢) سورة الصافات الآية ١٧٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص١١٧ .

كذبوا ما جاءهم به من الهدى فسيحضرون إلى العذاب؛ لقاء شركهم وإنكارهم توحيد الله في ألوهيته ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ هذا استثناء لعباد الله الذين أخلصوا في دينهم فلم يشركوا بالله ولم يعصوه ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ أي: جعلنا له أثرا وذكرا حسنا في العالمين ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ أي: سلام من الله على إلياسين ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نجزيه على عمله الحسن كما نجزي غيره من المحسنين ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: كانت له هذه المنزلة، لكونه من عباد الله الذين آمنوا به وصدقوه واتقوه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تحريم عبادة الأصنام تحت أي اسم كانت، وأن أي عمل مع الشرك يعد باطلا كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(١). وفيها: أن عاقبة مكذّبي الرسل العذاب الذي يحضرون إليه يوم القيامة. وفيها: تقرير أن الله يجزي المحسنين على إحسانهم. وفيها: ثناء الله على المؤمنين؛ بسبب تقواهم وخشيتهم وخوفهم منه كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة الزمر الآية ٦٥.

(٢) سورة الأنفال الآية ٢.

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم
مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ لمّا ذكر الله منته على نبيه إبراهيم وذريته ذكر امتنانه بالنبوة على لوط وهو ابن أخي إبراهيم هاران ﴿ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾ أي: نجاه الله من الهلاك الذي أصاب قومه، لارتكابهم الفاحشة فتحولت بلادهم إلى بحيرة تعرف الآن ببحيرة لوط جهة الاردن كما سبق ذكره ﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ المراد بها زوجته، فقد استثناها الله من النجاة؛ لأنها كانت تؤيد قومها في ارتكابهم الفاحشة فأهلكها الله معهم ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾ أي: دمر الله قوم لوط فلم يُنج من الدمار إلا لوطاً عليه السلام ومن معه من المؤمنين ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴾ أي: إنكم يا أهل مكة ترون آثارهم في النهار حين تذهبون إلى الشام للتجارة وترون بحيرة لوط أو البحر الميت وكيف أنه بحر لا حياة فيه ولا خير ﴿ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي: وتمرون عليها بالليل أيضاً أفلا تتفكرون فيما أنتم فيه من الشرك والكفر ولا تعتبرون بما أصاب قوم لوط من الهلاك والدمار.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير إهلاك الله لقوم لوط لقاء ارتكابهم الفاحشة النكراء، وهي إتيان الرجل الرجل مما لم يسبقهم إليه أحد من الأمم مما يجعل فعلهم القبيح مخالفاً لسنة الله في خلقه، حيث جعل النساء للرجال، وحرم الرجال على الرجال، وكما قلنا من قبل فإن ما يجري في هذا الزمان من شيوع هذه الفاحشة في بعض البلاد وإباحتهم لها يعد ايذاناً بالعقاب كما قال عز وجل ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾(١). وفيها: أن أساس العلاقة بين العبد وغيره علاقة دين فحسب، فلا قريب يشفع لقريبه، ولا زوج لزوجته أو زوجة لزوجها، فلم ينفع زوجة لوط قربها منه، بل جعلها الله أول الهالكين؛ لأنها كانت تؤيد قومها في فعل الفاحشة. وفيها: وجوب التفكر والتدبر في أحكام الله وآياته وأن ما حدث في الماضي من الهلاك للأمم الظالمة يحدث للأمم الحاضرة أو الأمم القادمة إذا اتبعت الباطل وزاغت عن الحق وعصت الله على بصيرة.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾

---

(١) سورة الإسراء الآية ١٦ .

فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوۡلَآ
أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞
فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةً مِّن يَقۡطِينٍ
﴿١٤٦﴾ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ
إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ هو يونس بن متى أو ذو النون وقد مضت قصته. قوله ﴿ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴾ أي: هرب من قومه؛ بسبب عدم إيمانهم فوعدهم بالعذاب ولحكمة الله تأخر عنهم العذاب فهرب من قومه في مدينة نينوى من أرض الموصل في العراق، فلما وصل الميناء وجد سفينة تريد الإبحار فركب فيها، وكانت مثقلة بالحمولة، فتوقفت في عرض الماء فعرض رُبَّانها على من فيها إنقاص شحنتها حتى لا تغرق ويغرقوا معها، فاتفق ركابها على إجراء القرعة بينهم ثلاث مرات فكانت القرعة تقع عليه في كل مرة كما قال تعالى ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴾ أي: فشارك في القرعة فكان من المغلوبين فيها ﴿ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ أي: ابتلعه الحوت؛ لأنه أتى بما يلام عليه، وهو مغاضبته لقومه وفراره منهم وعدم صبره عليهم.

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: لولا أنه قال وهو في بطن الحوت: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لمكث في بطن الحوت إلى يوم القيامة ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ أي: أخرجناه من بطن الحوت وألقينا به في أرض خالية من النبات ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ أي: ضعيف في بدنه ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ أي: شجرة القرع لتظلله بورقها الناعم وأجرى الله ما أجرى عليه من نعمه حتى شفي من ضعفه ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ أي: أرسل إلى قومه أهل نينوى فلما عاد إليهم وجدهم قد آمنوا بالله وتركوا الشرك به وأخلصوا توبتهم لله فنجاهم الله من العذاب كما قال عز وجل ﴿فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: أبقيناهم إلى آجالهم المسماة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير مشروعية الاقتراع لحسم ما يقع من النزاع بين الخصوم في أمور دنياهم. وفيها: فضل الذكر والدعاء في السر والعلن عند حلول المصائب، فلا أحد يكشف الضر ويدفع الباس ويجلي الغم ويزيل المصائب إلا الله وحده. وفيها: وجوب التعرف إلى الله في الرخاء؛ وذلك بالاكثار من الذكر والتسبيح

والاستغفار وإقامة الصلوات وتجنب المحرمات؛ لأن المشركين كانوا لا يتعرَّفون إلى الله إلا في حال الشدة كما قال تعالى ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[1]؛ أما المؤمنون فيتعرفون إلى الله في الرخاء والشدة كما أمر به رسول الله ﷺ: (**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**)[2]. وفيها: أهمية غذاء قرع اليقطين فكان رسول الله ﷺ يحب أكل هذه الثمرة[3].

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾.

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج١ ص٣٠٧.

(٣) سنن ابن ماجة، ج٢ ص١٠٩٨، كتاب الأطعمة، باب الدّباء، برقم (٣٣٠٢).

بيان الآيات:

﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴾ لمّا ذكر الله عزوجل الآيات والبينات الحكمية والعقلية الدالة على بعثه الموتى وذكر مناهج الأنبياء والمرسلين قبل رسول الله محمد ﷺ ودعوتهم أقوامهم إلى دين الإسلام، أبطل أعظم كذبة كذبها المشركون في مكة في ادعائهم أن الملائكة بنات الله، نتيجة مصاهرته للجن، فأمر رسوله محمدا ﷺ أن يسأل المشركين موبخا لهم ومنكرا عليهم ادعاءهم بأن البنات لله والبنين لهم: أليس ذلك عاراً عليهم أن يفتروا على الله الكذب ولا يستحون فيما يفترونه ؟ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا) ﴿ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثٗا وَهُمۡ شَـٰهِدُونَ ﴾ أي: اسألهم كذلك يا محمد على سبيل الإنكار والتوبيخ هل شهدوا خلق الملائكة حتى يقولوا إنهم إناث وسوف يجيبون بالنفي إذن فلماذا يكذبون؟ ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴾ أي: من كذبهم وظلمهم ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ ﴾ أي: جاء منه الولد ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَـٰذِبُونَ﴾ في جعل الملائكة بنات الله وجعل الولد لهم وسيلقون جزاء كذبهم وهو الخلود في العذاب ﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴾ أي: دليل يحملهم على أن يقولوا: إن الله اصطفى البنات على البنين؟

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الجائر أليس لكم عقول تفكرون بها؟ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا تذكرون أن الله هو الذي خلقكم وأنه منزه عن الولد وأنه الأحق بالعبادة وحده ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ أي: هل لكم حجة فيما تقولونه؟ ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: هاتوا ما عندكم من كتاب تستندون عليه فيما تقولونه إن كنتم صادقين في ادعائكم.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ أي: نسبوا المصاهرة إلى الله مع الجن فلما قال المشركون: إن الملائكة بنات الله، قال أبو بكر رضي الله عنه: فمن أمهاتهن؟ قالوا: بنات سروات الجن[1] وهذا غاية الإفك بل وغاية الجنون لهؤلاء المشركين ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أي: يعلم الجِنة أنهم محضرون أمام الله ليجازي كلا منهم بعمله فكيف إذن يكون بينه وبينهم نسب وهو يحاسبهم ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: تنزه وتقدس في ذاته وصفاته وأفعاله عما يصفه به الظالمون الكافرون ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: لما كان المشركون المجرمون يصفون الله بما لا يليق به فإن عباده المخلصين لا يصفونه إلا بأحسن الأوصاف كما

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٤ .

وصف بها نفسه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(١)].

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: إبطال كذب المشركين في جعل الملائكة بنات الله ونسبة الولد إليه كما قال تعالى متوعدا لهم ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾[(٢)]. وفيها: رحمة الله بخلقه وتوجيه رسله أن يجادلوهم بالحق والبراهين العقلية لكي يقنعوهم بالإيمان بالله حتى يسلموا من عذابه كما قال تعالى ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[(٣)].

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ هذا خطاب للمشركين والمراد أنكم وأصنامكم وأوثانكم لن تضلوا أحدا إلا من كتب الله عليه الشقاوة؛ بسبب افتتانه

---

(١) سورة الشورى من الآية ١١ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٤٠ .

(٣) سورة النحل من الآية ١٢٥ .

بكم واتباعه لكم وهو معنى قوله ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ ﴿إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ قوله ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ هذا بيان من الله عن الملائكة وتنزيههم عما نسبه المشركون إليهم فكلهم له مقام عند الله وهو طاعة ربهم والوقوف صفوفا لأداء هذه الطاعة والتسبيح بحمده كما قال تعالى عنهم ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ﴾.

قوله ﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ﴾ أي: المشركون من قريش ﴿لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: لو أنزل علينا كتاب من كتب الأولين كالتوراة والإنجيل ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ أي: لعبدنا الله حق عبادته ولم نشرك به أحدا ﴿فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ أي: كفروا بالقرآن الذي جاءهم من عند الله فسوف يعلمون سوء عاقبة كفرهم وتكذيبهم به.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن أحدا لا يقدر أن يضل أحدا إلا من أضله الله؛ بسبب غلبة الشقاوة عليه لكفره كما قال تعالى عن هذا النوع من البشر ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[١]. وفيها: الحكم بأن الملائكة يعبدون الله ويطيعونه ويسبحون بحمده. وفيها: تقرير كذب المشركين في أنه لو أنزل الله عليهم كتابا لآمنوا به كما قال تعالى ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾[٢]. ﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ﴾[٣]. وفيها: الحكم بعقاب الله للمكذبين بالقرآن.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾
وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ
ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾
سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ
﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

(١) سورة الأعراف من الآية ١٧٩ .
(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٦ .
(٣) سورة الأنعام الآية ١٥٧ .

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ هذا بيان من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن النصر له كما كان للمرسلين من قبله كما قال عز وجل ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[١]. ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴾ أي: إن النصر قد كتب لهم كما قال عزوجل ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[٢]. ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ أي: أن العاقبة لهم في النصر والغلبة على أعدائهم ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ أي: أعرض عنهم واصبر على أذاهم حتى يأذن الله فيهم بأمره ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ أي: انتظرهم فسوف يبصرون ما يحل بهم من العذاب ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ هذا إنكار من الله عليهم في استعجالهم عذاب الله استهزاء به وما يدرون أنه ينزل بهم بغتة وهم لا يشعرون كما نزل بمن قبلهم من الأمم ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ أي: إذا حل العذاب بديارهم فبئس الصباح صباحهم ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ توكيد لما تقدم ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ

(١) سورة المجادلة الآية ٢١ .

(٢) سورة غافر الآية ٥١ .

ٱلْعِزَّةِ ﴾ هذا عود للرد على ما افتراه المشركون من جعل الملائكة بنات لله ونسبتهم له الولد أي: تنزه وتقدس فله العزة التي لا ترام ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ أي: تنزه عما يصفه الظالمون المعتدون ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أي: سلام من الله على عباده المرسلين الذي أرسلهم لدعوة خلقه إلى توحيده ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: له الحمد والثناء على ما أنعم به على أوليائه من النصر والتمكين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن النصر وحسن العاقبة سيكون لدين الله لا محالة؛ لأنه نور الله إلى خلقه وقد قضى الله وقضاؤه الحق أن هذا الدين ظاهر إلى قيام الساعة كما قال عز وجل ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾(١). وفيها: وجوب التسبيح بحمد الله سرا وعلانية، فهو المحمود على ما قدر، وهو المنزه والمقدس عما يقول الظالمون ويصفون وله الحمد في الأولى والآخرة، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن.

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٣ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة ص

مكية وآياتها ثمان وثمانون آية

﴿ صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِى ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴿٢﴾ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِى ٱلذِّكۡرِ ﴾ ﴿ صٓ ﴾ من الحروف المقطعة والله أعلم بمراده منها. والقرآن ذي الذكر أي: هو ذكر عظيم في ذاته، وذكر فيه نفع للعباد يذكرهم بما أمرهم الله به وما نهاهم عنه، ويذكرهم بما فيه بشرى لهم إذا أحسنوا ومافيه نذارة لهم إذا أساؤوا فهو في ألفاظه ومعانيه وحروفه وكلماته خير لعباد الله ورحمة لهم ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴾ أي: أن الكافرين في استكبار عن سماع القرآن والإيمان به، وهم في شقاق معه؛ لأنه يهديهم إلى الحق وهم لا يريدون إلا الباطل وهم كذلك في عداوة وشقاق مع رسول الله ﷺ حين اتهموه بالكذب والكهانة والشعر ﴿ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ ﴾ أي: كم من أمم أهلكناها قبلهم لما كذبوا رسلهم وكفروا بما جاؤوهم به من البينات ﴿ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴾ أي: لما رأوا

العذاب، نادوا مستغيثين يريدون الرجوع إلى الدنيا ليتوبوا ويعملوا صالحا ولات حين مناص أي: ليس لهم حينئذ مهرب يهربون إليه، ولا ملجأ يلجؤون إليه، بل يلاقون العذاب الذي كانوا يستعجلونه استهزاء وتكذيبا به.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم أن القرآن هو كتاب الله المنزل على نبي الله ورسوله محمد ﷺ، وأنه ذكر لعباد الله يهديهم إلى البر، وإلى كل ما فيه نفع لهم في دنياهم وأخراهم. تقرير: أن عداوة الكفار لرسول الله ﷺ، وإنكارهم لما جاء به كانت بسبب كبريائهم، وإلا فهم يعلمون أنه أمين، وأنه رسول من عند الله. تقرير: هلاك الكافرين من الأمم السابقة بسبب تكذيبهم لرسلهم.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ
٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ
أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا
فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ
هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ
ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي
ٱلۡأَسۡبَٰبِ ١٠ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ١١﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ ﴾ أي: عجب كفار قريش أن جاءهم رسول منهم ينذرهم ويحذرهم مما يحل بهم من العذاب كما حل بالأمم قبلهم ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾ أي: ما هذا إلا متعاط للسحر كذاب فيما يقول يقصدون رسول الله ﷺ وهم يعرفون أنهم الذين يكذبون ويفترون الكذب.

﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ أي: كيف يزعم أنه ما في الوجود إلا إلَه واحد إن هذا لقول في غاية العجب والاستغراب. لقد قالوا قولهم هذا بعد اجتماعهم برسول الله ﷺ عند عمه أبي طالب حين طلبوا من عمه أن ينصحه بالكف عن شتم آلهتهم، فلما ذكر له عمه ما يقولون قال عليه الصلاة والسلام: **(ما أريد منهم إلا كلمة واحدة يقولونها وحينئذٍ سوف تدين لهم العرب والعجم)** فقالوا: ماهي؟ فقال عليه الصلاة والسلام: **(لا إلَه إلا الله)** فقاموا من مجلسهم غاضبين ويقولون: أجعل الآلهة إلَها واحدا إن هذا لشيء عجاب[1].

﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ ﴾ أي: رؤساؤهم ﴿أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾ أي: امشوا على دينكم ودين آبائكم واصبروا على ما أنتم

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٨٣، وتفسير البغوي ص١١٠٥ .

فيه من عبادة آلهتكم وإياكم أن تسمعوا لما يقوله لكم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ أي: إن مراد محمد من دعوته أن يكون كبيرا عليكم يرأسكم ويستعلي عليكم ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ أي: ما سمعنا بما يدعو إليه محمد في ملة النصارى ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ أي: أمر اختلقه من نفسه ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ أي: أيعقل أن ينزل عليه القرآن من بيننا كلنا؟ وما الذي يجعله يختص بهذا دوننا؟ ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ أي: أنهم في ريب من القرآن الذي أنزل على محمد ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ أي: قالوا هذا الكذب؛ لأنهم لم يذوقوا عذاب الله، بل هم يستعجلونه استهزاء ولو ذاقوه لآمنوا ولما قالوا قولهم هذا.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ لما قال المشركون قولهم وكذبهم أنكر الله عليهم ذلك مبينا أنه المالك لما في السموات والأرض ومن فيهن وأنه المتصرف في خلقه المدبر لهم فهل عند هؤلاء يا محمد خزائن رحمة ربك العزيز بقوته الوهاب لنعمه وفضائله ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: هل لهم ملك السموات والأرض وما بينهما، فإذا كان لهم هذا ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ أي: فليصعدوا إلى السماء إن كانوا قادرين ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ أي: هؤلاء ليسوا إلا جندا حقيرا،

لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا، فهم مهزومون لا يستطيعون نصرا لهم ولا لغيرهم كما حدث لهم يوم بدر ويوم فتح مكة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير عداء المشركين لرسول الله ﷺ، وتكذيبهم له وإنكارهم لنزول القرآن وتعجبهم مما يقول كما قال عز وجل ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾[1]. وفيها: تقرير سفاهة المشركين ونقص عقولهم في عدم إدراك وحدانية الله في ألوهيته واستغرابهم لوجود إله واحد. وفيها: تقرير تحدي الله لهم؛ لإظهار نقصهم وعجزهم كما قال تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾[2]. وفيها: أن المكذبين لرسول الله وما جاء به ما هم إلا جند مهزوم في نفسه وعقله، وأن هذا الجند سيلاقي أشد العذاب يوم القيامة، هذا هو قول الله وقوله الحق فما من أحد في ماضي الزمان أو حاضره أو مستقبله يكذب رسوله إلا ومآله إلى الهزيمة في الدنيا والعذاب في الآخرة.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ

---

(١) سورة يونس الآية ٢ .

(٢) سورة النساء الآية ٥٣ .

لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ
فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ
﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ
وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ
بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةًۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ
وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾.

بيان الآيات:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ لما ذكر الله عزوجل مقولتهم عن رسوله محمد ﷺ واتهامه بالسحر قال مسليا ومعزيا له بأنه ليس أول من كذبه قومه، فقد كذبت أمم رسلها فكذب قوم نوح نبيهم وكذبت عاد نبيها هودا، وكذب فرعون ذو الأوتاد(١) موسى وأخاه هارون ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ أي: وكذبت ثمود نبيها صالحا، وكذب قوم لوط نبيهم، وكذب أصحاب الأيكة أي: الغيضة نبيهم شعيبا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ فهذه الأمم كلها كذبت أنبياءها ورسلها وآذوهم فصبروا على دعوتهم فعاقب الله المكذبين

---

(١) قال الضحاك: كان كثير البنيان والبنيان يسمى أوتاداً وعنه: ذو القوة والبطش. وقال مقاتل بن سليمان: كان يأخذ الرجل فيمده بين أربعة أوتاد، ووجهه إلى السماء وكان يوثق كل رجل إلى سارية مستلقيا بين السماء والأرض فيتركه حتى يموت. انظر: تفسير الضحاك ج٢ ص٧١٦-٧١٧، وتفسير مقاتل بن سليمان ج٣ ص١١٤ .

منهم بالهلاك، ونجى برحمته المؤمنين منهم كما قال تعالى ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ قوله ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ أي: لا يحتاجون إلا صيحة أي: نفخة ينفخها إسرافيل في الصور مالها من فواق أي: لا تتوقف فيلاقون حينئذ أشد العذاب ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ أي: قال المشركون استهزاء وتكذيبا: عجل لنا قطنا أي: نصيبنا من الخير أو الشر في الدنيا.

لما استبعد المشركون البعث والعذاب وطلبوا من الله أن يعجل لهم الخير أو الشر أمر الله رسوله محمدا ﷺ أن يصبر عليهم بقوله تعالى ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ﴾ أي: اقتد بداود القوي في الدين والعلم ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي: رجاع إلى الله تعالى في جميع أحواله ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾ هذا من إنعام الله وإفضاله على داود، حيث سخر الجبال تسبح معه في الصباح والمساء ﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ﴾ أي: تسبح معه ﴿كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ أي: كل من الجبال والطير مطيع له يسبحون بتسبيحه ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ﴾ أي: قوّينا ملكه بجميع أسباب القوة ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ أي: آتيناه النبوة والقوة في الفهم والإدراك ﴿وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ أي: الفصل بين الخصوم في قضاياهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: البيان من الله لرسوله بأنه ليس أول من كذب من الرسل، بل إن أمما عديدة كذبت رسلها فحق عليهم العذاب. وفيها: الأمر له بالصبر على ما يناله من الأذى من قومه؛ لأن من أسس دعوة الرسل الصبر في دعوتهم حتى يأتيهم نصر الله كما قال تعالى ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[1]. وفيها: تهديد الله للمشركين، وأن أمرهم لا يحتاج إلا إلى صيحة واحدة من إسرافيل في الصور، أو تعجل لهم العقوبة في الدنيا، وقد حدث لهم ذلك حين هلك رؤساؤهم في معركة بدر، وانهزموا أذلاء صاغرين يوم فتح مكة. وفيها: تقرير حماقة المشركين وسفاهتهم وطلبهم تعجيل نصيبهم من السعادة والشقاوة في الدنيا استبعادا لما جاءهم به رسول الله ﷺ من النذر.

وفي هذه الآيات: وجوب الاقتداء بالسلف الصالح في سلوكهم كما قال تعالى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2]. وقوله عزذكره ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[3]. وفيها: فضل صلاة الضحى وفي ذلك: حديث أبي هريرة رضي الله

(١) سورة الأحقاف من الآية ٣٥ .

(٢) سورة الممتحنة من الآية ٤ .

(٣) سورة الممتحنة من الآية ٦ .

عنه قال: أوصاني خليلي[(١)] بثلاث: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام[(٢)]. وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى)**[(٣)].

﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾.

---

(١) الخليل الصديق الخالص الذي تخللت مودته القلب فصارت في خلاله أو من أصفى المودة وأصحها. القاموس المحيط ص١١٨٥، والمعجم الوسيط ج١ ص٢٥٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب صيام البيض، برقم (١٩٨١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٤ ص٢٦٦ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى . برقم (٧٢٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص٢١٧٠ .

بيان الآيات:

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ ما زال السياق في ذكر داود والمراد هل أتاك يا محمد قصة الخصم الذين تسوروا على داود وهو في المحراب يعبد الله؟ قيل: إن داود عليه السلام أذنب ذنبا فاختبره الله حيث أرسل له ملكين يختصمان عنده، فدخلوا عليه من غير الباب ففزع منهم أي: خاف منهم فقالوا له: لا تخف نحن خصمان نريد التحاكم عندك في خلاف بيننا وهذا معنى قوله تعالى ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ﴾ ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: اعتدى أحدنا على الآخر ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي: احكم بالحق، ولا يكون حكمك فينا جائرا ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ أي: ارشدنا إلى الطريق السوي الذي لا ميل فيه.

ثم أخذ أحدهما يقص قضيته بقوله ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي: هذا خصمي أخي في الدين طلب مني أن أملكه نعجتي الوحيدة ليضمها إلى نعاجه الكثيرة ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ أي: غلبني بالكلام، وأخذ نعجتي فاحكم بيني وبينه بالحق؛ فلما سمع داود كلامه تعجل في الحكم قبل أن يسمع كلام خصمه بقوله ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ﴾ أي: مافعله خصمك يعد ظلما لك ثم بين أسباب حكمه بقوله ﴿وَإِنَّ

كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: إن كثيرا من الشركاء ليجور بعضهم على بعض ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: لا يستثنى من هؤلاء الشركاء إلا المؤمنون، فإنهم منزهون عن التجاوز على بعضهم ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ أي: وهؤلاء قليلون. وبعدما سمع الخصمان حكمه ذهبا إلى حيث أتيا، فعندئذ تنبه داود لما حدث منه حيث قضى بسماع كلمة أحد الخصمين ولم يسمع الآخر فعرف أنه فتن بهذا الحكم فاستغفر ربه كما قال تعالى ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ قوله ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ أي: سجد يطلب المغفرة من ربه، والعفو عن الذنب الذي أصابه منيبا إلى الله يطلب منه التوبة والصفح عن ذنبه وقد استجاب الله له بقوله ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ أي: غفرنا له ما حدث منه ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ أي: له عندنا قربة ومرجع في الدار الآخرة في النعيم مع النبيين والمرسلين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير قاعدة أساسية في الفصل بين الخصوم وهي أنه يحرم على من يقضي بين الناس أن يحكم قبل أن يسمع كلام الخصوم كلهم، وهذا يقتضي إجراء العدل بينهم في التخاصم فلا يميل مع أحدهم دون الآخر في المجلس أو التخاطب أو حتى في مجرد

النظرة بين هذا وذاك لقول الله عزوجل ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1]. وفيه قول رسول الله ﷺ: (إن المقسطين عند الله على منابر من نور)[2]. وفيها: أنه يجب على العبد التوبة إذا ارتكب ذنبا في حق الله أو في حق العباد؛ فالتوبة في حق الله: الإقلاع عن الذنب والندم عليه والعزم على عدم العودة إليه، أما في حق العباد فوجوب أداء حقوقهم إليهم أو طلب العفو منهم. ومن الأحكام: جواز القضاء في المسجد، فقد كان رسول الله ﷺ يقضي في المسجد وكان الخلفاء والولاة يفعلون ذلك.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾.

بيان الآية:

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لما قبل الله استغفار داود، وأنه خلف لمن قبله في الحكم أمره أن يحكم بالعدل بين الناس والا يتبع الهوى كما قال ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: يضلك ويطغيك الهوى وهو هوى النفس

---

(١) سورة المائدة من الآية ٤٢ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية . برقم (١٨٢٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ ص٥١٠١ .

وميلها وفي هذا خراب الأرض وفساد العباد؛ لأن فطرة الله التي فطر الناس عليها تقتضي حكما وعقلا إقامة العدل بين الناس فلا يجور بعضهم على بعض في أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ﴾ أي: أن الذين يصرفون الناس عن الحق والعدل والإيمان سينالون العذاب الأليم ﴿بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: بسبب نسيانهم لأحكام الله وشرعه ونسيانهم ليوم القيامة وما فيه من الحساب والجزاء.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بوجوب العدل بين الناس، وهذا لا يتأتى إلا بتحكيم شرع الله فيهم كما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله محمد ﷺ، فكل حكم خرج عن هذين الأصلين فهو اتباع للهوى وجور وظلم لا تقوم لأهله قائمة ولو قامت لهم حيناً فإنما هو ابتلاء لهم يستدرجهم الله قبل أن يقضي فيهم بقضائه. وفيها: تحريم اتّباع الهوى كما قال تعالى لنبيه محذرا له من أصحاب الهوى ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[1]. وقد جعل الله الهوى بمثابة الإلَه لأصحابه فقال ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً

---

(١) سورة الكهف من الآية ٢٨ .

﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[١]. وفيها: أنه لا يجوز للحاكم أن يحكم بعلمه، فقد جاءت امرأة إلى عمر رضي الله عنه فقالت: احكم لي على فلان فإنك تعلم مالي عنده فقال: إن أردت أن أشهد لك فنعم، أما الحكم فلا[٢]. وفيها: أن الله توعد بالعذاب الذين يضلون عن سبيله باتباعهم الهوى في سلوكهم وأحكامهم.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾.

بيان الآيات

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ أي: ما خلقنا السموات والأرض عبثا، وذلك تكذيب للمشركين، وإبطال لزعمهم، وإنما خلق الله السموات والأرض لحكمة، وخلق الخلق ليعبدوه ويطيعوه ثم يجازيهم على طاعتهم أو معصيتهم ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: هذا ظن الكافرين الذين ظنوا ما لا يليق بجلال الله وعظمته وحكمته في خلق السموات والأرض ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ أي: ويل لهم

(١) سورة الجاثية الآية ٢٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص١٩١.

يوم القيامة حيث يحشرون في واد في جهنم ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ هذا رد على منكري البعث وغيرهم ممن يقولون: إن الصالح والفاسد سواء في الجزاء فسخر الله منهم وقال بأنه ليس من حكمته ولا من عدله أن يساوي بين المؤمن الصالح وبين المفسد في الأرض. وليس من حكمته ولا من عدله أن يساوي بين المتقي والفاجر، فحاشا الله أن يفعل ذلك، بل يجازي المؤمن والتقي على إيمانه وتقواه ويجازي المفسد والفاجر على فساده وفجوره فهذا هو حكم الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[١].

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ أي: هذا القرآن الذي أنزلناه على رسولنا كتاب فيه بركة ونفع وخير وهدى لأولياء الله المتقين، فمن صدَّقه وتمسك به حصلت له السعادة، ومن كذَّب به حصلت له الشقاوة ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: أنزلناه إلى العباد؛ لكي يدبروا آياته ويدركوا مافيها من الأحكام التي تنفعهم في دنياهم وأخراهم إذا عملوا بها ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: يتذكر أصحاب العقول السليمة ما في الكتاب من الأوامر التي تأمرهم بما فيه خير لهم وتنهاهم عما فيه شر لهم. وقد خص الله عزوجل بهذه الميزة أهل العقول الصحيحة، أما أصحاب العقول السقيمة فهم لا

---

(١) سورة المائدة من الآية ٥٠ .

يتدبرون ولا يتذكرون كما قال الله فيهم ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[١].

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير كذب من زعم أن السموات والأرض خلقت عبثا، وأنه لا يزعم هذا إلا الكفرة الماردون، فتعالى الله وتنزه عما يقول الظالمون. وفيها: تقرير عقوبة الكفار المكذبين بالبعث حيث يحشرهم الله في واد في جهنم بعيد القعر. وفيها: تقرير عدل الله في قضائه وحكمه حيث يجازي كلا بما عمل، فيجازي المحسن على إحسانه، ويجازي المسيء على إساءته كما قال تعالى ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٢]. وفيها: وجوب تدبر آيات الله في كتابه العزيز؛ لما فيه من البركة والهدى لأصحاب العقول الصحيحة الذين يدركون أن الله ما أنزله إلا وفيه خيرهم في دنياهم وأخراهم.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣)﴾.

---

(١) سورة الفرقان من الآية ٤٤ .

(٢) سورة الكهف من الآية ٤٩ .

بيان الآيات:

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ ﴾ أي: ومن نعمنا على داود أن وهبنا له ابنه سليمان، وجعلناه نبيا، فهو نعم العبد الصالح ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي: كثير الطاعة والإنابة لله ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴾ أي: عرض عليه سواس الخيل الصافنات وهي الخيول التي تقف على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة، والجياد السوابق في السير ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ المراد أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر، فندم على ذلك فصلى العصر ثم قال ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ أي: أخذ يقطع سوقها وأعناقها بالسيف هكذا قاله غير واحد من المفسرين(١) وقال آخرون: المراد أنه مسح أعرافها وعراقيبها حبّاً لها(٢) ولعل القول الأول أصح.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله يهب الولد الصالح من يشاء من عباده، وللعبد أن يطلب من ربه ذلك كما دعا زكريا ربه أن يهبه ابنا يلي الأمر من بعده كما قال عز وجل ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾(٣).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، ج٣ ص١١٨، وتفسير البغوي ص١١١٣ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٢ ص١٥٦ .

(٣) سورة مريم الآية ٢ .

إلى قوله ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾[1]. وقد استجاب الله له فبشره بيحيى كما قال عز وجل ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[2]. وفيها: أن الله أطلق الخير على الخيل لقوله ﴿إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ ووصفها بذلك؛ لكونها ترابط في سبيل الله، وهذا يقتضي أن أي سلاح من طائرات وسفن وصواريخ يرصد ويجهز من أجل حماية دين الله ورد كيد أعدائه يوصف بالخير إذا كان هذا هو الهدف. أما إذا كان المراد منه مجرد الاستعراض أو الزينة أو التباهي به فلا خير فيه.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ
رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ
وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ
أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾.

بيان الآيات:

مازال السياق في قصة داود وسليمان وما أعطاهما الله من النبوة

(١) سورة مريم الآية ٥ .

(٢) سورة مريم الآية ٧ .

والعلم فقوله ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ ﴾ أي: ابتليناه ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ﴾ قيل: في الجسد عدة أقاويل لا تخلو من الإسرائيليات؛ لأن الله لم يبين حقيقة هذا الجسد، والمفسرون في ذلك على عدة أقوال؛ فقيل: إن المراد بالجسد شيطان ألقى الله شبه سليمان عليه، وكان هذا الشيطان ماردا من أشد الشياطين فتحيل على سليمان حتى ظفر بخاتمه من إحدى نسائه فقام أربعين يوما على ملك سليمان وسليمان مختفٍ حتى رد الله عليه خاتمه وملكه[(١)]. وأصح هذه الأقوال ما رواه أبو هريرة في صحيح البخاري، قال رسول الله ﷺ: (**قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، وايم الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون**)[(٢)]. وهذا الحديث جاء في معنى القصة أو الخبر، وليس في معنى التفسير للآية.

ولأن الله لم يبين هذا الجسد، فيجب التوقف عند تفسير هذه الآية ولكن المؤكد أن سليمان ارتكب ذنبا بدليل قول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١٢ ص١٥٨، والجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص١٩٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، برقم (٦٦٣٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٥٣٣ .

فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ ﴾ وقوله ﴿ ثُمَّ أَنَابَ ﴾ أي: رجع إلى الله تعالى وطلب المغفرة لما حدث منه ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ أي: أمنن عليَّ بملك ليس لأحد من البشر مثله ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ أي: أنت المعطي الواهب المنان، وقد قبل الله دعاءه بقوله عز ذكره ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ أي: سخر له الريح التي تحمل ما يريد، وذلك تعويضا عن الخيل التي عقرها تقربا إلى الله، لتسببها في تأخيره للصلاة ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ كما سخر الله له شياطين الجن فمنهم: من يستعمله في البناء والأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر ومنهم: من يستعمله في الغوص؛ لإخراج اللآلئ من البحر ﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ أي: موثوقين في الأغلال حبسا لهم؛ بسبب تمردهم وعصيانهم أو سوء أعمالهم ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أي: هذا عطاؤنا لك يا سليمان فامنن أي: اعط من شئت وامنع من شئت بغير رقيب منا عليك ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ أي: له قربة ومنزلة يوم القيامة .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب ذكر المشيئة عند الرغبة في إجراء عملٍ مَّا لأن الله مالك الأشياء ومسخرها، والعبد لا يقدر على شيء إلا إذا أراد

الله ذلك كما قال عز وجل ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾[١]. ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[٢]. وفيها: وجوب التوبة من كل خطيئة يرتكبها العبد كما قال عز وجل ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٣]. وفيها: تقرير قدرة الله في تسخير المخلوقات وتوجيهها حسب حكمته وإرادته كما سخر الريح والشياطين لسليمان، وما نراه في هذا الزمان من فتح باب العلم على البشر وما أدى إليه ذلك من تقدم كبير في الصناعات ما هو إلا فتح من الله وتسخير بعض مخلوقات الله لنفعهم كلهم.

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ ﴾ في هذا: تذكير من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ بما حدث لنبي قبله هو أيوب عليه السلام أحد أحفاد

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٣ .

(٢) سورة الكهف الآية ٢٤ .

(٣) سورة النور من الآية ٣١ .

إبراهيم الخليل عليهما السلام، فقد ابتلاه الله بالمرض الشديد فلم يسلم من جسده إلا قلبه، وقد صبر على ذلك محتسبا الأجر عند ربه ولما بلغ به المرض مبلغه وطال به نادى ربه أن يكشف عنه ضره كما قال تعالى ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ النصب: سقم الجسد، والعذاب: ذهاب المال، وقد نسب ذلك إلى ما كان يلحقه من وساوس الشيطان، وفي الآية الأخرى ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1].

وقد استجاب الله دعاءه حيث أمره بتحريك رجله على الأرض لينبع له ماء يغتسل ويشرب منه؛ ليذهب عنه مافيه كما قال عزوجل ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ وقد فعل ما أمره الله به فشفي من جميع أسقامه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ أي: رد الله عليه أهله وولده وضاعفهم له ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ أي: رحمة به جزاء صبره على ما أصابه في نفسه وأهله وولده ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: في هذا عظة وعبرة لأصحاب العقول؛ ليعرفوا أن الله يعوض الصابرين ويرحمهم ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ كانت زوجة أيوب عليه السلام هي الوحيدة القائمة على خدمته فحصل منها تقصير فحلف أن يضربها مائة مرة، فلما عافاه

---

(١) سورة الأنبياء من الآية ٨٣ .

الله أمره أن يضربها بضغث، وهو عذق النخل فيه مائة شمراخ برا بيمينه ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ هذا ثناء من الله على أيوب بسبب صبره وعدم ضجره وضيقه مما حل به من المرض وفقد الولد والمال ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي: رجاع إلى ربه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير ابتلاء الله لأحد عباده، إما بالمرض في نفسه أو في ولده أو في أهله؛ ليعرف مدى صبره واحتسابه فيعوضه الله بما هو خير مما فقده والعبد فيما يصيبه إما صابر محتسب، وإما جزع، وكل يجزى بقدر ما عمل، وقد عظم الله أجر الصابرين كما قال عز وجل ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(١). ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾(٢). ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾(٣). وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: **(عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن اصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن اصابته ضراء صبر فكان خيرا له)**(٤). وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن الجزع، فلما

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٥٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٥٦ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٥٧ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير، برقم (٢٩٩٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٧٢٧٨ .

مر على امرأة تبكي عند قبر قال لها: **(اتقي الله واصبري)** فقالت: إليك عني فإنك خلو من مصيبتي، قال: فجاوزها ومضى فمر بها رجل فقال: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما عرفته، قال: إنه لرسول الله ﷺ. قال: فجاءت إلى بابه فلم تجد عليه بواباً فقالت: يا رسول الله والله ما عرفتك. فقال النبي ﷺ: **(إن الصبر عند أول الصدمة)**(١). وفيها: أن الكفارة تجب على من يحنث في يمينه كما قال تعالى ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ﴾ الآية(٢).

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ أي: اذكر يا نبينا محمد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب ما ذكر أن النبي ﷺ لم يكن له بواب، برقم (٧١٥٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص١٤٢ .

(٢) سورة المائدة من الاية ٨٩ .

أنبياءنا الذين قصصنا عليك سيرهم وما تعرضوا له من الأذى لقيامهم بالدعوة ﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ أي: أصحاب القوة في العبادة والطاعة والبصيرة في الدين ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ﴾ أي: اختصصناهم بميزة هي ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ أي: تذكرهم دائما للدار الآخرة وعملهم من أجلها وتذكير الناس بها للعمل من أجلها ﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ أي: إنهم من المختارين الأخيار الذين جبلت نفوسهم على الخير ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ﴾ أي: اذكر يا محمد هؤلاء الأنبياء ﴿وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ أي: كل منهم اختاره الله للنبوة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب القوة في الدين على بصيرة، فالإيمان لا يتحقق مع الضعف، والدين لا يظهر مع الذل، كما قال تعالى في وصف رسوله محمد ﷺ والمؤمنين معه ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾[١]. وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: (**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**)[٢] وقد استنبط الفقهاء من ذلك: أن الحاكم القوي الفاسق خير من الحاكم

(١) سورة الفتح من الآية ٢٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله، برقم (٢٦٦٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٧٢٩.

المؤمن الضعيف؛ لأن قوة الأول للأمة وفسقه عليه، وضعف الثاني ضعف للأمة وإيمانه له.

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ﴾ أي: هذا الذي قصصناه عليك يعد ذكراً لمن يريد أن يتذكر ويتفكر بما أعده الله للمؤمنين من عباده. ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ لما ذكر جل وعلا حال الأنبياء وما اختصهم به من المزايا بسبب طاعتهم ودعوتهم إليه ذكر أن للمتقين من المؤمنين والمؤمنات حسن المآب أي: المرجع إليه يوم القيامة ثم بينه تعالى بقوله ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ أي: مشرعة لهم يدخلونها بسلام ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا ﴾ أي: على السرُر ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ أي: يطلبون فيها ما يشاؤون من الفواكه والمشارب ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ أي: الزوجات اللاتي حبسن أبصارهن عن غير أزواجهن ﴿أَتْرَابٌ ﴾ أي: متساويات في أعمارهن

﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ أي: يقال لهم هذه هي حال الجنة وصفتها التي وعدكم الله بها يوم القيامة فأدخلوها بسلام آمنين ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ أي: إن رزقنا للمتقين في الجنة دائم وليس له انقطاع.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب تذكر القيامة وأهوالها؛ لما في ذلك من تحفيز القلوب على الطاعة، ولهذا قال رسول الله ﷺ: **(أكثروا ذكر هادم اللذات)**[(١)]. وقوله: **(فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت)**[(٢)]. وفيها: البيان بما أعده الله للمتقين في الجنة من نعيم أبدي لا ينقطع.

﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، برقم (٢٣٠٧)، سنن الترمذي ج٤ ص٤٧٩، والنسائي في كتاب الجنائز، باب كثرة ذكر الموت، برقم (١٨٢٣)، سنن النسائي ج٤ ص٣٠١ .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز، باب في زيارة القبور، برقم (٣٢٣٥)، سنن أبي داود ج٣ ص١٧١، وابن ماجة في كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين، برقم (١٥٧٢) سنن ابن ماجة ج٢ ص٥٠١ .

لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا
نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾
إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴾ لما ذكر الله ما للمتقين من حسن المآب، بيَّن أن للظالمين المنكرين طاعة الله وطاعة رسوله شر مآب ثم بينه بقوله ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ﴾ أي: يقاسون حرها ﴿ فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ أي: تعس فراشهم ومكانهم فيها ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ أي: ليذوقوا فيها الحميم، والمراد به: الماء الحار الشديد الحرارة ويذوقوا فيها كذلك الغساق وهو الصديد الذي يسيل من أجسام أهل النار ﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾ أي: ويذوقوا كذلك ألواناً أخرى عديدة من العذاب ﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ﴾ أي: تقول الملائكة الموكلون بالنار لأهل النار: هذا فوج جاء ليكون معكم فيقولون ﴿ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴾ أي: لا تحية لمقدمهم وإنما هم سيصلون النار فيرد عليهم الداخلون بقولهم ﴿ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ﴾ أي: لا تحية لكم فقد سببتم لنا ما نحن فيه من العذاب لاتباعنا لكم ﴿ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ أي: تعس المستقر الذي انتهى إليه هؤلاء الظلمة.

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا﴾ أي: قال الأتباع: يا ربنا إن هؤلاء هم الذين قدموا لنا العذاب؛ بسبب إغرائهم لنا بالشرك والكفر ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ أي: ضاعف لهم العذاب ﴿وَقَالُوا﴾ أي: الظلمة ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ أي: ما نرى بيننا رجالا كنا نعدهم في الدنيا ضالين ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ أي: كنا نسخر منهم يعنون بذلك المؤمنين الذين كانوا محل سخريتهم واستهزائهم ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ أي: أم مالت أبصارنا فلم نرهم بيننا في هذا المكان ؟ والخلاصة أنهم يتساءلون عن الذين كانوا يصفونهم بالضلال والشر، وكانوا يسخرون منهم في الدنيا حيث كانوا يسخرون من ضعفة المسلمين في مكة ويظنون أنهم سيكونون معهم في النار، بينما هم في الدرجات العليا من الجنة يتنعمون فيها جزاء إيمانهم وصبرهم على أذى المشركين وطغيانهم ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ أي: هذا الذي أخبرناك به يا نبينا محمداً هو تخاصم أهل النار ولعن بعضهم لبعض.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير استحقاق الطغاة والظلمة للعذاب يوم القيامة. وفيها: تقرير التخاصم بين أهل النار حين يدخلونها

فوجا بعد فوج كما قال تعالى ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾[1]. وفيها: أن المشركين يتذكرون في النار ضعفة المسلمين الذين كانوا ينكلون بهم ويزعمون أنهم ضالون وأشرار، ولم يعلموا أنهم في الجنة؛ لقاء إيمانهم وصبرهم على ما نالهم من الطغاة، وفي هذا قول الله تعالى عنهم ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2]. وقوله ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3].

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ (٦٦) قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٧٠) ﴾.

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٣٨ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٤٤ .

(٣) سورة الأعراف الآية ٥٠ .

بيان الآيات:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ﴾ هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ أن يقول لمشركي قومه: إنما أنا منذر لكم من عذاب الله ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ أي: ليس من إله في الوجود إلا الله ﴿ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ أي: هو الواحد الأحد القهار الذي قهر بعزته وقوته الطغاة ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ أي: هو الخالق للسموات والأرض وما بينهما المتصرف فيهما بحكمته وإرادته ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾ أي: العزيز بقوته وعظمته، الغفار للتائبين من عباده ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴾ أي: قل يا محمد لقومك إن هذا القرآن الذي أتيتكم به لأمر عظيم، فيه قصص من سبقكم من الأمم وما حل بالظالمين منهم من الهلاك، وفيه أحكامكم وأمور دينكم ودنياكم، فإذا آمنتم به وصدقتموه حصلت لكم العزة في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة ﴿ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ أي: أنتم عنه غافلون لأنكم لا تدرون عن عظمته وما فيه من الهداية لكم ﴿ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ أي: ما كان لي علم ولا دراية بما حصل في الملأ الأعلى من سجود الملائكة لآدم وامتناع إبليس ومخاصمته لآدم ومحاججته لربه في تفضيل آدم عليه، فلولا الوحي الذي يوحيه الله إليّ لما علمت ذلك وهو قوله ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: لست أطلب

ملكا عندكم ولا عزا منكم، بل ما أريد منكم إلا الإقرار بوحدانية الله في عبادته والتبرئ من الشرك به وتصديق ما جاء في كتابه ثم ذكر لهم عليه الصلاة والسلام الخصام الذي حصل في الملأ الأعلى بموجب الوحي الذي أوحاه الله إليه كما سيأتي.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن رسول الله ﷺ منذر لقومه وغيرهم من الأمم من سوء عاقبة الشرك. وفيها: أن القرآن الذي أنزله الله عليه نبأ عظيم، وفيه خير للإنسانية جمعاء إذا عملت بأحكامه. وفيها: أن من دلائل نبوة رسول الله محمد ﷺ ما أوحى الله إليه بما حدث في الملأ الأعلى حين استكبر إبليس عن السجود لآدم وجادل فيه ثم طرده الله من رحمته، فما كان رسول الله ﷺ ليعرف ذلك إلا من وحي أوحاه الله إليه .

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ
وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا
مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ
أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ
رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ

يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾
قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ
﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

في هذه الآيات: بيان ما دار من حديث بين الرب سبحانه وتعالى وبين إبليس حول امتناعه من بين الملائكة عن السجود لآدم فابتدأ جل وعلا بقوله ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ أي: قال للملائكة: إني سأخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ أي: إذا أصبح بشرا سويا ﴿ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ أي: اسجدوا له سجود شكر وتقدير، لا سجود عبادة؛ لأن سجود العبادة لا يجوز إلا لله ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ أي: امتثلوا كلهم ما أمروا به ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ أي: امتنع عن السجود لآدم تكبرا وعتوا، فكان بذلك من العاصين لأمر الله ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ أي: ما الذي منعك أن تسجد لآدم مع أني قد أمرتك بذلك ثم وبخه الله بهذا الاستفهام ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ أي:

هل استكبرت لما أمرتك أم كنت أصلا من المستكبرين فقال إبليس ﴿ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ وحجة إبليس فيما صنع أنه خلق من النار، وآدم خلق من الطين، فلا يسجد من خلق من نار لمن خلق من طين، وحجته في ذلك -لعنه الله- داحضة، فالطين أفضل من النار فهو قرار الإنسان في الأرض، ومنه تنبت للناس أرزاقهم، وهو يطفى النار إذا وضع عليها وهو أمان الإنسان وفراشه ومهاده، بينما النار عذاب له تحرق ما تأتي إليه ونهايتها فساد وخراب فلا مقارنة بينهما.

﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ أي: قال رب العزة لإبليس: اخرج من الجنة فإنك ملعون ومطرود من رحمتي ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ أي: سوف تتبعك اللعنة إلى يوم القيامة، لا تفارقك أينما كنت. فلما عرف ما حل به من اللعنة، وأنه مطرود من رحمة الله ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ أي: أبقني حيا لكي أعمل على إغواء ذرية آدم فقال الله عز ذكره ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ أي: من المستثنين من الموت ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ وهو نفخ إسرافيل في الصور؛ لقيام الناس لرب العالمين فتموت مع الخلائق وإمعانا من إبليس في الكفر والطغيان ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي: سوف أغوي جميع بني آدم ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ

ﱡﭐ ٱلْمُخْلَصِينَ ﱠ ومراده أولئك الذين أخلصوا دينهم لله، فهؤلاء اعترف أنه لن يقدر عليهم؛ لأنه يعرف قوة إيمانهم وقدرتهم على ترك المعاصي. وقد رد عليه رب العزة والجلال هكذا ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ أي: أنا الحق وأقول الحق ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: أقسم جل وعلا أنه سيملأ جهنم من إبليس ومن أتباعه من الإنس والجن.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن ادعاء إبليس لعنه الله بفضل النار على الطين ادعاء باطل؛ لأن الطين في جميع أحواله أفضل من النار فاقتضى هذا أن بني آدم أفضل وأكرم من الجن المخلوقين من النار. وفيها أن سبب امتناع إبليس عن السجود لآدم مصدره الحسد، وهذا من أشد الخطايا. وقد ذم الله من يحسد الناس على ما أنعم به عليهم لقوله تعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[1]. وقد أمر الله رسوله محمداً ﷺ أن يتعوذ من الحسد بوصفه شرا بقوله ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[2]. وفيه قول رسول الله ﷺ: (إن

(١) سورة النساء الآية ٥٤ .

(٢) سورة الفلق الآية ٥ .

الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)[١].

وفي هذه الآيات: ذم الكبر والاستعلاء كما قال عز وجل ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[٢]. وقد توعد الله المتكبرين بالعذاب بقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٣]. وفي الحديث قول رسول الله ﷺ: **(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)**[٤]. وفيها أن الشيطان لا يستطيع اغواء المؤمنين الأقوياء في إيمانهم.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي قل يا محمد للمشركين من قومك المكذبين لك: إني لا أسألكم منفعة من منافع الدنيا مقابل دعوتي لكم

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الحسد، برقم (٤٩٠٣)، سنن أبي داود ج٤ ص٢٩٩، وابن ماجة في كتاب الزهد، باب الحسد، برقم (٤٢١٠)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٤٠٨ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٣٧ .

(٣) سورة غافر من الآية ٦٠ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تحريم الكبر وبيانه، برقم (٩١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٧٣٥ .

ونصحي لكم ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي ولست متقولا فأزيد على ما أرسلت به إليكم، بل أبلغكم ما أمرت أن أبلغكم به من غير زيادة ولا نقصان ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي هذا القرآن الذي جاءكم ما هو إلا ذكر وهداية للإنس والجن ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾ أي سوف تعلمون خبره وصدقه بعد موتكم وتعلمون ما فيه من البشارة للمتقين والعذاب للمكذبين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: عدم جواز أخذ الأجرة على الدعوة إلى الله، فهي محرمة على الأنبياء والرسل؛ لأن الله أغناهم بفضله فعاشوا من كسب أيديهم؛ فداود كان صانعا، وإدريس كان نجارا، وكلهم رعوا الغنم ونبينا ورسولنا محمد ﷺ فعل ذلك في صغره ثم أغناه الله بما أحل له من الغنائم، خلافا للأنبياء قبله ممن حرمت عليهم، أما بالنسبة للدعاة من غير الأنبياء فإن كان لهم -كما سبق ذكره- رزق يجري عليهم لم يحل لهم أخذ الأجرة على دعوتهم، فإن لم يكن لهم رزق حل لهم أخذ الأجرة مقابل انقطاعهم عن طلب معاشهم؛ بسبب انشغالهم بالدعوة إلى الله. وفيها: تحريم التكلف في القول بما يؤدي إلى ضياع الحق وظهور الباطل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الزمر

مكية وآياتها خمس وسبعون آية

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ هذا بيان من الله أن القرآن نزل من عند الله نزولا لا شك ولا مراء فيه، وأنّ نزوله من اللوح المحفوظ من عند الله ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ بعظمته ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في تدبيره ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: أنزلنا إليك يا نبينا محمد هذا القرآن بالحق أي: أن كل ما جاء فيه من أخبار الأمم وأحكام الدين وأحكام الدنيا فهو حق ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: كما بيّن لك القرآن طريق الحق، فالتزم واعمل به بحيث تعبد الله وتكون عبادتك خالصة له وحده ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾ أي: أن الدين كله لله فلا

يقبل منه إلا ما جعله العبد خالصا له وحده لا شريك له ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: جعلوا لله شركاء قالوا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أي: ما عبدناهم إلا تقربا إليهم ليشفعوا لنا عند الله فيما نحتاجه من أمور دنيانا وآخرتنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: سوف يحكم الله بالعدل بين خلقه يوم يعودون إليه فيجازي المحسن على إحسانه والمسيئ على إساءته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ أي: لا يهدي الله من يفتري الكذب عليه ويكفر بآياته فهذا قد أضل نفسه فأضله الله.

وبعد ذلك رد الله على المشركين العرب مقولتهم الكاذبة أن الملائكة بنات الله وقول اليهود: إن عزيرا ابن الله وقول النصارى: إن المسيح ابن الله فقال عز ذكره ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أي: لو أراد أن يتخذ ولدا -وحاشاه- لم يكن كما يزعمون، بل اختار من يشاء من خلقه، ولكنه قد نزه نفسه عن الصاحبة والولد فأصبح من ينسب إليه الولد كافرا ظالما لنفسه ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ أي: تقدس وتنزه، فهو الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وهو القهار للطغاة والجبابرة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بنزول القرآن على نبي الله ورسوله محمد

ﷺ والآيات والشواهد في هذا كثيرة منها قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١). ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾(٢). وفيها: الحكم بوجوب توحيد الله واخلاص العبادة له وحده؛ لأنه المستحق للعبادة وحده كما قال تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾(٣). وفيها: الحكم بتحريم الشرك بأي صفة من صفاته الاعتقادية، وتقرير خسران المشركين في تقربهم إلى الله بعبادة الأصنام كما قال عز وجل لنبيه ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٤). ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(٥).

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾.

(١) سورة الشعراء الآية ١٩٢ .
(٢) سورة الشعراء الآية ١٩٣ .
(٣) سورة الأنبياء الآية ٢٥ .
(٤) سور ةالزمر الآية ٦٥ .
(٥) سورة الزمر الآية ٦٦ .

بيان الآيتين:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ لما بين جل وعلا نزول الكتاب بالحق، ووجوب إخلاص العبادة له وحده حكم بأنه هو الذي خلق السموات والأرض، وذلك لحكمة حكمها وقدر قدره، وقد اقتضى هذا خلقهما بالحق، وليس لمجرد العبث وحاشاه ذلك كما قال عز وجل ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[(١)]. ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ أي: جعلهما يجريان متعاقبين لا يتوقفان ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾ أي: سخرهما يجريان بقدرته وعظمته إلى مدة لا يعلمها إلا هو ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ أي: هو العزيز بقوته على الطغاة والجبابرة والمتكبرين الغفار لمن أناب إليه ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي: من آدم عليه السلام حيث مسح بقدرته على ظهره فأخرج منه ذريته ثم أشهدهم على أنفسهم بربوبيته كما قال عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[(٢)]. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي: وجعل من آدم زوجته حواء تحقيقا للحكمة

---

(١) سورة ص الآية ٢٧ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٢ .

الإلَهية بوجود التزاوج بين الذكر والأنثى ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ وهذه الأنعام هي ما ذكره في قوله عز وجل ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾[١]. وقوله ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾[٢]. ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أي: جعلكم في بطون أمهاتكم ﴿خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي: تدرجكم في هذه البطون من نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما تكسى باللحم ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ هي ظلمة الرحم وظلمة المشيمة وظلمة البطن ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ أي: الذي خلق السموات والأرض وخلقكم هو ربكم الذي له ملك كل شيء في الوجود ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا إلَه غيره ولا معبود بحق إلا هو ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ أي: كيف فسدت عقولكم فصرفتموها عن عبادته.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن الله هو الذي خلق الكون بكل مافيه من المكونات الدالة على عظمته وقدرته، وأن هذا الخلق يقتضي حكما توحيده بالعبادة. وفيها: تقرير قدرته عز وجل في تسلسل خلق الإنسان في مكنونات ثلاث من الظلمات. وفيهما: العجب العجاب من هذا الإنسان الذي يعرف أن الله هو الذي خلق الكون، وأنه مخلوق من بينه ومع ذلك يصرف العبادة لغيره.

---

(١) سورة الأنعام من الآية ١٤٣ .

(٢) سورة الأنعام من الآية ١٤٤ .

﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ﴾ لما بيَّن عز وجل كمال قدرته في خلق المخلوقات واستحقاقه المطلق للعبادة، بيّن أنه غني عن المخلوقات فلا تنفعه طاعتهم، ولا تضره معصيتهم، ولكنه لا يحب لعباده الكفر لأن في كفرهم ضرراً لهم وهو لا يريد لهم هذا الضرر كما قال عز ذكره ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ قوله ﴿ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ أي: إذا شكرتموه يرضى عنكم ويجزيكم ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أي: لا تحمل نفس عن نفس شيئا من الأوزار والأثقال، فكل مسؤول عن عمله، وهذا من عدل الله ورحمته بعباده ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ ﴾ أي: سوف ترجعون إليه بعد الممات ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: ستجدون صحائف أعمالكم مدونة فيها أفعالكم وأقوالكم ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ أي: يعلم مافي بواطنكم وظواهركم فيجازيكم على أعمالكم ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ ،

﴿مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ أي: إذا تعرض الإنسان لنازلة أو مصيبة عرف ربه حق المعرفة فدعاه يستغيث به ويتضرع إليه ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ أي: إذا كشف عنه الضر أو أنعم عليه بنعمة نسي دعاءه وتضرعه ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: جعل لله شركاء يعبدهم ويتقرب إليهم ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ أي: قل يا محمد لمن كان هذا مسلكه في جحود نعمة الله عليه وعبادة غيره: استمتع بكفرك قليلا في الدنيا وستكون من أهل النار جزاء كفرك.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير غنى الله عن خلقه؛ لأنه لم يخلقهم لقصد نفع له أو دفع ضر عنه فحاشاه ذلك، وإنما خلقهم لمنفعتهم إذا عبدوه وفي هذا قال تعالى ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾(١). وقوله في الحديث القدسي: **(ياعبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا)**(٢).

---

(١) سورة إبراهيم من الآية ٨ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٩٢ .

وفيهما: أن شكر العبد الله يرضيه عنه ويجزل له الثواب كما قال تعالى ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾(١). وفيهما: تحديد مسئولية الإنسان في نفسه، فلا يسئل عن غيره كما قال تعالى ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾(٢). وقوله ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(٣). وفيهما: تقرير سلوك بعض الإنسان وجحوده لنعم ربه، فإذا نزلت به ضائقة من ضوائق الدنيا لجأ إلى ربه متضرعا مستكينا، فإذا كشف الله ضوائقه عاد إلى الكفر به كما قال عز وجل ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾(٤).

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)﴾.

بيان الآية:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ أي: هل المتعبد لله المطيع له، المتهجد في الليل في سجوده وقيامه ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ أي: يحذر عذاب يوم القيامة ويرجو الله أن يمن عليه

(١) سورة إبراهيم من الآية ٧ .
(٢) سورة النجم الآية ٣٩ .
(٣) سورة المدثر الآية ٣٨ .
(٤) سورة الإسراء الآية ٦٧ .

برحمته فينجيه من عذابه؟ هل هذا مثل من أشرك بالله وكفر به وانتهك محارمه؟ والجواب أنهما لا يستويان؛ فبينهما من الفوارق مثل ما بين السماء والأرض ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: قل يا نبينا محمداً لهؤلاء المشركين: هل يستوي الذين يعلمون دين الله وما أوجبه عليهم من فعل الطاعات وترك المحرمات واتباع ما جاء به رسول الله من الآيات البينات، مثل الذي لا يعلم ذلك ؟ والجواب: أن هذين الجنسين من البشر لا يستويان بأي حال ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: لا يتذكر ويعلم الفرق بين هذا وذاك إلا أصحاب العقول السليمة.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير عدم المقارنة بين القانت لله المطيع له في الليل والنهار وبين الكافر المنتهك لحرماته. وفيها: الحكم بأن المؤمن القانت أفضل عند الله وأقرب إليه من الكافر الذي أبعده الله وأبغضه لكفره ومعصيته. وفيها: تقرير عدم المماثلة بين العالم بأوامر الله ونواهيه وبين من لا يعلم ذلك، وأن العالم في جميع الأحوال أفضل من الجاهل. وفيها: تقرير أنه لا يعلم الفرق بين المتضادات إلا أصحاب العقول والأفهام الصحيحة.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا

حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّيٓ
أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ أن يقول للمؤمنين: اتقوا ربكم أي: امتثلوا ما أمركم به واجتنبوا ما نهاكم عنه، واجعلوا تقواه بين أعينكم في سركم وعلانيتكم ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ أي: أن من أحسن في الدنيا واتقى الله وأطاعه سوف يجزى أحسن الجزاء وهو الجنة ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ أي: إن لم تقدروا على طاعة الله وتقواه في الأرض التي كنتم فيها، فهاجروا إلى غيرها؛ لأن أرض الله واسعة ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: سوف يوفى الصابرون على طاعة الله والمهاجرون في سبيله أجورهم بغير حد محدود ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: قل يا محمد للمشركين: إن الله أمرني أن أعبده وحده وأن أخلص له في طاعتي وعبادتي، فلا أدعو معه أحدا ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: أمرني أن أكون أول المسلمين في هذه الأمة مستسلما له بروحي وجوارحي.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: دعوة الله للمؤمنين من عباده أن يزدادوا تقوى على

تقواهم حتى يكون ذلك أعظم لأجورهم. وفيها: وجوب الهجرة من الأرض التي لا يقدر المسلم على أداء عبادته فيها إلى الأرض التي يقدر فيها على أداء هذه العبادة؛ لأن الأرض كلها لله وهي واسعة لعباده كما قال عز وجل ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[١]. وفيها: الحكم بأن الصابرين على تقوى الله والهجرة في سبيله يوفون أجورهم دون عد أو حساب لها.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هذا أمر من الله لرسوله أن يقول للمشركين: إني أخاف إن أشركت مع الله غيره أو رضيت بذلك أن يعذبني يوم القيامة بالعذاب العظيم ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ ﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: قل لهم كذلك: إني أعبد الله وحده، فلا أعبد معه غيره، أما أنتم أيها المشركون به فاعبدوا

---

(١) سورة النساء من الآية ١٠٠ .

ما تشاؤون من دونه، وسوف يجازيكم على ما تعملون، وفي هذا تهديد لهم وبراءة من شركهم ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: قل لهم: إن الخاسرين هم الذين افترقوا مع أهليهم يوم القيامة فلا اجتماع لهم حين يكون أهلوهم في الجنة وهم في النار أو يكونون مثلهم فيها ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: هذا العذاب وهذا الافتراق هو الخسران الظاهر، ثم بيَّن حالهم في النار بقوله ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ أي: تظلهم من فوقهم ومن تحتهم طبقات من النار يصلون حرها وعذابها ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ أي: يخوف الله عباده من هذا الخسران ومن هذا العذاب المتراكم ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ هذا دعوة من الله للمؤمنين أن يتقوه حتى يدخلهم جناته وينجيهم من عذابه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بوجوب عبادة الله وحده واخلاص الدين كله له، وأن العبادة الصحيحة هي التي تكون وفق دين الإسلام. وفيها: تقرير أن الخاسرين هم الذين يخسرون أهليهم يوم القيامة حين يحول الكفر بينهم، خلافا للمؤمنين الذين تتبعهم ذريتهم كما قال عز وجل ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍۚ كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[1]. وفيها: تقرير حال أهل النار

(١) سورة الطور الآية ٢١ .

حيث يظلهم العذاب من فوقهم ومن تحتهم كما قال عز وجل ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾[1].

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا ﴾ قيل: نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر وسلمان الفارسي رضوان الله عليهم فقد اجتنبوا الطاغوت في جاهليتهم، ووحدوا الله قبل مبعث رسول الله ﷺ[2] ﴿ وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ أي: عملوا في طاعته ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ﴾ أي: لهم البشارة بالجنة عند موتهم وفي قبورهم ويوم مبعثهم وهذه الآية وإن كانت نزلت فيهم، فهي عامة لجميع المؤمنين الذين يجتنبون الشرك ويوحدون الله ويخلصون العبادة له وحده ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ أي: بشر يا محمد عباد الرحمن الذين يستمعون القول والمراد به: القول الحسن فيهديهم إيمانهم بالله وتعلقهم به إلى اتباع أحسن الأقوال، وليس من قول أحسن ولا أعظم ولا أزكى من كتاب الله وما تحدث به رسوله محمد ﷺ وهو

---

(١) سورة الأعراف الآية ٤١ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٨٥ .

يوجه امته بما اوحى الله به إليه ثم وصفهم الله بقوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ أي: وفقهم للهداية في الدنيا والآخرة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ أي: ومن صفاتهم أنهم ذوو العقول الصحيحة.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير ثناء الله وبشراه للذين يجتنبون الطاغوت وهو كل من صد عن سبيل الله ودعا إلى الباطل. ومن صفات المبشرين: استماعهم للقول واتباعهم لأحسنه، وأحسنُ القول وأعظمه: كتاب الله وما جاء عن رسوله محمد ﷺ.

﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ (١٩) لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ (٢٠)﴾.

بيان الآيتين:

﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ أي: من وجبت له الشقاوة؛ بسبب كفره وعناده ومعاداته لما جئت به من الهدى كما فعل زعماء الكفر في مكة هل تقدر يا محمد على إنقاذه من النار؟ الجواب بالنفي ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾ أي: آمنوا به وصدقوا ما جاء به رسوله ﴿لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ﴾ أي: لهم مساكن في الجنة عبارة عن قصور عالية، القصر فوق القصر

﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ أي: تجري الأنهار من تحت هذه القصور ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ أي: هذا ما وعد الله به المتقين من عباده ووعده الحق، وحاشاه أن يخلف الميعاد.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير أن من زاغ عن طريق الحق وكفر بما جاءه من البينات وأضله الله فلا يقدر أحد على هدايته، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل. وفيهما: الحكم بأن وعد الله الذي وعد به المتقين حق وحاشاه أن يخلف الميعاد.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ (٢١) أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢٢) ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ إن من رحمة الله بعباده أن يبين لهم حقائق قدرته وعظمته حتى يكون ذلك حافزا لهم على الإيمان به، والبعد عن معصيته فيجتنبوا بذلك عقابه فخاطب نبيه ورسوله بأنه وحده الذي ينزل الماء من السماء إلى الأرض فينبث في

مسالكها فتكون منه ينابيع أي: مجاري ثم يستخدمه العباد فيُنبت الله تعالى لهم به الزرع المختلف في ألوانه وأنواعه كما قال تعالى ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَابِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي: يتغير فيكون يابسا ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ أي: بعد تحوله من الرطوبة إلى اليبوسة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ أي: يتحطم بعد خضرته ونضارته ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: في هذا الذي ذكرناه لك يا نبينا محمداً عبرة لذوي العقول والفطر المستقيمة ليعرفوا أن الدنيا مثل هذا الزرع الذي يزدهر ثم يتحول إلى حطام فحال الدنيا كذلك حين ينتقل الإنسان فيها من الطفولة إلى مرحلة الشباب ثم الكهولة ثم الشيخوخة ثم الممات.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: إن من أضاء قلبه الإسلام فاستنار بنور الإيمان واتقى الله في سره وعلانيته لا يتساوى مع من جعل الله صدره ضيقا حرجا بسبب كفره ومعاصيه ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: تبا لهؤلاء الذين قست قلوبهم فنسوا ذكر الله فلا تخشع عند ذكره ولا تسمع نداءه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: هؤلاء هم الضالون الضلال المبين.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: بيان عظمة الله وقدرته في إنزال الماء من السماء إلى الأرض وتصريفه فيها؛ ليكون نفعا للخلق في معاشهم وأرزاقهم

وفي مظاهر هذه القدرة العظيمة عبرة لذوي العقول وتحفيز لهم على الإيمان بالله وليعلموا أن الدنيا مجرد متاع مثل الزرع الذي يتحول في نهايته إلى حطام. وفيهما: تقرير أن القلب الذي ينشرح بنور الإسلام والإيمان يختلف عن القلب الذي قسا من عدم ذكر الله كما قال تعالى ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[1].

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)﴾.

بيان الآية:

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ هذه الآية نزلت لما قال الصحابة لرسول الله ﷺ: حدثنا[2] والمراد أن الله نزل عليكم القرآن، وهو أعظم حديث في ألفاظه ومعانيه، وأشمل حديث في قصصه وآياته جعله في أروع بيان، وأفصح لسان وبسط فيه ما يحتاجه الخلق من الأحكام وحفظه من شرور الشياطين وأباطيل المبطلين، فكان أفضل كتاب أنزله ليهدي الله به من تدبر معانيه واهتدى بآياته، وفيه: البشارة

---

(١) سورة الأنعام من الآية ١٢٢ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٨٦ .

للمؤمنين والنذارة للمعرضين كما قال عز وجل ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[١]. ﴿ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[٢]. قوله ﴿مُّتَشَٰبِهًا ﴾ أي: يشبه بعضه بعضا في آياته وحروفه وإعجازه ﴿مَّثَانِىَ ﴾ أي: متكرر الأحكام والدلائل حتى يكون أبلغ في البشارة للمؤمنين والنذارة للمعرضين وإزاحة غشاوة الجهالة التي كانت مسيطرة على عقول الكفرة والمشركين ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ أي: تضطرب وتتحرك من سماعه جلود المؤمنين الذين يخشون ربهم، خوفا مما جاء فيه من الوعيد للذين أعرضوا عن أمر ربهم ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ أي: تهدأ وتطمئن جلودهم وقلوبهم إذا سمعوا مافي القرآن من الذكر والوعد الذي وعدهم الله به من مجازاتهم بالجزاء الأوفى إذا آمنوا به واتبعوا أحكامه ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ أي: إن هذا القرآن هو الهدى الذي يمن الله به على من يشاء من عباده فيوفقه للإيمان به والعمل بما فيه ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ أي: من يضلله الله بسبب كفره وعناده فليس له من هاد يهديه أو مرشد يرشده.

(١) سورة الإسراء الآية ٩ .

(٢) سورة الإسراء الآية ١٠ .

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بأن القران أحسن حديث، وأعظم كتاب في ألفاظه ومعانيه، وإعجازه، ومحكمه ومتشابهه؛ لأنه كلام الله ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[١]. وفيها: تقرير أن المؤمنين هم الذين يخشعون لسماع كلام الله فيخافون مافيه من الوعيد للمعرضين ويفرحون بما فيه من الوعد للمؤمنين كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٢].

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: أن من يتلقى بوجهه سوء العذاب يوم العرض وهو ذليل مهان مصفد في الأغلال ليس مثل من وقاه الله سوء هذا العذاب؛ وذلك لأنهما لم

(١) سورة النساء من الآية ٨٧ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٢ .

يستويا في العمل في الدنيا؛ فهذا أعرض عن ذكر الله وكفر بآياته فليس له إلا أن يتلقى العذاب بوجهه، وهذا أقبل على ذكر الله وصدق آياته وعمل بأحكامه فوقاه الله شر ذلك العذاب ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ أي: قيل لهم: هذا جزاؤكم على أعمالكم في الدنيا كما قال تعالى ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾[1].

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي: كذب قبل المشركين في مكة أقوام وأمم كقوم نوح وهود وصالح ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ أي: أتاهم العذاب بغتة وهم ساهون في كفرهم وشركهم ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: أذاقهم الذل والمهانة في الدنيا بما أنزل عليهم العذاب المباغت لهم ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُ﴾ أي: أن عذاب الآخرة أشد وأقسى من عذاب الدنيا ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ أي: لو كانوا يؤمنون بما جاءهم من العلم والبينات لما كان مصيرهم هذا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير عدم المماثلة في الجزاء يوم القيامة بين من يتقي بوجهه سوء العذاب بسبب كفره وبين من وقاه الله سوء هذا العذاب؛ بسبب إيمانه ورحمة الله له فهما كما لم يستويا في العمل في

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٥١ .

الدنيا لن يستويا في الجزاء يوم القيامة، وهذا من عدل الله بين خلقه. وفيها: تحذير المشركين في مكة أن ما حل بالأمم قبلهم من العذاب المباغت قد يحل بهم وهو في الوقت نفسه تحذير عام للناس في كل زمان ومكان. وفيها: أن الذل والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة ما كان ليصيب أقواما أو أمما إلا بسبب عدم إيمانهم بما جاءهم من العلم عن أهوال يوم القيامة.

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه ضرب للناس من العرب وغيرهم أمثالا في القرآن عمن سبقهم من الأمم ومن هلك منها ومن نجا ﴿ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: يعتبرون بما حل بالأمم قبلهم ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ أي: إن القرآن الذي ضرب الله فيه الأمثال قرآن عربي لا عوج فيه ولا إبهام ولا لبس، بل هو واضح المعاني والبيان والبرهان

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: لعلهم يتدبرونه فيعلموا ما فيه من الوعد للمتقين، وما فيه من الوعيد للمعرضين ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ أي: ضرب الله مثلا لرجال يملكون رجلا وهم متشاكسون أي: متنازعون بينهم فيه ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ أي: سالما لرجل لا يشاركه فيه غيره ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ والجواب أنه لا يستوي هذان. وهذا المثل ينطبق على المشرك والمؤمن فهما لا يستويان؛ لأن المشرك يعبد أوثانا وأصناما من الحجارة لا تملك نفعا ولا ضرا، بينما المؤمن يعبد إلَها واحدا دلت كل الدلائل الحكمية والعقلية على وحدانيته في ربوبيته، وألوهيته وأسمائه وصفاته ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: له الحمد والثناء والشكر على ما بيَّنه للمؤمنين وأقام به الحجة على الكافرين ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: أن أكثر المشركين لا يعلمون ولا يفهمون ضرب الأمثلة؛ بسبب ما ران على عقولهم من الجهل والبعد عن الله ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ هذا بيان من الله جل وعلا لنبيه ورسوله محمد ﷺ وأمته أنه ما من أحد سيبقى في الدنيا، فالكل مآله إلى الموت، وقد نزلت هذه الآية لما كان المشركون قد ضاقوا ذرعا برسول الله فتمنوا موته، فبين الله أن نبيه ورسوله سوف يموت، وأنهم سيموتون حتما، ولن يبقى على الأرض من دابة ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ أي: يختصمون أمام ربهم فيما اختلفوا فيه

في الدنيا، فيحكم بينهم بعدله ويجزي كل عامل بما عمل كما قال عز وجل ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[١].

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير فوائد ضرب الأمثال للناس لتقريب الأحكام لعقولهم لقوله تعالى ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾[٢]. وقوله عز ذكره ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[٣]. وفيها: ضرب المثل للفرق بين الموحد لله المخلص له العبادة، وبين المشرك الذي يعبد الأصنام. وفيها: الحكم أن كل مخلوق في الدنيا سيذوق الموت لقوله عز وجل ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[٤]. وفيها: تقرير الاختصام بين الخلق يوم القيامة فيخاصم المظلوم الظالم، والصادق الكاذب، وفي هذا: روى الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: لما نزل قول الله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ قلت: يا رسول الله أتكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟ قال رسول

---

(١) سورة يس الآية ٥٤ .

(٢) سورة الروم من الآية ٢٨ .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٤٣ .

(٤) سورة العنكبوت الآية ٥٧ .

الله ﷺ: (نعم) فقال: إن الأمر إذاً لشديد[١]. والاختصام يقتضي القضاء، والله هو الذي يقضي بين الخلق فيما اختلفوا فيه، فيقتص كل مظلوم من ظالمه حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء كما قال رسول الله ﷺ[٢].

﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يقول الحق تبارك وتعالى في خطابه للمشركين الذين كذبوا على الله، فجعلوا الملائكة بناته وكذبوا على رسوله فاتهموه بالسحر والكذب، والمراد أنه لا أحد أظلم ممن كذب على الله ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ﴾ أي: كذّب الله بإنكاره ما جاء منه وكذّب رسوله بنفي ما قاله عن وحي الله إليه

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب (٤٠)، من سورة الزمر، برقم (٣٢٣٦)، سنن الترمذي ج٥ ص٣٤٤.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٩٥.

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: الكاذبين المنكرين لما جاءهم من الحق ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ أي: الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذي صدق به هم الذين آمنوا وصدقوا ما جاء به ثم وصفهم بقوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: لهم الجنة عند ربهم يرزقون منها ما يطلبونه ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: هذا جزاء المحسنين الذين أحسنوا عملهم فأحسن الله إليهم بثوابه ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ أي: يكفر عنهم خطيئاتهم وسيئاتهم ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: يضاعف لهم أجورهم الحسنة بعشر أمثالها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تحريم الكذب على الله وعلى رسوله، والحكم بأنه لا أحد أظلم ممن يكذب عليهما. وفيها: وجوب الصدق في القول والعمل وقد أثنى الله على الصادقين في قوله عز وجل ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[1]. وقوله ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾[2]. وقوله ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[3].

---

(١) سورة الأحزاب من الآية ٢٣ .
(٢) سورة مريم من الآية ٥٤ .
(٣) سورة الحشر من الآية ٨ .

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: **(لا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ..)** الحديث[(١)].

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ هذا استفهام تقريري وجوابه: بلى إنه جل وعلا حارس لرسول الله ﷺ وحارس له من المشركين الذين تمنوا موته، ثم حاولوا قتله ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ أي: يخوفونك يا محمد بأصنامهم وأوثانهم، فلا تخشهم فإن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ أي: من يضلله الله؛ بسبب ذنوبه وكفره فلا يهديه أحد من بعده ﴿ وَمَن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، برقم (٢٦٠٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٦٣٧ .

يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ أي: من يهده الله فلا أحد يقدر على إضلاله ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ وهذا أيضا استفهام تقريري ونقول بلى: فالله هو العزيز بقوته وعظمته وينتقم من أعداء دينه.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾ المراد بهم المشركون، فهم يعترفون بأن الله هو الخالق الرازق مصرف كل شيء ومدبره، ولكنهم مع اعتقادهم هذا يشركون في عبادته آلهتهم ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ أي: لو أصابني ضرر كمرض ونحوه هل هن كاشفات ضره؟ ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ﴾ أي: لو أرادني الله بخير هل تستطيع هذه الآلهة إمساك رحمته عني؟ والجواب معلوم وهو أنها لا تستطيع؛ لأنها جماد لا تملك نفعا ولا ضرا ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ﴾ أي: قل لهم: إن الله كافيني ومعينني ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي: يتوكل عليه عباده المؤمنون الذين يتعلقون به ويثقون في نصره لعباده ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ﴾ أي: قل يا محمد للمشركين من قومك: إذا كنتم تصرون على شرككم وعلى تكذيبي لما جئتكم به فاعملوا على طريقتكم التي أنتم تسيرون عليها، وإني عامل على حالتي ومنهجي الذي أمرني الله به من عبادته وحده والبراءة من الشرك به ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿مَن

﴿يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ﴾ أي: سوف تعلمون من سيحل به عذاب يهينه ويذله في الدنيا ويوم القيامة، وقد حصل للمشركين عذاب الدنيا وخزيها يوم قتلوا في معركة بدر وغيرها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله كاف أي: حارس عبده ورسوله محمدا ﷺ ومعينه، وقد فعل ذلك عز وجل حيث نصره على أعدائه، ووقاه شر مكايدهم وتدبيرهم لقتله حين تآمر المشركون عليه في مكة، وحين تآمر عليه المنافقون واليهود في المدينة، كما أن الله كاف عباده المؤمنين في أي زمان أو مكان لقوله تعالى ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾[1]. وفيها: تقرير أن الأصنام والأوثان لا تنفع أحدا ولا تضره وأن تخويفهم بها عمل كاذب. وفيها: تقرير أن الله عز وجل هو الهادي، فلا يهدي أحد من أضله ولا يضل من هداه. وفيها: تقرير اعتراف المشركين بربوبية الله وجحودهم لوحدانيته. وفيها: وجوب توكل العباد على الله في كل أمورهم؛ لأنه كافيهم وحافظهم لقوله تعالى ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾[2]. وقوله ﴿وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾[3].

(١) سورة غافر الآية ٥١ .
(٢) سورة الطلاق من الآية ٣ .
(٣) سورة يوسف من الآية ٦٧ .

وقوله ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[١].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾.

بيان الآية:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد إنا أنزلنا عليك القرآن ﴿لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: أنزلناه هدى ورحمة للخلق أجمعين إنسهم وجنهم ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ أي: إن من آمن به وصدقه، فإن نفع ذلك يعود له لأن الله غني عن خلقه ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي: أن من ضل عن الطريق المستقيم الذي بينه القرآن؛ فإن ضلاله يعود عليه ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ أي: ما أنت إلا مبلغ لهم ما جاءك من الحق، أما أمر هدايتهم فمرده إلى الله.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بأن الله نزل كتابه الكريم بالحق ليحق به الحق ويبطل به الباطل. وفيها: تعزية رسول الله ﷺ عما كان يجده من قومه من التكذيب والعناد. وفيها: تقرير أن هداية الإنسان لنفسه

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٦٥ .

وضلاله عليها. وفيها: تقرير أن رسول الله ﷺ مبلغ للناس وليس بوكيل عليهم لقوله عز وجل ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾(١).

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٤٢﴾.

بيان الآية:

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ هذا بيان من الله عزوجل أنه يقبض الأرواح بعد نهاية آجالها، فتقوم الملائكة بإخراجها من الأجساد ﴿وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا﴾ أي: يقبض بمعنى يحبس الأرواح التي لم تنته بعد آجالها ﴿فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ﴾ أي: يمسك الأنفس التي انتهت آجالها ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ أي: يرسل الأنفس التي لم تنته آجالها فيعيش أصحابها إلى نهاية آجالهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ أي: في قبض الأرواح وإرسالها دلالات وبراهين على قدرة الله وعظمته وتصرفه في خلقه ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: لمن لهم العقول السليمة والفطر المستقيمة.

---

(١) سورة هود من الآية ١٢ .

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تقرير عظمة الله وقدرته في قبض الأرواح عند نهاية آجالها وهي الموتة الكبرى وحبسه الأرواح التي لم تنته آجالها وهي الموتة الصغرى عند النوم لقوله عز وجل ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]. وقوله ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[2].

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ يذم الله بهذا المشركين الذين يعتقدون أن آلهتهم تشفع لهم دون أن يكون لهم في اعتقادهم هذا

(١) سورة الأنعام الآية ٦٠ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٦١ .

دليل أو برهان؛ لأن آلهتهم أحجار صماء لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل مما يدل على سفه وجهالة المعتقدين في شفاعتها ﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: قل لهم يا محمد على سبيل الإنكار: أتزعمون أن آلهتكم وأصنامكم يشفعون لكم ولو كانوا لا يقدرون على هذه الشفاعة؟ ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا﴾ أي: قل لهم: إن الشفاعة لله، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه فإن كنتم ترجون ثوابا، فاطلبوا الشفاعة من مالكها، وذلك بفعل أسبابها وهي توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده، وترك أصنامكم وأوثانكم فهو الذي ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهو الذي يملك الشفاعة وحده ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة فيحاسبكم على أفعالكم.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: إذا ذكر الله وحده وأنه لا إله غيره، ولا معبود سواه اشمأزت قلوب المشركين؛ بمعنى انقبضت ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: من الأصنام والأوثان ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: يفرحون.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سفاهة المشركين وجهالتهم في كونهم يعبدون الأصنام ويعتقدون أنها تشفع لهم. وفيها: الحكم بأن الشفاعة لله وحده لقوله تعالى ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[1].

(١) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ .

وقوله ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[(١)]. وفيها: تقرير ضلال المشركين؛ لكونهم ينفرون من ذكر الله وحده، ويستبشرون عند ذكر آلهتهم وأصنامهم، فهم في جهلهم ذلك كالأنعام أو أضل سبيلا.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾

لما بيَّن الله جل وعلا تعلق المشركين بأصنامهم وجعلها من دون الله، أمر الله نبيه ورسوله محمدا ﷺ أن يوحده ويعبده لا شريك له؛ لأنه هو الذي خلق السموات والأرض، وخلق الخلق كلهم، وهو الذي يعلم الغيب والشهادة أي: ما خفي من الغيب وما ظهر للعين ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: أنه الذي يحكم بين العباد يوم معادهم إليه فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ المراد بهم المشركون ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا

(١) سورة الأنبياء من الآية ٢٨ .

﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ أي: لو أن لهم كل ما في الأرض وخزائنها ومثله معه من هذه الخزائن وقبل منهم الفداء ﴿لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: لفعلوا ذلك من شدة ما يلاقونه ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ أي: ظهر لهم من سيئاتهم ومن العذاب ما لم يكونوا يظنون أنه سيحل بهم ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ أي: ظهر لهم من صحائف أعمالهم سيئاتهم التي اكتسبوها في الدنيا ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: أحاط بهم العذاب الشديد؛ لقاء استهزائهم بذكر الله واشمئزازهم منه وفرحهم بذكر أصنامهم واستهزائهم كذلك برسول الله ﷺ.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب اللجوء إلى الله عند اشتداد الكُرَب والمصائب، وذلك بدعائه والتضرع إليه والاستعانة به والاستغاثة به، فهو المنجي من كل كربة، الكاشف لكل غمة، الدافع لكل نقمة. وفي حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته من الليل؟ قالت رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته: (**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك، إنك تهدي من**

تشاء إلى صراط مستقيم)[١]. وفيها: الحكم بأنه لا يقبل من أحد يوم القيامة فدية من العذاب لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢].

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾ المراد به الإنسان الكافر أي: إذا تعرض الكافر لضرر في نفسه أو ولده أو ماله لجأ إلينا يدعونا لكشف الضر عنه ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا﴾ أي: إذا أسبغنا عليه النعمة طغى وعتا ونسي ما كان يدعونا إليه وقال ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ﴾ أي: إنما آتاني الله هذه النعمة لمحبته لي فردّ الله هذا الزعم بقوله

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم (٧٧٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص٢٢٥٦ .

(٢) سورة المائدة الآية ٣٦ .

﴿بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ﴾ أي: ما أعطي الكافر هذه النعمة إلا لابتلائه، فإن شكر الله على نعمه وتخلى عن الكفر به تاب الله عليه، وإن استمر على كفره وعدم شكره انتقم الله منه وأحاط به العذاب الشديد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: إن أكثر هؤلاء الكفرة لا يعلمون ما يجب عليهم من الإيمان بالله وشكره على نعمه، فلهذا يقولون ما يقولونه من الكذب والتخرص ﴿قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي: قال أقوام وأمم مثل مقالة المشركين بأنهم أوتوا النعم لمحبة الله لهم ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ فما نفعهم قولهم، وما كان لديهم من الأموال فأخذهم الله بالعذاب الشديد ﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ﴾ أي: أصابهم العذاب؛ بسبب شركهم وسيئاتهم ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ أي: كما أصاب العذاب الأمم الظالمة، فإنه سيصيب كفار قريش؛ بسبب شركهم وكفرهم بما جاءهم من البينات ﴿وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ أي: ليسوا بفائتين من العذاب ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ هذا استفهام إنكاري لسلوك المشركين، والمعنى ألم يعلم هؤلاء الذين قالوا إن الله أنعم عليهم لمحبته لهم أنه يبسط الرزق لمن يشاء امتحانا له؛ ليرى هل يشكر أم يكفر؟ ويضيق في الرزق على من يشاء ليرى ما إذا كان يصبر أم يسخط، وليس لبسط الرزق أو تقتيره علاقة بمحبة الله لمن وسع عليه رزقه أو كرهه لمن

ضيق عليه هذا الرزق؛ فالأمر راجع إلى حكمة الله وتصرفه في خلقه؛ لأنه العالم بأحوالهم وما ينفعهم في دنياهم وأخراهم. ولهذا قال عز ذكره ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: في هذا القضاء الذي قضاه، والقدر الذي قدره دلالات وبراهين للمؤمنين ليزدادوا إيمانا على إيمانهم وتوكلا على توكلهم على ربهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سفاهة الكافر حين يلجأ إلى الله عند ضره فيدعوه لإزالة هذا الضر؛ فإذا أنعم الله عليه وأزال عنه الضر طغى ونسي ما كان يدعو إليه وزعم أن الله أنعم عليه لمحبته له كما قال قارون ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾[1]. وفيها: تقرير أن الله ينعم على الكفرة والعصاة ابتلاء لهم ليرى أيرجعون ويتوبون إليه ويشكرونه أم يستمرون على كفرهم؟ فحينئذٍ تقوم عليهم الحجة فيحاسبهم الله. وفيها: أن إسباغ نعم الله على فرد أو قوم وتضييقه على آخرين لا يدل على محبته لمن أنعم عليهم أو كرهه لمن ضيق عليهم، وإنما هي حكمة الله وقدره وتصرفه في خلقه بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم. وفيها: أن في آيات الله عبراً وعظات للمؤمنين حتى يزدادوا إيماناً على إيمانهم وتصديقاً على تصديقهم ليكون ذلك أعظم لأجورهم.

---

(١) سورة القصص من الآية ٧٨ .

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ
ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ
رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾
وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ
مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ
ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ
لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ
ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ هذه آية عظيمة تدل على رحمة الله بعباده، ورأفته بهم من العذاب ففتح لهم باب التوبة، ووعدهم ووعده الحق بأنه يغفر لهم جميع ذنوبهم إذا تابوا منها وأخلصوا في توبتهم. وسبب نزول هذه الآية: أن أناسا من المشركين كانوا قد قتلوا فأكثروا القتل، وزنوا فأكثروا الزنا فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت هذه الآية[1] كما نزل قوله تعالى

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٨٧، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى (ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)، برقم (٤٨١٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٤١١ .

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾(١). الآية. قوله ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا تيأسوا من رحمته، فإن تبتم وأنبتم وأخلصتم التوبة غفر لكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أي: يغفر ويتجاوز عن جميع ذنوب من تاب إليه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ هذه دعوة للمذنبين المسرفين على أنفسهم أن ينيبوا إلى ربهم فيرجعوا إليه، ويستسلموا له قبل أن يحل بهم العذاب بغتة، فلا يجدوا حينئذٍ وليا ولا نصيرا لهم.

﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ أي: اتبعوا القرآن العظيم وامتثلوا ما فيه من الأمر لكم بطاعة الله والنهي عن معاصيه ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: قبل أن يأتيكم العذاب فجأة من حيث لا تشعرون ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أي: إذا جاء العذاب المباغت بدأت النفس تتحسر على تفريطها وغفلتها، وتعرف أنه لا ينفعها حينئذٍ إلا ماقدمته من العمل الصالح، فلما فقدت هذا العمل وحل بها العذاب، لم يكن أمامها إلا الندم والتحسر على تفريطها، وهذا لا ينفعها ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ أي: تقول وهي تندم وتتحسر:

---

(١) سورة الفرقان من الآية ٦٨ .

إنما كان عملي في الدنيا هو الاستهزاء والسخرية بعباد الله المؤمنين ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: تتمنى فتقول: ياليت الله هداني فأكون من المتقين، وأنجو من هذا العذاب الذي يحيط بي ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾ أي: تقول النفس وهي في ندمها وتحسرها حين ترى العذاب: لو أن لي رجعة إلى الدنيا أتوب إلى الله وأخلص له العبادة وأتبرأ من الشرك والكفر والمعاصي وهو معنى قوله ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وقد أبى الله ذلك فقال ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: يا أيها النادم والمتحسر على ما فعل سبق أن جاءتك الآيات البينات التي تدلك على طاعة الله وتنهاك عن معاصيه، وتبين لك سبل النجاة من العقاب فكنت تكذب بها وتستهزئ بها وتستكبر عن قبولها، ولم تستجب لنداء الرسول، ولم تقبل دعوة من يدعوك إلى الهدى، بل كنت من الكافرين الطغاة فلك اليوم ما تستحقه من العقاب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير البشرى للمذنبين أن الله يغفر جميع ذنوبهم إذا تابوا منها، وأصلحوا وشاهده قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾(١). وقوله ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ

(١) سورة النساء من الآية ٢٧ .

يَتُوبُ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[١]. وقوله ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[٢]. وفيها: النهي عن القنوط واليأس من رحمة الله لقوله تعالى ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[٣]. وفي حديث أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله يقول: (**والذي نفسي بيده لو اخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم والذي نفسي بيده لو لم تخطئوا لجاء الله عز وجل بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم**)[٤].

وفيها: دعوة الله للعباد باتباع ما جاء في القرآن من الأوامر والنواهي، حتى لا يكونوا عرضة للعذاب المباغت لهم. وفيها: تقرير ندامة وحسرة الكافرين يوم القيامة على تفريطهم كما قال تعالى ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ ﴾[٥].

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٩.

(٢) سورة النور من الآية ٣١.

(٣) سورة يوسف من الآية ٨٧.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج٣ ص٢٣٨، وابن ماجة مختصراً في كتاب الزهد، باب التوبة، برقم (٤٢٤٨)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٤١٩. قال الألباني: صحيح. سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٤ ص٥٩٤، برقم (١٩٥١).

(٥) سورة الأنعام من الآية ٣١.

وفيها: فساد مذهب الجبرية كقول أحدهم ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ مع أن الله قد جعل له إرادة وعقلا يهتدي به وبيَّن له الطريق المستقيم، فلم يكن له حينئذٍ من عذر يعتذر به.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾ لما بيَّن الله أهمية التوبة من الذنوب، ودعا العباد إلى الإنابة إليه، بيَّن مصاعب يوم القيامة وأهواله للذين افتروا عليه وعلى رسوله الكذب، فنسبوا إليه جل وعلا الولد، ونسبوا السحر والكهانة لرسوله فيأتون يوم القيامة وقد اسودت وجوههم كما قال تعالى ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾[1]. ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾[2]. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾[3]. ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ هذا استفهام تقريري بأن جهنم مقر ومقام للمتكبرين عن عبادة ربهم ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي: ينجي برحمته

(١) سورة عبس الآية ٤٠ .
(٢) سورة عبس الآية ٤١ .
(٣) سورة عبس الآية ٤٢ .

المؤمنين الذين عبدوه حق عبادته، وأطاعوه حق طاعته، فلم يشركوا به شيئا، ولم يفتروا الكذب عليه أو على رسوله. ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ أي: لا يمسهم سوء يوم القيامة ولا يصيبهم حزن فيها.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير سواد وجوه الكافرين يوم القيامة كما قال تعالى ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾[1]. وفيهما: الحكم بأن الله ينجي المتقين من عباده فلا يمسهم السوء أو الحزن يوم القيامة.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤﴾.

بيان الآيات:

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾ هذا بيان من الله أنه خالق الأشياء كلها ما ظهر منها وما بطن، وأنه ما من خالق في الكون إلا الله،

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٦ .

فهو المدبر لخلقه المتصرف فيهم بحكمته وإرادته ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي: حافظ ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: بيده مفاتح الكون وخزائنه وكل مافيه تحت ملكه وتصرفه وتدبيره، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض ولا أصغر منها ولا أكبر ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: كذبوا براهينه ودلائله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لأنفسهم في الدنيا والآخرة.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ نزلت هذه الآية -كما سبق ذكره- لما دعا المشركون في مكة رسول الله ﷺ إلى عبادة آلهتهم ورغبوه فيها فإذا فعل ذلك عبدوا إلَهه[١]. والمراد قل يا محمد لهؤلاء المشركين الجهلة والسفهاء: أتأمروني أن أعبد آلهتكم من دون الله، فحاشا وكلا أن أفعل ذلك فأنا لا أعبد إلا الله الواحد الأحد الذي خلقني وهداني ورزقني فليس لي من رب غيره ولا من إلَه إلا هو.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن كل شيء في الكون علوه وسفله بيد الله وتحت تصرفه وإرادته، فهو المعين والمعيذ والمغيث، فمن استعان أو استعاذ أو استغاث بغيره، فهو مشرك لا يقبل الله

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٦٣ .

منه عدلا ولا صرفا. وفيها: أن الكفرة يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة. وفيها: تقرير جهل المشركين وسفاهتهم في دعوتهم رسول الله ﷺ إلى عبادة أصنامهم مع أنهم يعرفون أنه جاء لإبطالها وتحريمها.

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمعنى: لقد أوحى الله إليك وأوحى إلى الأنبياء من قبلك ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ ﴾ أي: أشركت في عبادتك غيرنا ﴿ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ أي: ليبطلن كل عمل عملته ﴿ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ أي: من الذين خسروا دنياهم وأخراهم فلم يبق لهم فيهما شيء سوى الخسارة ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ ﴾ أي: أعبد الله ووحده مطيعا منقادا له ﴿ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ له على ما أنعم به عليكم من نعمة النبوة ونعمة الإسلام.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير ما أوحى الله به إلى أنبيائه ورسله وآخرهم محمد ﷺ من أن الشرك محبط للعمل، فلا يقبل معه عمل مهما كان

عظمه لقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾[(١)]. وقوله ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[(٢)]. وفيهما: وجوب عبادة الله وحده وطاعته وحده والشكر له على نعمه وفضائله، وأولها وأهمها: نعمة الإسلام ومبعث رسول الله ﷺ.

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧) ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ الإشارة في هذا إلى المشركين أي: ما عظموه حق تعظيمه حين عبدوا معه أصناما وأوثانا، وعظموها وهم يعرفون أن الله هو الذي خلقهم وخلق أصنامهم، وأنه الأحق بالتعظيم والتقدير؛ لأن الأرض كلها في قبضته كما أنه يطوي السموات بيمينه لقوله تعالى ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي: تنزه وتقدس عن أن يكون له شريك في ملكوته.

---

(١) سورة النساء من الآية ٤٨ .

(٢) سورة الأنعام من الآية ٨٨ .

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بعظمة الله وقدرته المطلقة وتنزيهه عن الشرك به ومن مظاهر قدرته وعظمته: أن الأرض بطبقاتها ومكنوناتها ومن عليها تحت قبضته وأنه يطوي السماء لقوله تعالى ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾[(١)]. وفي حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلائق على إصبع فيقول: أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر. ثم قرأ عليه الصلاة والسلام ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[(٢)].

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ

---

(١) سورة الأنبياء من الآية ١٠٤ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب في قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره)، برقم (٤٨١١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٤١٢ .

بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذه النفخة هي نفخة الصعق التي يموت فيها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، وتقبض الأرواح فلا يبقى إلا الله الواحد القهار قوله ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قيل: إن المراد جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ في الصور مرة ثانية وهي نفخة البعث[1] لقوله تعالى ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ أي: أحياء بعد أن كانوا رفاتا، فإذا هم ينظرون أهوال القيامة ويستعدون للحساب ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أي: تشرق الأرض يوم القيامة من نور الله إذا تجلى عز وجل للخلائق للفصل بينهم ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ المراد به الكتاب المدونة فيه أعمال العباد ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ لكي يشهدوا على أممهم ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ وهم الملائكة الحفظة الكاتبون لأعمال العباد ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: قضي بين الخلائق بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا يُظْلَمُ أحد

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، ج٣ ص١٣٩، وتفسير ابن وهب ج٢ ص٢٤٧ .

ولا يُجْزَى إلا بما عمل ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾ أي: ما عملته من خير أو شر. ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ أي: يعلم ما يفعله عباده من خير أو شر فيوفيهم جزاءه بالعدل.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير النفخ في الصور لأحداث الصعقة التي يموت فيها الأحياء، إلا من شاء الله، أو أنهم يصعقون فيغشون من شدة الصعقة، ولكنهم لا يموتون. وفيها: تقرير النفخة الأخرى للقيام لله رب العالمين كما قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ ﴾[1]. وفيها: تقرير أحوال ذلك اليوم الذي يتجلى فيه رب العالمين للخلائق للحكم بينهم وفيه: يوضع الكتاب ويؤتى بالنبيين والشهداء للشهادة على العباد وتكون أمة محمد ﷺ هي الشاهد على الأمم لقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2]. وفيها: الحكم بأن الله يقضي بين خلقه بالعدل، لقوله تعالى ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[3]. وقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٥٢ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٤٣ .

(٣) سورة الأنبياء من الآية ٤٧ .

وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ﴾ أي: تسوق الملائكة الكافرين إلى جهنم بعنف وشدة، وهم جماعات جماعات ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ أي: فتحت بسرعة لتعجل لهم العقوبة ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ مقرعين لهم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ أي: التي بينت لكم الحق من الباطل والهدى من الضلال ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ﴾ أي: يحذرونكم من شر هذا اليوم فكذبتموهم وآذيتموهم وطغيتم واستكبرتم ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ لقد جاؤونا وأنذرونا وبينوا لنا طريق الحق ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: غلبت علينا شقوتنا؛ بسبب معاداتنا للحق وقبولنا للباطل ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ﴾ أي:

---

(١) سورة النساء الآية ٤٠ .

لا مخرج لكم ولا مفر لكم منها ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: فبئس المقام وبئس المكان الذي استحققتموه بسبب تكبركم وعنادكم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير حال الكافرين يوم القيامة وما يتعرضون له من الذل والإهانة وتوبيخهم وهم يساقون إلى العذاب لقوله تعالى ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾[1]. أي: يدفعون إليها دفعا وقوله عز ذكره ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[2]. وفيهما: إقرار الكافرين بما جاءتهم به رسلهم من البراهين ولكن الشقاوة غلبت عليهم؛ بسبب إصرارهم على معاداة الحق. وفيهما: تقرير سوء عاقبة الاستكبار عن طاعة الله وعبادته.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ أي: يساق المؤمنون

---

(١) سورة الطور الآية ١٣ .

(٢) سورة مريم الآية ٨٦ .

المتقون إلى الجنة برفق ولطف وهم جماعة بعد جماعة وكل جماعة مع أختها، فالأنبياء مع الأنبياء، والصديقون مع الصديقين، والشهداء مع الشهداء وهكذا، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ أي: إذا وصلوا إلى الجنة وفتحت لهم أبوابها ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ ﴾ أي: طاب مقامكم كما طاب عملكم ﴿ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ أي: ادخلوا الجنة خالدين مخلدين فيها. وبعدما يدخل المؤمنون الجنة ويرون فيها ما لم يخطر ببالهم من النعيم يحمدون الله على صدق وعده لهم، وما أنعم به عليهم من النعيم كما قال تعالى مخبرا عنهم ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾ وقوله ﴿ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ ﴾ أي: أرض الجنة ﴿ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾ أي: نسكن فيها حيث شئنا ﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ أي: نعم الأجر الذي أعطانا الله على عملنا في الدنيا.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير حال المتقين يوم القيامة وما يلاقونه من ربهم من العزة والكرامة ولقاء الملائكة لهم وتحيتهم لهم بالسلام عليهم وإبلاغهم أنهم مخلدون في الجنة.

﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ﴾

لما أخبر الله عز وجل أنه يقضي بين عباده فيساق أهل الجنة إليها وأهل النار إليها بيَّن أن الملائكة في ذلك الموقف العظيم يقفون محدقين حول عرش ربهم يسبحون بحمده ويعظمونه ويقدسونه ثم قال عز ذكره ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: قضي بين الخلائق بالعدل فعندئذ يقول كل شيء في الكون ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ على قضائه وعدله بين خلقه.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الملائكة يحدقون في يوم الحساب بعرش ربهم يسبحونه ويقدسونه. تقرير: أن الله يقضي بالحق بين عباده في ذلك الموقف العظيم. تقرير: أنه بعد نهاية الحساب يقول كل من في الكون ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وينبني على هذا: أن من المستحب للعبد أن يفتتح أموره بـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ ويختتمها بهذا الحمد كما قال عز وجل عن المؤمنين في الجنة ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(١).

---

(١) سورة يونس الآية ١٠ .

فهرس المجلد السابع

تفسير سورة العنكبوت ٥

تفسير قوله تعالى ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ..﴾ ١-٤ .... ٥

أحكام ومسائل الآيات ٦

تقرير أن المؤمن يفتن في دينه ٦

الابتلاء بالفتن من سنن الله في خلقه ٦

تقرير أن الذين يعملون السيئات لن يفلتوا من حساب الله على أفعالهم ٦

تفسير قوله تعالى﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖ..﴾ ٥ -٧ .... ٦

أحكام ومسائل الآيات ٨

تقرير أن الذي يعمل الصالحات ويتطلع إلى لقاء الله فإن لقاء الله آت ٨

نفع العمل يعود إلى صاحبه ٨

وعد الله بتكفير سيئات عباده إذا آمنوا وعملوا الصالحات ٨

تفسير قوله تعالى ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ..﴾ ٨-٩ .... ٨

أحكام ومسائل الآيتين ٩

الحكم بوجوب بر الوالدين ٩

وعد الله للمؤمنين أن يكونوا في زمرة الأنبياء ١٠

تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ..﴾ ١٠-١١ .... ١٠

أحكام ومسائل الآيتين ١١
الحكم بضلال المنافقين ١١
تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ ..﴾ ١٢-١٣ .... ١١
أحكام ومسائل الآيتين ١٢
الحكم بأن أحدا لايحمل خطايا غيره ١٢
من صد عن سبيل الله يحمل وزره ووزر من أضله ١٣
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ..﴾ ١٤-١٨ .... ١٣
أحكام ومسائل الآيات ١٥
بيان الله لنبيه محمد ﷺ بطول مدة دعوة نوح -عليه السلام- .. ١٥
الهلاك عاقبة الظالمين ١٦
الحكم بتحريم عبادة غير الله ١٦
الأصنام لاتجلب نفعا ولاتدفع ضرا ١٦
على العباد شكر الله ١٦
تهديد المشركين من أهل مكة ١٦
تفسير قوله تعالى﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ..﴾ ١٩-٢٣ .... ١٦
أحكام ومسائل الآيات ١٨
وجوب تفكير الخلق في نشأتهم ١٨
الحكم بأن الله كما ينشئ الخلق أولاً سينشئهم مرة أخرى ١٨
الحكم بعجز المخلوقين ١٨

تقرير يأس الكافرين من رحمة الله بسبب كفرهم ١٨
تفسير قوله تعالى ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ..﴾ ٢٤-٢٥ .... ١٨
أحكام ومسائل الآيتين ٢٠
بيان أن الطغاة يلجأون إلى معاقبة الداعين عندما يعجزون عن الحجج ٢٠
العلاقة بين عبدة الأصنام وأصنامهم تنقلب إلى عداوة يوم القيامة ٢٠
تفسير قوله تعالى ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ..﴾ ٢٦-٢٧ .... ٢٠
أحكام ومسائل الآيتين ٢٢
تقرير وجوب الهجرة عندما يجد المرء نفسه في قوم يشركون بالله ويؤذونه في دينه ٢٢
كون الهجرة سبباً لحصول نعم الله ٢٢
تفسير قوله تعالى ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ..﴾ ٢٨-٣٠ .... ٢٢
أحكام ومسائل الآيات ٢٣
تحريم جريمة اللواط ٢٣
تحريم المنكرات التي ترتكب في نوادي القمار والخمور ٢٤
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ..﴾ ٣١-٣٥ .... ٢٤
أحكام ومسائل الآيات ٢٦

تقرير أن من يفعل الفاحشة يعد ظالما ٢٦
الأهم في العلاقة بين البشر علاقة الدين ٢٦
الضيافة مما عرفته الأمم، وأن من واجبات المضيف
حماية ضيفه ٢٦
الهلاك عاقبة الفواحش ٢٦
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ
يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ..﴾ ٣٦-٣٧ .... ٢٦
أحكام ومسائل الآيتين ٢٧
تحريم الفساد في الأرض بكل أنواعه ٢٧
تقرير أن الله يهلك من ينتهك حرماته ٢٧
تفسير قوله تعالى﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم
مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ..﴾ ٣٨-٤٠ .... ٢٧
أحكام ومسائل الآيات ٢٩
تقرير أن هلاك الأمم البائدة بسبب مازين لهم الشيطان
من أعمالهم ٢٩
الطغيان سبب لهلاك الأمم واندثار حضارتها ٣٠
عقاب الله للأمم البائدة على حسب سلوكها ٣٠
الحكم أن الله قضى وقضاؤه الحق أنه لا يظلم أحداً ٣٠
تفسير قوله تعالى﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ
أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ..﴾ ٤١-٤٣ .... ٣٠
أحكام ومسائل الآيات ٣١
فوائد ضرب الأمثلة للناس لتبسيط الأحكام لهم ٣١

تقرير أن الأمثال لايفهمها إلا الذين استنارت بصائرهم
بالعلم والهدى ٣١
تفسير قوله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِٱلْحَقِّ .. ﴾ ٤٤-٤٥ .... ٣٢
أحكام ومسائل الآيتين ٣٣
تقرير وجوب تلاوة القرآن بتدبر ألفاظه ومعانيه ٣٣
وجوب إقامة الصلاة في أوقاتها ٣٣
الصلاة تمنع صاحبها عن إتيان الفواحش ٣٣
وجوب ذكر الله في السر والعلن ٣٤
تفسير قوله تعالى﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى
هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ .. ﴾ ٤٦ .... ٣٤
أحكام ومسائل الآية ٣٥
تقرير جواز مجادلة أهل الكتاب مجادلة حسنة ٣٥
تقرير أن هذه المجادلة محصورة في الذين يريدون الحق ٣٥
وجوب تصديق ما يقوله أهل الكتاب إذا كان قد ورد
النص في كتاب الله على صدقه ٣٦
تفسير قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ .. ﴾ ٤٧-٤٩ .. ٣٦
أحكام ومسائل الآيات ٣٧
تقريرأن الرسول ﷺ كان أميا ٣٧
الله أنزل القرآن آيات بينات ٣٨
آيات الله لا يجحدها إلا المعاندون ٣٨
تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ

مِّن رَّبِّهِۦ .. ﴾ ٥٠-٥٢ .... ٣٨
أحكام ومسائل الآيات ٤٠
تقرير أن الرسول ﷺ لايملك من أمر الآيات شيئا ٤٠
القرآن أكبر معجزة جاء بها الرسول ﷺ ٤٠
الخاسرون يوم القيامة هم الذين كذبوا الحق ٤١
تفسير قوله تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ..﴾ ٥٣- ٥٥ .... ٤١
أحكام ومسائل الآيات ٤٢
تقرير سفه المشركين وجهلهم في طلب العذاب ٤٢
تأجيل العذاب أو تعجيله لايترتب على رغبة أحد ٤٢
إحاطة العذاب بالكافرين يوم القيامة ٤٢
تفسيرقوله تعالى﴿ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ
فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ .. ﴾ ٥٦-٦٠ .... ٤٢
أحكام ومسائل الآيات ٤٤
وجوب الهجرة من مكان لايستطيع أن يقيم فيه المسلم
شعائر دينه ٤٤
مامن نفس إلا سيدركها الموت ٤٥
إعداد الله الثواب للمهاجرين والمجاهدين ٤٥
الخروج للهجرة لايمنع الرزق ٤٥
تفسيرقوله تعالى﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ .. ﴾ ٦١-٦٣ .... ٤٥
أحكام ومسائل الآيات ٤٧
تقرير سفاهة المشركين وجهلهم ٤٧

بسط الرزق أو تضييقه لايدل على محبة الله أو عدم رضاه .. ٤٧
تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ
وَلَعِبٌ ..﴾ ٦٤-٦٦ .... ٤٧
أحكام ومسائل الآيات ٤٩
تقرير أن الدنيا دار لهو ولعب والآخرة دار الحياة الأبدية ٤٩
الإخبار بأن مشركي العرب كانوا يعترفون بربوبية الله
ويشركون في ألوهيته ٤٩
المشركون يخلصون العبادة عندما يجدون أنفسهم في خطر .. ٤٩
الوعيد للذين يكفرون بآيات الله ٤٩
تفسير قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ
ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ..﴾ ٦٧-٦٩ .... ٥٠
أحكام ومسائل الآيات ٥١
تنديد الله بكفار قريش ٥١
تقرير أنه لا أحد أظلم ممن يفتري على الله الكذب ٥١
وعد الله أنه سوف يهدي الذي جاهد في سبيله ٥١

تفسير سورة الروم ٥٢
تفسير قوله تعالى ﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ..﴾ ١-٧ .... ٥٢
أحكام ومسائل الآيات ٥٦
تقرير أن رسول الله ﷺ قد صدق فيما أخبر عن ربه
من غلبة الروم على فارس ٥٦
الحكم بأن الله لا يخلف عباده ما يعدهم به من النصر ٥٦

تقرير أن أهل الكتب المنزلة من السماء أقرب إلى المسلمين
من غيرهم ٥٦
أكثر الناس يعلمون ظواهر الحياة الدنيا وأسبابها ٥٦
تفسير قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ..﴾ ٨-١٠ .... ٥٦
أحكام ومسائل الآيات ٥٨
وجوب تفكر المرء في خلق الله ٥٨
الحكم بأن الله لا يظلم أحدا من خلقه ٥٩
عاقبة السوء المتمثل في الاستهزاء بآيات الله هي العقاب
الشديد ٥٩
تفسير قوله تعالى﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ..﴾ ١١-١٦ .... ٥٩
أحكام ومسائل الآيات ٦٠
تقرير أن الذي ينشئ الخلق قادر على إعادته ٦٠
يأس المجرمين من رحمة الله يوم القيامة ٦٠
تفسير قوله تعالى ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ
تُصْبِحُونَ ..﴾ ١٧ -٢١ .... ٦١
أحكام ومسائل الآيات ٦٣
وجوب حمد الله وتسبيحه في الغدو والعشي ٦٣
الدلالة على عظمة الله وقدرته في خلق الأشياء المتضادة ٦٣
الدلالة على كمال قدرته وعظيم صنعه في إنشاء الخلق
من تراب ٦٣
من آيات الله الدالة على عظمته أن جعل الخلق أزواجا

وغرس المحبة بينهم ٦٣
تفسير قوله تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ .. ﴾ ٢٢-٢٥ .... ٦٣
أحكام ومسائل الآيات ٦٦
بيان عظمة الله في تعداد ووصف آياته ٦٦
تقرير حكمة الله في اختلاف ألسنة خلقه وألوانهم ٦٦
حكمة الله في جعل الليل سكناً لخلقه ٦٦
إن من آيات الله ما فيه تخويف للعباد كالبرق ٦٧
الذين يدركون عظمة الله هم الذين يعونها بقلوبهم ٦٧
تفسير قوله تعالى﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ
لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ .. ﴾ ٢٦-٢٧ .... ٦٧
أحكام ومسائل الآيتين ٦٨
الحكم بأن الله هو الذي يخلق الخلق ٦٨
الحكم بوحدانية الله وأنه لامثيل له ٦٨
تفسير قوله تعالى ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ .. ﴾ ٢٨-٢٩ ... ٦٨
أحكام ومسائل الآيتين ٧٠
تقرير أن الله يضرب الأمثال للناس لتقريب المعاني
إلى أفهامهم ٧٠
الهوى هو السبب في معصية الله ٧٠
تفسير قوله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ .. ﴾ ٣٠-٣٢ ..... ٧٠
أحكام ومسائل الآيات ٧١
الحكم بوجوب الالتزام بدين الإسلام ٧١

التحذير من تبديل الفطرة ٧٢
وجوب الإنابة إلى الله ٧٢
التحذير من التفرق في الدين ٧٢
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ
إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ .. ﴾ ٣٣-٣٧ ... ٧٣
أحكام ومسائل الآيات ٧٥
تقرير سفه المشركين وجهلهم ٧٥
تهديد المشركين بأنهم سيجدون سوء عاقبة فعلهم يوم القيامة .. ٧٥
تقرير أنه ليس للمشركين حجة أو برهان فيما يفعلونه ٧٥
فريق من الناس وهم السفهاء إذا أصابهم رحمة يفرحون
بها وإذا أصابهم مرض يئسوا من رحمة الله ٧٥
تقرير حكم الله وتدبيره في خلقه أنه يوسع الرزق على
من يشاء من عباده ٧٥
تفسير قوله تعالى ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ
ٱلسَّبِيلِ.. ﴾ ٣٨-٤٠ .... ٧٥
أحكام ومسائل الآيات ٧٧
وجوب بذل النفقة للأقارب ونوعيها ٧٧
وجوب إعطاء الفقير وذي الحاجة وابن السبيل ٧٨
تقرير أن الذي يعطي عطية وينتظر مقابلها ليس له أجر ٧٨
تقرير مضاعفة الأجر للذي يعطي العطية ابتغاء مرضات الله .. ٧٨
تقرير عظمة الله وقدرته في الخلق ٧٨
تفسير قوله تعالى ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ

أَيْدِي ٱلنَّاسِ.. ﴾ ٤١-٤٢ .... ٧٨
أحكام ومسائل الآيتين ٨٠
إذا أفسد الناس علاقتهم مع الله بانتهاك محارمه انتقم منهم .. ٨٠
أن الله عز وجل ينذر الناس بسوء عاقبة المعاصي ليتوبوا منها .. ٨٠
التفكر في أحداث الأمم الماضية واجب إما بمعاينة ما حدث
لها أو بقراءة تواريخها ٨٠
تفسير قوله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن
يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ.. ﴾ ٤٣-٤٥ .... ٨٠
أحكام ومسائل الآيات ٨٢
الحكم بوجوب الاستقامة على دين الإسلام ٨٢
تقرير أن من كفر في الدنيا وجد في الآخرة جزاء كفره ٨٢
تقرير أن الله لا يحب من كفر به ٨٢
تفسير قوله تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ
وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ.. ﴾ ٤٦-٤٧ .... ٨٢
أحكام ومسائل الآيتين ٨٣
الحكم بعظمة الله وقدرته ٨٣
الحكم بأن نعم الله على عباده تستوجب شكره ٨٣
تقرير أن الله ينتقم من المجرمين ٨٤
وعد الله -عز وجل- بنصر المؤمنين ٨٤
تفسير قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا
فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ.. ﴾ ٤٨ -٥١ .... ٨٤
أحكام ومسائل الآيات ٨٥

بيان الله كيف ينشئ السحاب ٨٥
وجوب التفكر فيما ينتج بعد المطر ٨٦
القادر على إنبات النبات قادر على إحياء الموتى ٨٦
من العباد من ينسى نعم الله ٨٦
تفسير قوله تعالى ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ .. ﴾ ٥٢-٥٣ .... ٨٦
أحكام ومسائل الآيتين ٨٧
التنديد بالكافرين لعدم سماعهم نداء الحق ٨٧
لايسمع آيات الله إلا الذين آمنوا وخضعوا له ٨٧
تفسير قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً .. ﴾ ٥٤ .... ٨٧
أحكام ومسائل الآية ٨٨
تقرير تطور خلق الإنسان وتدرجه ٨٨
بيان قدرة الله عز وجل وتفرده بالخلق ٨٨
تفسير قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ .. ﴾ ٥٥- ٥٧ .... ٨٨
أحكام ومسائل الآيات ٨٩
إنكار المجرمين مدة لبثهم في الدنيا لئلا تقوم عليهم الحجة ... ٨٩
تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ .. ﴾ ٥٨-٦٠ .... ٩٠
أحكام ومسائل الآيات ٩١
تقرير أن الله قد أقام الحجة على العباد ٩١

تقرير أن المكذبين بآيات الله لا يستهدون بحجة ٩١
الأمر لرسول الله ولأمته أن يصبروا على ما أصابهم
من الأذى في سبيل الدعوة ٩١
الأمر كذلك بالثبات على دين الإسلام ٩١

تفسير سورة لقمان ٩٢
تفسير قوله تعالى ﴿الٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ
ٱلۡحَكِيمِ ..﴾ ١-٥ .... ٩٢
أحكام ومسائل الآيات ٩٣
تقرير فضل القرآن وآياته المعجزات ٩٣
القرآن هدي ورحمة لمن آمن وصدق به ٩٣
وجوب الصلاة والزكاة والإيمان بالبعث ٩٣
من اهتدى بالقرآن يكون على هدى من الله ٩٣
تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ..﴾ ٦-٧ .... ٩٣
أحكام ومسائل الآيتين ٩٥
الحكم بتحريم اللهو من القول والفعل ٩٥
تحريم الاستهزاء بآيات الله ٩٥
تحريم الكبر بأنواعه ٩٥
تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ
جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ..﴾ ٨-١١ .... ٩٥
أحكام ومسائل الآيات ٩٧

تقرير وعد الله للمؤمنين بأن لهم جنات النعيم ٩٧

بيان قدرة الله في خلق الكون العلوي والسفلي ٩٧

تقرير ضلال المشركين بسبب إعراضهم عن الحق ٩٧

تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ..﴾ ١٢-١٥ .... ٩٧

أحكام ومسائل الآيات ١٠٠

تقرير أن الله يمن على من يشاء من عباده ١٠٠

التحذير من الشرك ١٠٠

الأمر ببر الوالدين وتعظيم حق الأم ١٠٠

حق الوالدين لا يعلو على حق الله ١٠١

الأمر للمسلم باتباع سبيل المؤمنين ١٠١

الخلائق مرجعها إلى الله ١٠١

تفسير قوله تعالى﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ..﴾ ١٦-١٩ .... ١٠١

أحكام ومسائل الآيات ١٠٣

مامن عمل مهما كان حجمه إلا ويعلمه الله ١٠٣

وجوب إقامة الصلاة بأركانها وشروطها ١٠٣

وجوب الأمر بكل ما فيه خير والنهي عن كل ما فيه شر ١٠٣

وجوب الصبر على ما ينال المسلم بسبب دينه ١٠٤

تحريم الكبر والاستعلاء على الناس ١٠٤

تحريم المشي خيلاء ١٠٤

وجوب غض الصوت لما في رفعه من النكارة والقبح ١٠٤
تفسير قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ..﴾ ٢٠-٢١ .... ١٠٤
أحكام ومسائل الآيتين ١٠٦
الدعوة إلى التفكير فيما سخره الله لخلقه ١٠٦
وجوب الإقرار بنعم الله الظاهرة والباطنة ١٠٦
الحكم بتحريم الجدال بالباطل ١٠٦
تحريم تقليد من يضل عن الطريق السوي ١٠٦
تفسير قوله تعالى ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ..﴾ ٢٢-٢٤ .... ١٠٦
أحكام ومسائل الآيات ١٠٧
من اتجه إلى الله بوجهه وقلبه مخلصا فإن الله ينجيه ١٠٧
الكافر لا يضر بكفره أحدا بل يضر نفسه ١٠٨
الكافرون بالله يمتعون قليلا ثم يعذبون ١٠٨
تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ..﴾ ٢٥ -٢٦ .... ١٠٨
أحكام ومسائل الآيتين ١٠٩
جهل مشركي العرب وسفاهتهم ١٠٩
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ..﴾ ٢٧-٢٨ ... ١٠٩
أحكام ومسائل الآيتين ١١٠
الحكم بأن الله يتكلم كما يليق بجلاله ١١٠

كلمات الله غير متناهية ١١٠
خلق الخلائق وبعثهم مثل خلق نفس واحدة ١١٠
تفسيرقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ..﴾ ٢٩-٣٠ .... ١١١
أحكام ومسائل الآيتين ١١٢
تقرير الدلائل العظيمة والآيات البينات التي تقرر وجوب توحيد الله ١١٢
كل أعمال المشركين أعمال باطلة ١١٢
ثبوت علو الله في ذاته وأسمائه ١١٢
تفسير قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ ..﴾ ٣١-٣٢ .... ١١٢
أحكام ومسائل الآيتين ١١٣
الحكم بأنه ما من شيء يسير في السموات والأرض إلا بإرادة الله ١١٣
وجوب الصبر على أقدار الله ١١٤
تقرير لجوء المشركين إلى الله في الضراء ودعاء الأصنام معه في السراء ١١٤
تفسير قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ..﴾ ٣٣ .. ١١٤
أحكام ومسائل الآية ١١٥
وجوب تقوى الله في السر والعلن ١١٥
وجوب خشية يوم القيامة ١١٥

الوعد بقيام الساعة لا ريب فيه ١١٥
التحذير من غرور الدنيا والاطمئنان إليها ١١٥
التحذير من غرور الشيطان والركون إلى وعده ١١٦
تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ..﴾ ٣٤ .... ١١٦
أحكام ومسائل الآية ١١٧
تقرير عدد مفاتيح الغيب ١١٧

تفسير سورة السجدة ١١٨
تفسير قوله تعالى ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ..﴾ ١ – ٣ .... ١١٨
أحكام ومسائل الآيات ١١٨
الحكم بأن الله أنزل القرآن على نبيه محمد ﷺ ١١٨
تقرير تكذيب المشركين والكافرين أن محمداً ﷺ هو الذي اختلق القرآن ١١٩
الحكم بأن القرآن منزل من عند الله ليكون نذيرا للعرب وغيرهم ١١٩
تفسير قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ..﴾ ٤-٦ .... ١١٩
أحكام ومسائل الآيات ١٢٠
الحكم بأن الله عز وجل خلق السموات والأرض وما

بينهما في ستة أيام ١٢٠

إن الله استوى على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته ١٢٠

الحكم بأنه لا ولي للخلق إلا الله ١٢٠

تدبير الخلق وتصريفهم يقرره الله في السماء ١٢٠

أفعال العباد وأعمالهم تعرج إلى الله ١٢١

إن الله هو الذي يعلم الغيب وحده ١٢١

شهادة الله على أفعال العباد ١٢١

تفسير قوله تعالى ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ..﴾ ٧-٩ ...... ١٢١

أحكام ومسائل الآيات ١٢٢

الحكم بأن الله أتقن صنع الأشياء ١٢٢

تقرير صنع الله للإنسان ١٢٢

تقرير نعمة السمع والبصر ١٢٢

وجوب شكر الله على نعمه ١٢٢

تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِى ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِى خَلۡقٍ جَدِيدٍۭ..﴾ ١٠-١١ .... ١٢٢

أحكام ومسائل الآيتين ١٢٣

تقرير كفر المنكرين للبعث ١٢٣

ملك الموت هو الموكل بقبض الأرواح ١٢٣

تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ..﴾ ١٢-١٤ .... ١٢٤

أحكام ومسائل الآيات ١٢٥

وصف حال المكذبين بالبعث يوم القيامة ١٢٥

اقتضاء مشيئة الله أن يكون للنار أهل وللجنة أهل ١٢٥
وجوب المجازاة بالمثل ١٢٥
تفسير قوله تعالى﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ .. ﴾ ١٥-١٧ .... ١٢٥
أحكام ومسائل الآيات ١٢٧
تحريم الاستكبار عن عبادة الله ١٢٧
فضل قيام الليل ١٢٧
وعد الله للمؤمنين جزيل الثواب ١٢٧
تفسير قوله تعالى﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ .. ﴾ ١٨-٢٢ .... ١٢٨
أحكام ومسائل الآيات ١٢٩
تقرير عدم التسوية بين المؤمن والفاسق ١٢٩
تقرير جزاء المؤمنين وجزاء الفاسقين ١٣٠
الذين يكذبون الرسل قد يأخذهم الله بعذاب في الدنيا ١٣٠
لا أحد أظلم ممن جاءته آيات الله ثم تولى عنها جحوداً وكفراً.. ١٣٠
تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ .. ﴾ ٢٣-٢٥ .... ١٣٠
أحكام ومسائل الآيات ١٣١
تقرير أن الله كما أنزل على موسى التوراة أنزل على محمد ﷺ القرآن ١٣١
تأكيد الإسراء والمعراج ١٣١
تقرير أن الله جعل من بني إسرائيل أئمة يدعون إلى الله

لما كانوا صابرين على طاعته فلما بدلوا في كتابهم سلب
الله هذه الصفة منهم ١٣١
الحكم بأن الله عز وجل سوف يحكم بينهم ١٣٢
تفسير قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم
مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ..﴾ ٢٦-٢٧ .... ١٣٢
أحكام ومسائل الآيتين ١٣٣
وجوب الاتعاظ بما حل بالأمم السابقة ١٣٣
تقرير جهل المشركين والكافرين ١٣٣
تفسير قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ ..﴾ ٢٨-٣٠ .... ١٣٣
أحكام ومسائل الآيات ١٣٤
تقرير سفاهة المشركين باستعجالهم العذاب تكذيبا له ١٣٤
التوبة تكون في حال الإمهال أما إذا حل العذاب وحضر
الموت فلا ينفع ندم ولا توبة ١٣٤

تفسير سورة الأحزاب ١٣٥
تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ
وَالْمُنَافِقِينَ ..﴾ ١-٣ .... ١٣٥
أحكام ومسائل الآيات ١٣٦
وجوب تقوى الله ١٣٦
تحريم طاعة الكافرين والمنافقين ١٣٦
وجوب اتباع ما أوحى الله إلى نبيه من القرآن ١٣٧

وجوب التوكل على الله ١٣٧

تفسير قوله تعالى﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ..﴾ ٤-٥ .... ١٣٧

أحكام ومسائل الآيتين ١٣٩

الحكم بأن الله لم يجعل للمرء إلا عقلا واحدا ١٣٩

تحريم الظهار الذي كان سائدا في الجاهلية ١٣٩

تحريم التبني وما يترتب عليه من أحكام ١٤٠

وجوب مناداة المرء المتبنَّى بأبيه ١٤١

انتفاء الإثم إذا أخطأ الإنسان في نسبة شخص إلى غير أبيه ١٤١

تفسير قوله تعالى﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ..﴾ ٦ .... ١٤١

أحكام ومسائل الآية ١٤٣

وجوب تقديم إرادة رسول الله ﷺ على إرادة المسلم ١٤٣

حرمة أزواج رسول الله ﷺ وأنهن أمهات المؤمنين ١٤٤

حصر التوارث بين أولي الأرحام وما يقتضيه ذلك ١٤٤

الاستثناء من الحكم إذا كان بحكم الوصية الجائزة بمقدار الثلث فما دونه ١٤٤

تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ ..﴾ ٧ -٨ ... ١٤٤

أحكام ومسائل الآيتين ١٤٥

الحكم بأن الله أخذ العهد والميثاق على الأنبياء والمرسلين ١٤٥

سؤال الله للأنبياء عن رسالته هل بلغوها؟ ١٤٥

تفسير قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ..﴾ ٩-١١ .... ١٤٥

أحكام ومسائل الآيات ١٤٨

وجوب تذكر نعم الله على العبيد ١٤٨

غزوة الأحزاب للمدينة كانت نتيجة تآمر المشركين واليهود ١٤٨

التنديد بسوء الظن ١٤٨

تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا .. ﴾ ١٢-١٤ .... ١٤٩

أحكام ومسائل الآيات ١٥٠

التنديد بسلوك المنافقين ١٥٠

وجوب الحذر من المنافقين وعدم الركون إليهم ١٥٠

تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ .. ﴾ ١٥-١٧ .... ١٥٠

أحكام ومسائل الآيات ١٥١

الحكم بوجوب الوفاء بالعهد ١٥١

تقرير أن الفرار من الجهاد لا يؤجل الموت ١٥١

لايعصم أحد غيره من الله ١٥٢

تفسير قوله تعالى ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا .. ﴾ ١٨-١٩ .... ١٥٢

أحكام ومسائل الآيتين ١٥٣

التنديد بسلوك المنافقين وجبنهم عن الجهاد ١٥٣

ذم الشح والبخل ١٥٣

ذم كثرة الكلام ١٥٣

المنافقون لا يؤمنون ١٥٤

تفسير قوله تعالى ﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ .. ﴾ ٢٠ .... ١٥٤
أحكام ومسائل الآية ١٥٥
تقرير أن المنافقين لا يحبون الخير للمؤمنين ١٥٥
تفسير قوله تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ .. ﴾ ٢١-٢٢ .... ١٥٥
أحكام ومسائل الآيتين ١٥٦
الحكم بوجوب الاقتداء برسول الله ﷺ ١٥٦
مدح الله للمؤمنين الذين يثبتون عند لقاء العدو ١٥٦
تفسير قوله تعالى ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ .. ﴾ ٢٣-٢٤ .... ١٥٧
أحكام ومسائل الآيتين ١٥٨
ثناء الله على المؤمنين الذين يوفون بالعهد ١٥٨
ذم المنافقين وتحقيرهم بسبب سلوكهم ١٥٨
تفسير قوله تعالى ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا .. ﴾ ٢٥ .... ١٥٨
أحكام ومسائل الآية ١٥٩
تقرير إرادة الله في هزيمة الأحزاب ١٥٩
إخبار الله عن خيبة الأحزاب ١٥٩
كفى الله المؤمنين شر قتال الأحزاب ١٥٩
تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ .. ﴾ ٢٦-٢٧ .... ١٥٩
أحكام ومسائل الآيتين ١٦١

تقرير أن مآل نقض العهد الهزيمة والعقاب ١٦١
تقرير قدرة الله في هزيمة أعداء دينه ١٦٢
الحكم أن الله يورث الأرض لعباده الصالحين ١٦٢
تقرير قدرة الله في نصر عباده ١٦٢
تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا .. ﴾ ٢٨-٢٩ .... ١٦٢
أحكام ومسائل الآيتين ١٦٤
المشروع للزوج إذا طلبت الزوجة الطلاق أن يطلقها ١٦٤
فضل أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ١٦٤
مشروعية إعطاء المرأة بعد طلاقها بعض المال ١٦٤
من يحسن عمله ينال الأجر ١٦٤
تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ .. ﴾ ٣٠-٣١ .... ١٦٥
أحكام ومسائل الآيتين ١٦٥
تقرير مضاعفة العذاب لمن له خصائص في الفضل إذا أتى بفاحشة ١٦٥
فضل طاعة الله واتباع رسوله ﷺ ١٦٦
تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ .. ﴾ ٣٢-٣٤ .... ١٦٦
أحكام ومسائل الآيات ١٦٨
الحكم بتحريم خضوع المرأة في كلامها ١٦٨

الأمر بقرار المرأة في بيتها ١٦٩
تحريم تبرج الجاهلية ١٦٩
الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله ١٦٩
تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ..﴾ ٣٥ .... ١٦٩
سبب نزول الآية ١٦٩
أحكام ومسائل الآية ١٧١
تقرير أن الإسلام غير الإيمان ١٧١
فضيلة القنوت ١٧١
فضل الصدق في القول والعمل ١٧١
فضيلة الصبر عند الشدائد ١٧٢
فضيلة الخشوع وهو السكينة ١٧٢
فضيلة الصدقة ١٧٢
فضيلة الصيام ١٧٣
وجوب حفظ الفرج عن المحرمات ١٧٣
فضيلة ذكر الله في السر والعلن ١٧٣
تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ..﴾ ٣٦-٣٧ .... ١٧٣
أحكام ومسائل الآيتين ١٧٦
الحكم بأنه لا خيار للمؤمن ولا للمؤمنة فيما قضى الله ١٧٦
من يعصي الله ورسوله فقد ضل ١٧٦
عتاب الله نبيه محمدا على ما يخفيه تحرزا من اللائمة ١٧٦
رسول الله ﷺ كان يخفي رغبته لأنه كان يخشى القيل والقال .. ١٧٦

إبطال عادة التبني إلى الأبد ١٧٧
الكفاءة في الدين لا في النسب ١٧٧
تفسير قوله تعالى ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ.. ﴾ ٣٨ .... ١٧٧
أحكام ومسائل الآية ١٧٨
نفي الله الحرج عن نبيه في زواجه من زينب ١٧٨
نفي أبوة رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة ١٧٨
تفسير قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ .. ﴾ ٣٩-٤٠ .... ١٧٨
أحكام ومسائل الآيتين ١٧٩
ثناء الله عز وجل على الذين يبلغون رسالاته ١٧٩
الحكم بأن رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء ١٨٠
تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا .. ﴾ ٤١ -٤٤ .... ١٨٠
أحكام ومسائل الآيات ١٨٢
وجوب ذكر الله والثناء على الذاكرين ١٨٢
وجوب تسبيح الله في الصباح والمساء ١٨٢
صلاة الله على عباده ١٨٢
صلاة الملائكة على العباد ومعناها ١٨٢
المؤمنون يحيون يوم القيامة بالسلام من الملائكة ١٨٣
تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا .. ﴾ ٤٥ -٤٨ .... ١٨٣

أحكام ومسائل الآيات ١٨٤
بعض صفات النبي ﷺ ١٨٤
نهي الله لنبيه عن الاستماع لكلام الكافرين ١٨٥
أمر الله لنبيه بالتجاوز عن الأذى ١٨٥
تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا..﴾ ٤٩ .... ١٨٥
أحكام ومسائل الآية ١٨٦
إباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها ١٨٦
ليس على المطلقة قبل الدخول بها عدة ١٨٦
حق المطلقة من المهر قبل الدخول عليها ١٨٦
وجوب تحسين سراح المطلقة ١٨٦
مشروعية متعة المطلقة ١٨٦
تفسير قوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ..﴾ ٥٠ .. ١٨٦
أحكام ومسائل الآية ١٨٨
تقرير عناية الله بنبيه ١٨٨
إباحة الله تعالى للنبي ﷺ المرأة الواهبة نفسها ١٨٩
عدم تغير شيء من نكاح المؤمنين ١٨٩
تفسير قوله تعالى﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ..﴾ ٥١ .... ١٨٩
أحكام ومسائل الآية ١٩٠

تخيير الرسول في إرجاء من يشاء من أزواجه وإيواء من يشاء .. ١٩٠
وجوب العدل بين النساء في المبيت ١٩٠
تفسير قوله تعالى ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ ..﴾ ٥٢ .... ١٩١
أحكام ومسائل الآية ١٩٢
إكرام الله لزوجات رسوله ﷺ ١٩٢
مراقبة الله لأمور خلقه ١٩٢
تفسير قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ..﴾ ٥٣-٥٤ .... ١٩٢
أحكام ومسائل الآيتين ١٩٤
تقرير وجوب الاستئذان في دخول بيوت الأجانب ١٩٤
تقرير أن الله لايستحيي من الحق ١٩٤
الأفضل مخاطبة الرجل للمرأة الأجنبية من وراء حجاب ١٩٥
تحريم إيذاء رسول الله ﷺ ١٩٥
تفسير قوله تعالى ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ ..﴾ ٥٥ .... ١٩٥
أحكام ومسائل الآية ١٩٦
تقرير المحارم الذين يحل للمرأة كشف وجهها لهم ١٩٦
أمر الله للنساء بالتقوى ١٩٦
تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ..﴾ ٥٦ .... ١٩٦
أحكام ومسائل الآية ١٩٧

تقرير الفضل الذي أسبغه الله على نبيه ١٩٧
الأمر بالصلاة على النبي ﷺ ١٩٧
إجزاء أي صيغة من صيغ الصلاة الإبراهيمية في الصلاة ١٩٧
تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ..﴾ ٥٧-٥٨ .... ١٩٨
أحكام ومسائل الآيتين ١٩٨
تقرير عقاب من يؤذي الله ورسوله ١٩٨
تقرير الوعيد لمن يؤذي المؤمنين ١٩٩
تفسير قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ..﴾ ٥٩ -٦٢ .... ١٩٩
أحكام ومسائل الآيات ٢٠١
الحكم بوجوب وضع الخمار على الجيب ٢٠١
ذم سلوك المنافقين ومن على شاكلتهم من أهل الفساد ٢٠١
الحكم بأن سنن الله في خلقه لا تبديل لها ٢٠١
تفسير قوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ..﴾ ٦٣-٦٨ .... ٢٠١
أحكام ومسائل الآيات ٢٠٣
لا يعلم أحد وقت الساعة ٢٠٣
الساعة قد تكون قريبة ٢٠٣
طرد المنكرين للبعث من رحمة الله ٢٠٣
تمني الكافرين يوم القيامة لطاعة رسلهم ٢٠٣
وجوب عدم طاعة الضلال والغواية ٢٠٣
تفسيرقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ

﴿ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ..﴾ ٦٩ .... ٢٠٤
أحكام ومسائل الآية ٢٠٤
الحكم بتحريم إيذاء النبي ﷺ بأية صفة ٢٠٤
تفسيرقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟
قَوْلًا سَدِيدًا ..﴾ ٧٠-٧١ .... ٢٠٥
أحكام ومسائل الآيتين ٢٠٥
وجوب تقوى الله بطاعته وتوحيده ٢٠٥
وجوب سلامة القول ٢٠٦
التقوى سبب في الإرشاد إلى الأعمال الصالحة ٢٠٦
في طاعة الله وطاعة رسوله الفوز العظيم ٢٠٦
تفسيرقوله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ..﴾ ٧٢-٧٣ .... ٢٠٦
أحكام ومسائل الآيتين ٢٠٧
الحكم بوجوب حفظ الأمانة ٢٠٧
تقرير جهل الإنسان في حمله للأمانة ٢٠٧
الإنسان حين حمل الأمانة افترق إلى منافق ومشرك ومؤمن .. ٢٠٧

تفسير سورة سبأ ٢٠٨
تفسيرقوله تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ..﴾ ١-٢ .... ٢٠٨
أحكام ومسائل الآيتين ٢٠٩
الحكم بوجوب صرف الشكر والثناء لله ٢٠٩

الحكم بأن الله هوالعالم وحده بالأرض والسماء ٢٠٩
تفسيرقوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ
وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ..﴾ ٣-٦ .... ٢٠٩
أحكام ومسائل الآيات ٢١١
تقرير حقيقة البعث والجزاء ٢١١
من حِكَم الله في البعث ٢١١
الذين أوتوا الكتاب والهداية يرون أن القرآن هو الحق ٢١١
تفسيرقوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ..﴾ ٧-٩ .... ٢١١
أحكام ومسائل الآيات ٢١٣
بيان سلوك المشركين المنكرين للبعث ٢١٣
حلم الله على المشركين والكفرة وذلك بإمهالهم ليتفكروا
في قدرة الله على عذابهم ٢١٣
فضل الرجوع عن المعصية والتوبة إلى الله ٢١٣
تفسيرقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا..﴾ ١٠-١١ .... ٢١٣
أحكام ومسائل الآيتين ٢١٤
تقرير قدرة الله في جعل الجبال والطير تردد تسبيح داود ٢١٤
وجوب تعلم الصناعة وآلات الحرب ٢١٤
تفسيرقوله تعالى ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا
شَهْرٌ..﴾ ١٢-١٣ .... ٢١٥
أحكام ومسائل الآيتين ٢١٦
توكيد قدرة الله -عز وجل- ٢١٦

حكم التماثيل والصور ٢١٦
و جوب شكر الله على نعمه وفضله ٢١٦
تفسيرقوله تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ
مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ..﴾ ١٤ .... ٢١٦
أحكام ومسائل الآية ٢١٧
الحكم بأن الله وحده يعلم الغيب والاستدلال على ذلك ٢١٧
تفسير قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ
ءَايَةٌ ..﴾ ١٥-١٩ .... ٢١٧
أحكام ومسائل الآيات ٢٢٠
وجوب شكر الله على نعمه والتحذير من الكفر بها ٢٢٠
صور وأمثلة من كُفران نعمة الله – والعياذ بالله – ٢٢٠
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ..﴾ ٢٠-٢١ .. ٢٢١
أحكام ومسائل الآيتين ٢٢٢
تقرير أن إبليس قد صدق ظنه في إغواء الناس ٢٢٢
الفريق الذي آمن بالله حق الإيمان لم يصدق إبليس في
ظنه فيه ٢٢٢
لم يكن لإبليس حجة على الناس ٢٢٢
تفسير قوله تعالى ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ..﴾ ٢٢-٢٣ .... ٢٢٢
أحكام ومسائل الآيتين ٢٢٤
الحكم بأن الله هو المعبود وحده وأن عبادة غيره باطلة ٢٢٤
لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن له ٢٢٤

تقرير أن الله إذا تكلم فزع أهل السموات إجلالا لعظمته ٢٢٤
تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ..﴾ ٢٤-٢٧ .... ٢٢٥
أحكام ومسائل الآيات ٢٢٦
مشروعية إقناع المدعو بالأمثلة التي تجعله يفكر بعقله ٢٢٦
حكم الله بين خلقه فيما اختلفوا فيه ٢٢٧
تحدي المشركين بأن عبادتهم للأصنام لا تتفق مع النقل أو العقل ٢٢٧
تفسير قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ..﴾ ٢٨-٣٠ .... ٢٢٧
أحكام ومسائل الآيات ٢٢٨
الحكم بعمومية رسالة رسول الله ﷺ ٢٢٨
تقرير جهل أكثر الناس ٢٢٨
يوم القيامة ويوم الأجل يومان محدودان ٢٢٨
تفسير قوله تعالى﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ..﴾ ٣١-٣٣ .... ٢٢٨
أحكام ومسائل الآيات ٢٣٠
تقرير سلوك الكفار في عدم إيمانهم بالحق ٢٣٠
أتباع الضالين والمفسدين يلومونهم ٢٣٠
تفسير قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ..﴾ ٣٤-٣٩ .... ٢٣١
أحكام ومسائل الآيات ٢٣٣

تقرير أن المترفين في الأمم السابقة كذبوا رسلهم ٢٣٣
بسط الرزق وتقديره لحكمة ٢٣٣
المال والولد لا يقرب إلى الله بل العمل الصالح ٢٣٤
من يسعى في صد الناس عن الإسلام سوف يحضر
يوم القيامة إلى العذاب ٢٣٤
ما من نفقة ينفقها العبد إلا ويخلفها الله ٢٣٤
تفسير قوله تعالى﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ
أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ..﴾ ٤٠-٤٢ .... ٢٣٤
أحكام ومسائل الآيات ٢٣٥
الحكم ببراءة الملائكة والأنبياء من قبولهم عبادتهم من
دون الله ٢٣٥
تكذيب المشركين ومنكري البعث يؤول بهم إلى العذاب ٢٣٦
تفسير قوله تعالى﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ
إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ..﴾ ٤٣-٤٥ .... ٢٣٦
أحكام ومسائل الآيات ٢٣٧
تقرير سفاهة المشركين وجهلهم ٢٣٧
تمني العرب أن يأتيهم رسول من عند الله ٢٣٧
قوة العرب وحضارتهم لا تنفعهم إذا كذبوا الرسل ٢٣٨
تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ..﴾ ٤٦ .... ٢٣٨
أحكام ومسائل الآية ٢٣٩
الرسول كما بعث مبشرا، بعث نذيرا ٢٣٩
تفسير قوله تعالى﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ..﴾ ٤٧-٥٠ ... ٢٣٩

أحكام ومسائل الآيات ٢٤١
الحكم بأن من يدعو إلى الله إنما يبتغي الأجر عنده ٢٤١
الحكم بأن نبوة محمد ﷺ هي الحق الذي أزال الباطل ٢٤١
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ ..﴾ ٥١-٥٤ .. ٢٤١
أحكام ومسائل الآيات ٢٤٣
الإيمان في الآخرة لا ينفع صاحبه لأن الآخرة ليست دارا للعمل .. ٢٤٣
الشك في الرسالة كفر ٢٤٣

تفسير سورة فاطر ٢٤٤
تفسير قوله تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ..﴾ ١-٢ .... ٢٤٤
أحكام ومسائل الآيتين ٢٤٥
الحكم بوجوب حمد الله من خلقه ٢٤٥
تقرير قدرة الملائكة الذين يرسلون إلى الأنبياء ٢٤٥
كل شيء بيد الله وتحت قدرته ٢٤٥
تفسير قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ..﴾ ٣ ... ٢٤٥
أحكام ومسائل الآية ٢٤٦
وجوب ذكر نعم الله ٢٤٦
الخالق هو المستحق للعبادة ٢٤٦
العجب من حال المشركين ٢٤٦
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ..﴾ ٤-٧ .... ٢٤٦

أحكام ومسائل الآيات ٢٤٨
تسلية الله لرسوله وللمؤمنين في كل مكان ٢٤٨
الحكم بأن البعث واقع لامحالة ٢٤٨
تحذير الأمة من الاغترار بالحياة ٢٤٨
التحذير من الشيطان ٢٤٩
تقرير الجزاء للكافرين بالعذاب ٢٤٩
تفسير قوله تعالى ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ .. ﴾ ٨ .. ٢٤٩
أحكام ومسائل الآية ٢٥٠
التحذير من الشيطان وأتباعه ٢٥٠
الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فمن أضل نفسه
باتباعه للشيطان أضله الله ٢٥٠
تفسير قوله تعالى﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ
إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ .. ﴾ ٩-١١ .... ٢٥٠
أحكام ومسائل الآيات ٢٥٢
إحياء الله الأرض بعد موتها بما ينزله عليها وما يماثل ذلك ... ٢٥٢
العزة في الدنيا والآخرة لا تكون إلا من الله ٢٥٣
الذين يرتكبون السيئات يبطل الله مكرهم ٢٥٣
علم الله بعلمه المطلق أمور خلقه ٢٥٣
تفسير قوله تعالى﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ
سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ .. ﴾ ١٢-١٤ .... ٢٥٣
أحكام ومسائل الآيات ٢٥٦
عظمة الله وقدرته في خلق الأشياء المتضادة ٢٥٦

تقرير قدرته في تعاقب الليل والنهار ٢٥٦
تقرير أن من يدعى من دون الله عاجز في ذاته ٢٥٦
من يدعى من دون الله يوم القيامة يتبرأ ممن دعاه ٢٥٦
تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ .. ﴾ ١٥-١٨ .. ٢٥٦
أحكام ومسائل الآيات ٢٥٨
تقرير أن الناس فقراء إلى الله ٢٥٨
تقرير قدرة الله في إفناء الخلق ٢٥٩
ما من أحد يحمل وزر غيره ٢٥٩
لا يستجيب للنذارة الربانية إلا المؤمنون ٢٥٩
تقرير أن عمل العامل يعود إليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر.. ٢٥٩
تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ .. ﴾ ١٩- ٢٦ .. ٢٥٩
أحكام ومسائل الآيات ٢٦٢
تقرير ضرب الأمثال للناس تيسيراً لأفهامهم ٢٦٢
تشبيه الكفار بالأموات ٢٦٢
تحديد رسالة محمد ﷺ بالبشارة والنذارة ٢٦٢
الهلاك والعذاب عاقبة المكذبين للحق ٢٦٢
تفسير قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا .. ﴾ ٢٧-٢٨ .... ٢٦٢
أحكام ومسائل الآيتين ٢٦٣
تقرير قدرة الله في تنويع المخلوقات وتغايرها ٢٦٣
تقرير فضل العلم وكونه يوصل إلى خشية الله ٢٦٤
تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا

ٱلصَّلَوٰةَ .. ﴾ ٢٩-٣٠ .... ٢٦٤
أحكام ومسائل الآيتين ٢٦٥
تقرير فضل القرآن وما في تلاوته وتدبره من الأجر العظيم .. ٢٦٥
تقرير فضل أداء ما فرض الله على عباده من العبادات ٢٦٥
تذكير الله للعباد بأنه غفار للذنوب ٢٦٥
تفسير قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ
ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ .. ﴾ ٣١ .... ٢٦٥
أحكام ومسائل الآية ٢٦٦
القرآن هو الكتاب الحق الذي أراده الله لنفع عباده ٢٦٦
القرآن مصدق للكتب المتقدمة ٢٦٦
الإيمان بالكتب السابقة يستلزم الإيمان بالقرآن ٢٦٦
تفسير قوله تعالى﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ
عِبَادِنَا .. ﴾ ٣٢-٣٥ .... ٢٦٦
أحكام ومسائل الآيات ٢٦٨
الحكم بوجوب الإيمان بالقرآن ٢٦٨
عدم الإيمان بالقرآن يعد كفرا ٢٦٩
تقرير فضل هذه الأمة ٢٦٩
تفسير قوله تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ .. ﴾ ٣٦-٣٧ .. ٢٦٩
أحكام ومسائل الآيتين ٢٧١
تقرير أن أهل النار لا يحيون فيها ولا يموتون ٢٧١
تقرير إعذار الله للإنسان ٢٧١
من جاءته الرسالة من الله فقد حجه الله فليس له يوم

القيامة من عذر ٢٧١

تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ .. ﴾ ٣٨-٣٩ .... ٢٧١

أحكام ومسائل الآيتين ٢٧٢

تقريرأن بني آدم يتتابعون في التوارث على الأرض ٢٧٢

الاستمرار على الكفر يزيد من مقت الله ٢٧٣

تفسير قوله تعالى ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ .. ﴾ ٤٠-٤١ .... ٢٧٣

أحكام ومسائل الآيتين ٢٧٥

تقرير أن المشركين في شركهم إنما يتبعون أهواءهم ٢٧٥

من لطائف الله ورحمته بعباده أنه يمسك السموات عن الاضطراب والزوال ٢٧٥

إن الله حليم على عباده رغم أنهم يعصونه ٢٧٥

تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ .. ﴾ ٤٢-٤٣ .... ٢٧٥

أحكام ومسائل الآيتين ٢٧٧

تقرير كذب المشركين في ادعائهم الأفضلية في العبادة من اليهود والنصارى ٢٧٧

المكر السيئ يعود على أصحابه بالوبال ٢٧٧

سنة الله لا تتبدل ولا تتغير ٢٧٧

تفسير قوله تعالى ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ .. ﴾ ٤٤-٤٥ .... ٢٧٧

أحكام ومسائل الآيتين ٢٧٨
وجوب الاعتبار بما حل بالأمم الهالكة ٢٧٨
تقرير قدرة الله -عز وجل- وأنه ما من شيء يعجزه ٢٧٩

تفسير سورة يس ٢٨٠
تفسير قوله تعالى﴿يسٓ.. ﴾ ١-٧ .... ٢٨٠
أحكام ومسائل الآيات ٢٨١
الحكم بنبوة ورسالة محمد ﷺ ٢٨١
الغاية من رسالة رسول الله ﷺ إنذار قومه ٢٨١
العذاب جزاء من يجحد هذه الرسالة ٢٨١
تفسير قوله تعالى﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا .. ﴾ ٨- ١٢ ..... ٢٨١
أحكام ومسائل الآيات ٢٨٣
تقرير أن من انطبع في قلوبهم الشرك أو الكفر لا يهتدون ٢٨٣
المؤمن الذي يخشى الله بالغيب هو الذي تنفع فيه النذارة ٢٨٣
إحياء الله للموتى ليوم لا ريب فيه ٢٨٣
تقرير حقيقة القضاء والقدر ٢٨٤
تفسير قوله تعالى ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ .. ﴾ ١٣-١٩ .... ٢٨٤
أحكام ومسائل الآيات ٢٨٦
تقرير ضرب الأمثال لما فيها من العظة والعبرة ٢٨٦
طبيعة الكفر لا تتغير بالزمان أو المكان ٢٨٦
حالة أهل الكفر إذا فقدوا الحجة ٢٨٦

تحريم التشاؤم ٢٨٦
تفسير قوله تعالى﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ
يَسْعَىٰ .. ﴾ ٢٠-٢٧ .... ٢٨٧
أحكام ومسائل الآيات ٢٨٩
فضل الدعوة إلى الله والاستشهاد في سبيلها ٢٨٩
المؤمن إذا رأى ثواب الله لأوليائه تمنى أن كل الناس
يؤدي ما أمر الله به ٢٨٩
تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ .. ﴾ ٢٨-٣٢ .... ٢٨٩
أحكام ومسائل الآيات ٢٩٠
تقرير قدرة الله في إهلاك المكذبين لرسلهم ٢٩٠
المكذبون للرسل يتحسرون إذا رأوا العذاب ٢٩١
تحريم الاستهزاء بآيات الله ورسله ٢٩١
وجوب الاعتبار بما حدث للأمم الهالكة ٢٩١
تفسير قوله تعالى ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا
وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ .. ﴾ ٣٣-٣٦ .... ٢٩١
أحكام ومسائل الآيات ٢٩٢
تقرير الأدلة العقلية والحكمية على عظمة الله ٢٩٢
تقرير قدرة الله وعظمته في ازدواجية المخلوقات ٢٩٢
تفسير قوله تعالى ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ
فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ .. ﴾ ٣٧-٤٠ .... ٢٩٣
أحكام ومسائل الآيات ٢٩٤

توكيد قدرة الله في تسيير الكون ٢٩٤
توكيد قدرة الله في جعل الشمس تجري للمستقر ٢٩٤
توكيد قدرة الله في تسخير هذا الكون ٢٩٥
تفسير قوله تعالى ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ
ٱلْمَشْحُونِ..﴾ ٤١-٤٤ .... ٢٩٥
أحكام ومسائل الآيات ٢٩٦
تقرير فضل الله ونعمته في إنجاء المؤمنين ٢٩٦
تقرير فضله على عباده أن خلق لهم من مثل سفينة نوح ٢٩٦
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ
وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ..﴾ ٤٥-٤٧ .... ٢٩٧
أحكام ومسائل الآيات ٢٩٨
تقرير عناد المشركين حين دعوتهم ٢٩٨
تقرير أن المشركين يستهزئون بالفقراء إذا قيل لهم
أعطوهم من مال الله ٢٩٨
تفسير قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ..﴾ ٤٨-٥٤ .... ٢٩٨
أحكام ومسائل الآيات ٣٠٠
الكفار يستبعدون قيام الساعة وينكرون البعث ٣٠٠
الساعة تأتي بغتة ٣٠٠
فزع الكفار عند النفخ في الصور ٣٠١
الحكم بأن الله يعدل بين الخلائق حين يقفون بين يديه ٣٠١
تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ

فَٰكِهُونَ ..﴾ ٥٥-٥٨ .... ٣٠١
أحكام ومسائل الآيات ٣٠٢
تقرير ما يتمتع به أهل الجنة من النعيم المقيم ٣٠٢
تقرير أن الله يشرف على أهل الجنة ويسلم عليهم ٣٠٢
تفسير قوله تعالى﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ..﴾ ٥٩-٦٢ .... ٣٠٢
أحكام ومسائل الآيات ٣٠٣
تقرير أن المجرمين يتميزون يوم القيامة عن المؤمنين
فيذهبون إلى العذاب ٣٠٣
تقرير عداوة الشيطان للإنسان ٣٠٣
عبادة الله هي الصراط المستقيم ٣٠٤
تفسير قوله تعالى ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ
تُوعَدُونَ..﴾ ٦٣-٦٧.. ٣٠٤
أحكام ومسائل الآيات ٣٠٥
تقرير أن جوارح المجرمين تشهد عليهم يوم القيامة ٣٠٥
تحذير المشركين والكفرة من تعجيل العقوبة لهم في الدنيا .. ٣٠٦
تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي
ٱلۡخَلۡقِ..﴾ ٦٨-٧٠.. ٣٠٦
أحكام ومسائل الآيات ٣٠٧
الحكم بأن القرآن كلام الله ٣٠٧
القرآن ذكر ٣٠٧
القرآن إنذار لإحياء القلوب ٣٠٧
تفسير قوله تعالى ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ

﴿أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ..﴾ ٧١-٧٦ .... ٣٠٧
أحكام ومسائل الآيات ٣٠٩
تقرير نعم الله على عباده بما هيأ لهم من الأنعام ٣٠٩
تقرير غباء المشركين وسفاهتهم في مقابلة نعم الله عليهم ٣٠٩
الحكم بأن الأصنام لن تنفع عابديها ٣٠٩
تسلية رسول الله ﷺ في تكذيب قومه ٣٠٩
تفسير قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ ..﴾ ٧٧-٨٣ .... ٣١٠
أحكام ومسائل الآيات ٣١٢
من البراهين الدالة على قدرة الله على إحياء الموتى ٣١٢
كل شيء في الوجود واقع تحت مشيئة الله ٣١٣

تفسير سورة الصافات ٣١٤
تفسير قوله تعالى﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا ..﴾ ١-٥ .... ٣١٤
أحكام ومسائل الآيات ٣١٥
تقرير قسم الله تعالى بالملائكة بيانا لفضلهم ٣١٥
الحكم بتوحيد الألوهية ٣١٥
تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ..﴾ ٦-١٠.. ٣١٥
أحكام ومسائل الآيات ٣١٦
تقرير أن الكواكب زينة في السماء لأهل الأرض ٣١٦
تفسير قوله تعالى ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ

خَلَقْنَآ ..﴾ ١١-١٩ .... ٣١٧
أحكام ومسائل الآيات ٣١٨
وجوب سؤال المنكر للحقيقة بقصد تحديه ٣١٨
تقرير عن أصل الإنسان وأنه من الطين اللاصق ٣١٨
تقرير أن من طبع الكفر على قلبه ينكر ما يرى من البينات .. ٣١٨
تقرير بداية البعث ٣١٩
تفسير قوله تعالى﴿ وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ..﴾ ٢٠-٢٦ .... ٣١٩
أحكام ومسائل الآيات ٣٢٠
تقرير أن المنكرين للبعث يلومون أنفسهم ٣٢٠
الظالمون يحشر بعضهم مع بعض يوم القيامة ٣٢٠
تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ..﴾ ٢٧-٣٧.. ٣٢١
أحكام ومسائل الآيات ٣٢٢
تقرير تخاصم المتبوعين والتابعين يوم القيامة ٣٢٢
أهل الضلال يشتركون في العذاب يوم القيامة ٣٢٣
عظم شهادة أن لاإله إلا الله ٣٢٣
الحكم بنبوة ورسالة رسول الله ﷺ ٣٢٣
تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ..﴾ ٣٨ -٤٩ ... ٣٢٤
أحكام ومسائل الآيات ٣٢٤
الجزاء حسب العمل ٣٢٤
استثناء الله لعباده المخلصين وتخصيصهم بالكرامة الأبدية .. ٣٢٤
تفسير قوله تعالى ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ..﴾ ٥٠ -٦١.. ٣٢٥

أحكام ومسائل الآيات ٣٢٦
تقرير أن أهل الجنة يتحاورون بينهم ٣٢٦
خطورة قرناء السوء ٣٢٦
المنكرون للبعث يستهزئون بالمصدقين به ٣٢٦
لا موت لأهل الجنة ٣٢٦
تفسير قوله تعالى ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ .. ﴾ ٦٢-٧٤ .. ٣٢٧
أحكام ومسائل الآيات ٣٢٩
تقرير أن الله يمتحن عباده ٣٢٩
جريان الشرك للأمم السابقة ٣٢٩
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ .. ﴾ ٧٥-٨٢ .... ٣٢٩
أحكام ومسائل الآيات ٣٣٠
تقرير أن الله يجيب دعوة عباده المؤمنين ٣٣٠
إنجاء الله للمؤمنين من الكوارث ٣٣١
ثناء الله على عباده المؤمنين في الملإ الأعلى ٣٣١
تفسير قوله تعالى﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ .. ﴾ ٨٣ -٩٨ ..... ٣٣١
أحكام ومسائل الآيات ٣٣٣
دين الأنبياء دين واحد وهو: التوحيد ٣٣٣
ثناء الله على نبيه إبراهيم ٣٣٤
للداعي إنكار المنكر بيده إذا استطاع ٣٣٤
سلوك الطغاة واحد ٣٣٤

تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي
سَيَهْدِينِ..﴾ ٩٩- ١١٣ .... ٣٣٤
أحكام ومسائل الآيات ٣٣٧
وجوب الهجرة من المكان الذي لا يقدر فيه العبد على
عبادة الله ٣٣٧
إسماعيل هو الذبيح ٣٣٧
إسماعيل عليه السلام يعد الأول من العباد في بر والديه ٣٣٨
فضل الأضحية وحكمها ٣٣٨
ثناء الله وسلامه على المؤمنين ٣٣٨
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ..﴾ ١١٤-١٢٢ .... ٣٣٨
أحكام ومسائل الآيات ٣٣٩
تقرير فضل الله على موسى وهارون بالنبوة ٣٣٩
النصر والغلبة دائماً تكون للمؤمنين ٣٣٩
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ..﴾ ١٢٣-١٣٢.. ٣٤٠
أحكام ومسائل الآيات ٣٤١
تحريم عبادة الأصنام ٣٤١
عاقبة تكذيب الرسل العذاب يوم القيامة ٣٤١
تقرير أن الله يجزي المحسنين على إحسانهم ٣٤١
ثناء الله على المؤمنين بسبب تقواهم ٣٤١
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ..﴾ ١٣٣-١٣٨ .... ٣٤٢

أحكام ومسائل الآيات ٣٤٣
تقرير إهلاك الله لقوم لوط ٣٤٣
أساس العلاقة بين العبد وغيره علاقة دين فحسب ٣٤٣
وجوب التفكر والتدبر في أحكام الله وآياته ٣٤٣
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ..﴾ ١٣٩-١٤٨ ... ٣٤٣
أحكام ومسائل الآيات ٣٤٥
تقرير مشروعية الاقتراع ٣٤٥
فضل الذكر والدعاء ٣٤٥
وجوب التعرف إلى الله في الرخاء ٣٤٥
أهمية غذاء قرع اليقطين ٣٤٦
تفسير قوله تعالى﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ..﴾ ١٤٩-١٦٠ .... ٣٤٦
أحكام ومسائل الآيات ٣٤٨
إبطال كذب المشركين في جعل الملائكة بنات الله ٣٤٨
رحمة الله بخلقه وتوجيه رسله أن يجادلوا المكذبين بالحق والبراهين العقلية ٣٤٨
تفسير قوله تعالى ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ..﴾ ١٦١-١٧٠ .... ٣٤٩
أحكام ومسائل الآيات ٣٥٠
تقرير أن أحدا لايقدر أن يضل أحدا إلا من أضله الله ٣٥٠
الحكم بأن الملائكة يعبدون الله ويطيعونه ٣٥٠

تقرير كذب المشركين في زعمهم أنه لو أنزل الله عليهم
كتابا لآمنوا به ٣٥٠
الحكم بعقاب الله للمكذبين للقرآن ٣٥١
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا
ٱلْمُرْسَلِينَ..﴾ ١٧١-١٨٢ .... ٣٥١
أحكام ومسائل الآيات ٣٥٢
النصر وحسن العاقبة لدين الله ٣٥٢
وجوب التسبيح بحمد الله سراً وعلانية ٣٥٣

تفسير سورة ص ٣٥٤
تفسير قوله تعالى ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ..﴾ ١ -٣ .... ٣٥٤
أحكام ومسائل الآيات ٣٥٥
القرآن هو كتاب الله المنزل ٣٥٥
تقرير أن عداوة الكفار للرسول ﷺ كانت بسبب كبريائهم ٣٥٥
تقرير هلاك الكافرين من الأمم السابقة بسبب تكذيبهم لرسلهم.. ٣٥٥
تفسير قوله تعالى ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ..﴾ ٤-١١ .... ٣٥٥
أحكام ومسائل الآيات ٣٥٨
تقرير عداء المشركين لرسول الله وتكذيبهم له ٣٥٨
تقرير سفاهة المشركين ونقص عقولهم ٣٥٨
تقرير تحدي الله للمشركين لإظهار نقصهم ٣٥٨
المكذبون لرسول الله ﷺ وما جاء به ما هم إلا جند مهزوم ... ٣٥٨

تفسير قوله تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ ..﴾ ١٢ -٢٠ ..... ٣٥٨
أحكام ومسائل الآيات ٣٦١
الرسول ﷺ ليس أول من كُذِبَ من الرسل ٣٦١
الأمر لرسول الله ﷺ بالصبر على ما يناله من الأذى ٣٦١
تهديد الله للمشركين ٣٦١
تقرير حماقة المشركين وسفاهتهم ٣٦١
وجوب الاقتداء بالسلف الصالح ٣٦١
فضل صلاة الضحى ٣٦١
تفسير قوله تعالى ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا
الْمِحْرَابَ ..﴾ ٢١-٢٥ .... ٣٦٢
أحكام ومسائل الآيات ٣٦٤
تقرير قاعدة أساسية في الفصل بين الخصوم وهي أن
يسمع كلام الخصوم كلهم قبل الحكم ٣٦٤
وجوب التوبة ٣٦٥
جواز القضاء في المسجد ٣٦٥
تفسير قوله تعالى ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ
فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ..﴾ ٢٦ .... ٣٦٥
أحكام ومسائل الآية ٣٦٦
وجوب العدل بين الناس ٣٦٦
تحريم اتباع الهوى ٣٦٦
لا يجوز للحاكم أن يحكم بعلمه ٣٦٧
الله توعد بالعذاب الذين يضلون عن سبيله ٣٦٧

تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
بَٰطِلًاۚ ..﴾ ٢٧-٢٩ .... ٣٦٧
أحكام ومسائل الآيات ٣٦٩
تقرير كذب من زعم أن السماوات والأرض خلقت عبثا ٣٦٩
تقرير عقوبة الكفار المكذبين للبعث ٣٦٩
تقرير عدل الله في قضائه ٣٦٩
وجوب تدبر آيات الله ٣٦٩
تفسير قوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ ..﴾ ٣٠-٣٣ .... ٣٦٩
أحكام ومسائل الآيات ٣٧٠
تقرير أن الله يهب الولد الصالح لمن يشاء من عباده ٣٧٠
إطلاق الخير على الخيل ٣٧١
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ
جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ..﴾ ٣٤ -٤٠ .... ٣٧١
أحكام ومسائل الآيات ٣٧٣
وجوب ذكر المشيئة عند الرغبة في إجراء عملٍ مَّا ٣٧٣
وجوب التوبة من كل خطيئة ٣٧٤
تقرير قدرة الله في تسخير المخلوقات ٣٧٤
تفسير قوله تعالى ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى
مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ..﴾ ٤١-٤٤ .... ٣٧٤
أحكام ومسائل الآيات ٣٧٦
تقرير ابتلاء الله لأحد عباده ٣٧٦

الكفارة تجب على من يحنث في يمينه ٣٧٧
تفسير قوله تعالى ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ..﴾ ٤٥-٤٨ .... ٣٧٧
أحكام ومسائل الآيات ٣٧٨
وجوب القوة في الدين على بصيرة ٣٧٨
تفسير قوله تعالى ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ..﴾ ٤٩-٥٤ .... ٣٧٩
أحكام ومسائل الآيات ٣٨٠
وجوب تذكر يوم القيامة وأهوالها ٣٨٠
بيان ما أعد الله للمتقين في الجنة ٣٨٠
تفسير قوله تعالى ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ..﴾ ٥٥-٦٤ .. ٣٨٠
أحكام ومسائل الآيات ٣٨٢
تقرير ما يستحق الطغاة والظلمة ٣٨٢
تقرير التخاصم بين أهل النار ٣٨٢
المشركون يتذكرون في النار ضعفة المسلمين ٣٨٣
تفسير قوله تعالى ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ..﴾ ٦٥-٧٠ .... ٣٨٣
أحكام ومسائل الآيات ٣٨٥
الرسول ﷺ منذر لقومه وغيرهم من الأمم ٣٨٥
من دلائل نبوة رسول الله ﷺ ما أوحي إليه ٣٨٥
تفسير قوله تعالى ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن

طِينٍ ﴾ ٧١-٨٥ .... ٣٨٥
أحكام ومسائل الآيات ٣٨٧
تقرير أن ادعاء إبليس فضل النار على الطين ادعاء باطل ٣٨٧
عدم سجود إبليس لآدم مصدره الحسد ٣٨٨
ذم الكبر والاستعلاء ٣٨٨
الشيطان لا يستطيع إغواء المؤمنين الأقوياء ٣٨٩
تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ.. ﴾ ٨٦-٨٨ .... ٣٨٩
أحكام ومسائل الآيات ٣٨٩
عدم جواز أخذ الأجرة على الدعوة إلى الله للأنبياء والرسل ٣٨٩
تحريم التكلف في القول ٣٩٠

تفسير سورة الزمر ٣٩١
تفسير قوله تعالى ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ.. ﴾ ١-٤ .... ٣٩١
أحكام ومسائل الآيات ٣٩٢
الحكم بنزول القرآن على نبي الله ورسوله محمد ﷺ ٣٩٢
الحكم بوجوب توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده ٣٩٣
الحكم بتحريم الشرك بأي صفة من صفاته الاعتقادية ٣٩٣
تقرير خسران المشركين بتقربهم إلى الله بعبادة الأصنام ٣٩٣
تفسير قوله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ .. ﴾ ٥-٦ .. ٣٩٣

أحكام ومسائل الآيتين ٣٩٥
الحكم بأن الله هوالذي خلق الكون بكل ما فيه ٣٩٥
تقرير قدرته -عز وجل- في تسلسل خلق الإنسان ٣٩٥
العجب العجاب ممن يصرف عبادته لغير الله ٣٩٥
تفسير قوله تعالى ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ .. ﴾ ٧-٨ .. ٣٩٦
أحكام ومسائل الآيتين ٣٩٧
تقرير غنى الله عن خلقه ٣٩٧
شكر العبد لله يرضيه عنه ٣٩٨
تحديد مسئولية الإنسان في نفسه ٣٩٨
تقرير سلوك بعض الإنسان وجحوده لنعم ربه ٣٩٨
تفسير قوله تعالى ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا
وَقَائِمًا .. ﴾ ٩ .... ٣٩٨
أحكام ومسائل الآية ٣٩٩
تقريرعدم المقارنة بين القانت لله وبين الكافر ٣٩٩
الحكم بأن المؤمن القانت أفضل عند الله ٣٩٩
تقرير عدم المماثلة بين العالم بأوامر الله ونواهيه وبين
من لا يعلم ذلك ٣٩٩
الفرق بين المتضادات لا يعلمه إلا أصحاب العقول ٣٩٩
تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا
رَبَّكُمْ .. ﴾ ١٠-١٢ .... ٣٩٩
أحكام ومسائل الآيات ٤٠٠

دعوة الله للمؤمنين أن يزدادوا تقوى على تقواهم ٤٠٠
وجوب الهجرة من الأرض التي لايقدر المسلم على أداء
العبادة فيها ٤٠١
الحكم بأن الصابرين على تقوى الله والهجرة في سبيله
يوفون أجورهم دون حساب ٤٠١
تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ.. ﴾ ١٣-١٦ .... ٤٠١
أحكام ومسائل الآيات ٤٠٢
الحكم بوجوب عبادة الله وحده وإخلاص الدين كله له ٤٠٢
تقرير أن الخاسرين هم الذين يخسرون أهليهم يوم القيامة .. ٤٠٢
تقريرحال أهل النار ٤٠٢
تفسير قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا
إِلَى اللَّهِ.. ﴾ ١٧-١٨ .... ٤٠٣
أحكام ومسائل الآيتين ٤٠٤
تقرير ثناء الله وبشراه للذين يجتنبون الطاغوت ٤٠٤
من صفات المبشرين ٤٠٤
تفسير قوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ
مَن فِي النَّارِ .. ﴾ ١٩-٢٠ .... ٤٠٤
أحكام ومسائل الآيتين ٤٠٥
تقرير أن من زاغ عن طريق الحق وأضله الله لا يقدر
أحد على هدايته ٤٠٥

الحكم بأن وعد الله حق ٤٠٥
تفسير قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ.. ﴾ ٢١-٢٢ .... ٤٠٥
أحكام ومسائل الآيتين ٤٠٦
بيان عظمة الله وقدرته في إنزال الماء من السماء إلى الأرض ... ٤٠٦
تقرير أن القلب الذي ينشرح بنور الإيمان يختلف عن القلب القاسي ٤٠٧
تفسير قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ .. ﴾ ٢٣ .... ٤٠٧
أحكام ومسائل الآية ٤٠٩
القرآن أحسن حديث ٤٠٩
المؤمنون هم الذين يخشعون لسماع كلام الله ٤٠٩
تفسير قوله تعالى ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ.. ﴾ ٢٤-٢٦ .... ٤٠٩
أحكام ومسائل الآيات ٤١٠
تقرير عدم المماثلة في الجزاء يوم القيامة بين المؤمن والكافر .. ٤١٠
تحذير المشركين في مكة أنه ما حل بالأمم قبلهم من العذاب قد يحل بهم ٤١١
أن الذل والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة ما كان ليصيب أقواما إلا بسبب عدم إيمانهم ٤١١
تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ.. ﴾ ٢٧-٣١ .... ٤١١

أحكام ومسائل الآيات ٤١٣

تقرير فوائد ضرب الأمثال للناس لتقريب الأحكام لعقولهم .. ٤١٣

ضرب المثل للفرق بين الموحد لله وبين المشرك ٤١٣

كل مخلوق في الدنيا سيذوق الموت ٤١٣

تقرير الاختصام بين الخلق يوم القيامة ٤١٣

تفسير قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ..﴾ ٣٢-٣٥ .... ٤١٤

أحكام ومسائل الآيات ٤١٥

تحريم الكذب على الله وعلى رسوله ٤١٥

وجوب الصدق في القول والعمل ٤١٥

تفسير قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ..﴾ ٣٦-٤٠ ...... ٤١٦

أحكام ومسائل الآيات ٤١٨

الحكم بأن الله كاف عبده ٤١٨

تقرير أن الأوثان والأصنام لا تنفع أحدا ولا تضره ٤١٨

تقرير أن الله -عز وجل- هو الهادي ٤١٨

تقرير اعتراف المشركين بربوبية الله ٤١٨

وجوب توكل العباد على الله في كل أمورهم ٤١٨

تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ..﴾ ٤١ .... ٤١٩

أحكام ومسائل الآية ٤١٩

الحكم بأن الله نزل كتابه الكريم بالحق ٤١٩

تعزية رسول الله ﷺ عما كان يجده من قومه ٤١٩
تقرير أن هداية الإنسان لنفسه وضلاله عليها ٤١٩
تقرير أن رسول الله ﷺ مبلغ للناس لا وكيل عليهم ٤٢٠
تفسير قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا .. ﴾ ٤٢ .... ٤٢٠
أحكام ومسائل الآية ٤٢١
تقرير عظمة الله وقدرته في قبض الأرواح ٤٢١
تفسير قوله تعالى ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ .. ﴾ ٤٣-٤٥ .. ٤٢١
أحكام ومسائل الآيات ٤٢٢
تقرير سفاهة المشركين وجهالتهم في عبادة الأصنام ٤٢٢
الحكم بأن الشفاعة لله وحده ٤٢٢
تقرير ضلال المشركين ٤٢٣
تفسيرقوله تعالى ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ .. ﴾ ٤٦-٤٨ .... ٤٢٣
أحكام ومسائل الآيات ٤٢٤
وجوب اللجوء إلى الله عند اشتداد الكرب ٤٢٤
الحكم بأنه لا يقبل من أحد يوم القيامة فدية من العذاب ٤٢٥
تفسيرقوله تعالى ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ .. ﴾ ٤٩-٥٢ .... ٤٢٥
أحكام ومسائل الآيات ٤٢٧

تقرير سفاهة الكافر حين يلجأ إلى الله عند ضره ٤٢٧
تقرير أن الله ينعم على الكفرة والعصاة ابتلاء لهم ٤٢٧
إسباغ الله نعمته على العبد لا يدل على محبته له ٤٢٧
تقرير أن في آيات الله عبرا وعظات للمؤمنين ٤٢٧
تفسيرقوله تعالى ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ
لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ .. ﴾ ٥٣-٥٩ .... ٤٢٨
أحكام ومسائل الآيات ٤٣٠
تقرير البشرى للمذنبين أن الله يغفر جميع ذنوبهم إذا
تابوا منها ٤٣٠
النهي عن القنوط واليأس من رحمة الله ٤٣١
دعوة الله للعباد باتباع ما جاء من الأوامر والنواهي ٤٣١
فساد مذهب الجبرية ٤٣١
تفسيرقوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ
وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ .. ﴾ ٦٠-٦١ .... ٤٣٢
أحكام ومسائل الآيتين ٤٣٣
تقرير سواد وجوه الكافرين يوم القيامة ٤٣٣
الحكم بأن الله ينجي المتقين من عباده ٤٣٣
تفسيرقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
وَكِيلٌ .. ﴾ ٦٢-٦٤ .... ٤٣٣
أحكام ومسائل الآيات ٤٣٤

الحكم بأن كل شيء في الكون بيد الله ٤٣٤
الكفار يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ٤٣٤
تقرير جهل المشركين وسفاهتهم في دعوتهم رسول الله
إلى عبادة أصنامهم ٤٣٤
تفسيرقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ
لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ..﴾ ٦٥-٦٦ .... ٤٣٥
أحكام ومسائل الآيتين ٤٣٥
تقرير أن الشرك محبط للأعمال ٤٣٥
وجوب عبادة الله وطاعته وحده ٤٣٥
تفسيرقوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا
قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ..﴾ ٦٧ ... ٤٣٦
أحكام ومسائل الآية ٤٣٦
الحكم بعظمة الله وقدرته المطلقة ٤٣٦
تفسيرقوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ..﴾ ٦٨-٧٠ .... ٤٣٧
أحكام ومسائل الآيات ٤٣٨
تقرير النفخ في الصور ٤٣٨
تقرير النفخة الأخرى للقيام لله رب العالمين ٤٣٨
تقرير أحوال ذلك اليوم الذي يتجلى فيه رب العالمين ٤٣٩
الحكم بأن الله يقضي بين خلقه بالعدل ٤٣٩

تفسيرقوله تعالى ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ..﴾ ٧١-٧٢ .... ٤٣٩
أحكام ومسائل الآيتين ٤٤٠
تقرير حال الكافرين يوم القيامة ٤٤٠
إقرار الكافرين بما جاءتهم به رسلهم من البراهين ولكن الشقاوة غلبت عليهم بسبب إصرارهم على معاداة الحق ٤٤٠
تقرير سوء عاقبة الاستكبار عن طاعة الله ٤٤٠
تفسيرقوله تعالى ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ..﴾ ٧٣-٧٤ .... ٤٤١
أحكام ومسائل الآيتين ٤٤٢
تقرير حال المتقين يوم القيامة وما يلاقونه من ربهم من العزة والكرامة ٤٤٢
تفسيرقوله تعالى ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ..﴾ ٧٥ .... ٤٤٢
أحكام ومسائل الآية ٤٤٢
تقرير أن الملائكة يحدقون في يوم الحساب بعرش ربهم يسبحونه ويقدسونه ٤٤٢
تقرير أن الله يقضي بالحق بين عباده ٤٤٢
تقرير أنه بعد نهاية الحساب يقول كل من في الكون: (الحمد لله رب العالمين) ٤٤٢

مطابع دار البحوث الرياض
٤٨٥٢٦٦٣